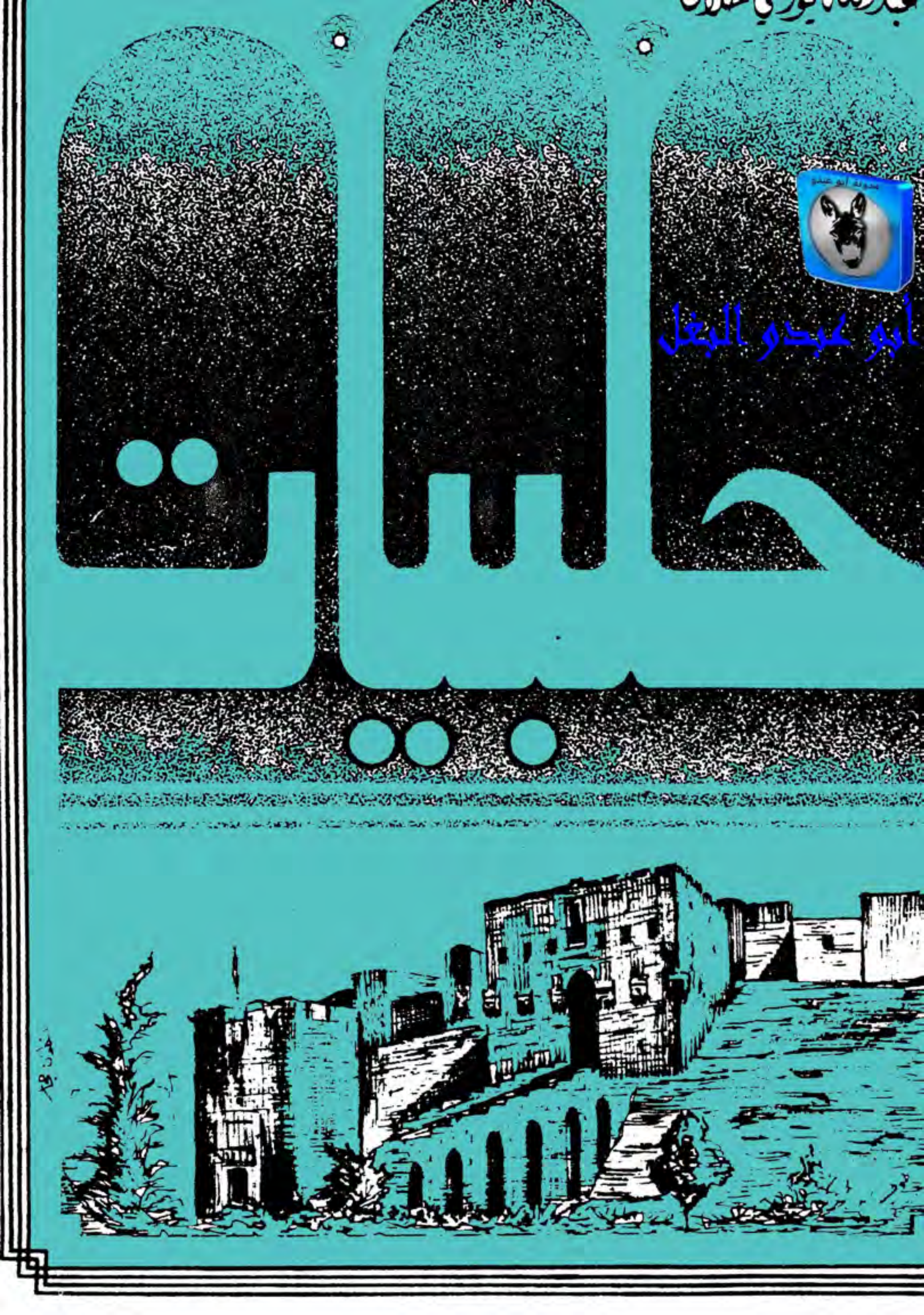

أبو عبدو البغل



بقلم

عبد الله يوركي حلاق

صاحب مجلة الضاد ورئيس تحريرها



منشورات مجلة الضاد - ١٩٨٣

المقدمة

بقلم
الدكتور طه اسحق الكيالي


الدكتور طه اسحق الكيالي

الاستاذُ عبد الله يوركي حلاق ، أشهر من أن يُعرّف . وقد شاءَ ظرفهُ وأدبهُ ، أن يقدّمَ كتابهُ هذا ، الذي وضعهُ عن حلبَ والحلبيين ، حلبيٌّ مثلهُ ، يشتركُ معهُ في حبِّ حلب ، والاهتمام بكلِّ ما يتعلق بها وبتاريخها .

إذا لم تكن حلب أقدمَ مدينة في الدنيا ، فهي من أقدم المدن في العالم .

وحسب الدراسات الهندسية ، والكشوف الأثرية ، تُعتبر حلب مجموعةً بل معرضاً لآثار متطابقة الواحدة فوق الأخرى ، لجميع الحضارات والمدنيات المختلفة التي عاشتها حلب أو مرَّت بها (١) . ومن هذا تبرز أهميةُ حلب الأثرية ، وضرورة الحفاظ عليها بطابعها الشرقي العريق ، وعدم إزالة أيِّ أثر أو أيِّ شاهد من معالمها الحضارية أو الاثرية .

---

(١) «سوفاجيه – حلب .

« فالمنائر » الموجودة في حلب ، والكائنة في الجهة الجنوبية منَ المدينة (حي الكلاّسة) تدلُّ على أنَّ حلب ،كانت مسكونةً في العصور الحجرية القديمة [١] .

وبموجب تصنيف العلماء للعصور الاثرية ، نجـد أنَّ الفترة القريبة من المرحلة التاريخية للعصر الحجري القديم ، توافق الألف العاشرة قبل الميلاد [٢] .

وفي مدينة ماري (الألف الرابع قبل الميلاد) وُجِدَ رقيم يتحدَّث عن معبد هام للمعبود [حَدَد] في منطقة « كلاّسو » في حلب .

وفي الألف الثالث قبل الميلاد ، ورد ذكر حلب باسم ارمان مع ابلا ، وذلك في عهد ريموش بن سارغون الاكادي .

ويقول راوفولف وكرافت وهما ألمانيان زارا حلب سنتي ١٥٧٤ و ١٥٧٥ : « دخلتْ حلبُ التاريخ منذ القرن العشرين قبل الميلاد ، وبنفس الاسم الذي احتفظت به حتى اليوم » [٣] و [٤] .

اشتهرت حلب كمركز تجاري يربط عالمين هما : عالم الشرق وعالم الغرب . واشتهرت أيضاً بآثارها وقلعتها وأبوابها وخاناتها وبيوتها ومكتباتها وامتازت بفستقها وصنوبرها وأزهارها ونباتاتها [٥] .

---

(١) صوڤاف ـ حلب .
(٢) قاموس مارابوت ـ علم البصر .
(٣) سوفاجه ـ حلب .
(٤) خير الدين الأسدي ـ حلب .
(٥) اشتهرت حلب بنوع من الصنوبر يحمل اسمها ، كما اشتهرت بنبات طبي هو المحمودة أو السقمونيا Scammonée « انظر قاموس المصطلحات العلمية الزراعية » للأمير مصطفى الشهابي .

أمّا أهلها فقد اشتهروا بالجود والكرم ونكران الذات لدرجة تجعل الضيف وكأنه صاحب البيت ، وهم يتمتعون بالذوق الرفيع واتقان الفنون والاستمتاع بها ، ولا سيما الموسيقى والغناء والطرب والشعر والأدب .

أحبّها الكثيرون من السيّاح والكتّاب والشعراء والرحالة فكتبوا عنها ، وأرخوا لها ، وتغنوا بها شعراً ونثراً ولحناً . وبهذا بزّت حلب جميعَ المدن الأثرية في العالم .

فمن الذين كتبوا عن حلب وأرخوا لها ، نذكر من العرب على سبيل المثال : ابن العديم وابنَ الشحنة وابن خطيب الناصرية وابن حجر العسقلاني وابن الحنبلي والغزي والطباخ .

أمّا السيّاح والمستشرقون الغربيون الذين زاروا حلب وأحبّوها وكتبوا عنها فهمْ كُثر ، إذ كان لها سحر خاص وجاذبية تستقطب المستشرقين ، ولا سيّما المستعربين ، لما كانت تشتهر به كمركزٍ تجاري وحضاري وثقافي وقنصلي أيضاً .

وها هي بعض أسماء أولئك الذين أعجبوا بها وأطروا مزايا أهلها : دارفيو ، بوكوك ، الاخوان رسل ، بيشوف ، سوفاجه ، وأخيراً فروشو .

ولما كان الدكتور فروشو من أواخر الفرنسيين الذين سكنوا حلب مدةً طويلة ، وأحبّها كثيراً ، وخدم أهلها في مجال الطبّ والجراحة بمنتهى الاخلاص ، فانني أنقل كلمتهُ التي قالها عن الحلبيين بمناسبة حفلةٍ أقيمت للاستاذ الفرنسي الكبير باستور فاليري رادو ، أثناء زيارته حلب ، في مطلع سنة ١٩٥٠ :

« ستجد هنا سكاناً عاملين مجدّين ، وتجاراً جديرين بحمل إرث

الحضارة التجارية ، التي جعلت حلب محطة القوافل الكبرى ، وصلة الوصل بين آسيا والغرب . ولعلّ أسواقَ حلب القديمة أبلغ دليل » .

« ستجد هنا ترحيباً حياً ، نسيجه الصراحة والبساطـــة والودّ والذكاء الناعم المصقول . وأنا واثق بأنك ستقدّر أناقـة ولطفَ ورقة وكرمَ سيدات العائلات الحلبية » .

« وستجد أيضاً ، معنىً عميقاً للثقافـــة والمعرفة المتسمة اتساعاً لا تعرفه أيّةُ مدينة غيرها في الشرق الأوسط [1] » .

وأخيراً هناك ناحية أخرى لمعت بها حلب ، وهي كونها رائـدة الشرق العربي في الطباعة العربية والصحافة والحياة الاجتماعية المترقية .

ومن طرائف ما قرأتُ عنها ، خبر الزلزال الكبير الذي حدث سنة ١٨٢٢ [2] فقد تحدث الدكتور ألبير لو برانس في كتاب له [3] عن الظواهر النفسية الخارقة التي يتمتّع بها بعض الاشخاص ، القصة التالية :

« في سنة ١٨٢٢ ، وفي أثناء حفلة شاي ضمّت السادة : فولف وباركر ودولـبس ومازبيك قنصل الداغارك في حلب ، كان الحديث يدور

---

(١) مجلة الضاد عام ١٩٥٠ ص ٦٢ . والدكتور هنري فروشو جراح فرنسي سكن حلب خلال عشر سنوات تقريباً . ونقابة الاطباء تشهد بولائه وبحبه لحلب والحلبيين . وقـد طغت شهرته لدرجة أن مستشفى القديس لويس الذي كان يعمل فيه ، ما زال حتى اليوم ، يعرّف باسم فروشو .

(٢) في الصفحات ٢٤١ ـ ٢٤٨ من مجلة الضاد لعام ١٩٣٦ بحث مسهب عن الزلازل في حلب ، وعن هذه الزلزلة المروعة التي حلت بها في أول آب ١٨٢٢ ، وعن الزجلية التي قيلت في تلك النكبة الكبرى .

(٣) د . البير لو برانس « أمواج الفكر » ـ باريس .

حول رسالةٍ وردت الى السيد باركر من الليدي ستانهوب (١) و (٢) تحذّره فيها من البقاء في حلب ، لأنّ خراب هذه المدينة قريب ، وذلك بالاعتماد على نبوءةٍ قالها الفرنسي لوستينو . والواقع أنه لم تمضِ إلاّ أيام قليلة ، حتى اهتزت الارض وتهدّمت المدينة وتسببت في حوالي ستين ألف وفاة . وقد نجا باركر بأعجوبة .

وبالعودة الى كتاب الاستاذ عبدالله يوركي حلاق ، نجده تاريخاً فذّاً يحوي كلّ ما تميّزت به حلب . فبعد أن تكلم بأسلوب أدبي ممتع ومشوّق عن حلب واسمها واشتقاقه ومصدره ، وعن دورها في التاريخ القديم والحديث ، أخذ يعدّد كلّ ما اشتهرت به مدينتنا وأهلها وقلعتها وأبوابها وأسوارها وأسواقها وخاناتها وبُنائها ، وعن معظم ما يمتّ اليها بسببٍ من الاسباب الوجيهة .

وإنّا لنجدُ متعةً وفائدة كبيرتين في حديث مؤلف هذا الكتاب، عن عادات الحلبيين وتقاليدهم في الخطبات والاعراس والنزهات ، وعن الحياة الادبية في حلب ، وعن نشأة الصحافة فيها منذ عام ١٨٦٧ الى اليوم .

ومما يدعو الى الاعجاب ، تلك الاوليات الحلبية التي أحصاها بدقةٍ ابتداءً من سنة ٧٦٣ م الى ١٤ تشرين الاول ١٩٨٣ ، وذلك البحث الجميل الذي تحدّث فيه عن الطرب في حلب ، وعن « اسقِ العطاش » ورقص السماح ، وعن عددٍ من أشهر المطربين والموسيقيين الذين كان لهم دور بارز في صوغ أرقّ الالحان ، ونظم أبدع الموشحات ، وإدخال بعض الفنون الموسيقية إلى مصر .

(١) منجد الاعلام : الليدي ستانهوب سيدة انكليزية اقامت في صحراء تدمر . كان لها شأن مع حكام البلاد كالأمير بشير وابراهيم باشا المصري وعند أمراء الدروز .

(٢) محمود السمرة ــ غربيون في بلادنا .

ولم ينسَ المؤلف « الحلبيين في المهجر » بل أشاد بهم ، وذكر نخبةً ممن نبغ منهم في مختلف مجالات العلم والفن والأدب والتجارة والصناعة ، والوطنية الحقّة ، ونوّه بجهاد الاسقف المناضل المطران ايلاريون كبوجي ، وبعبقرية المخرج العالمي مصطفى العقاد ، والاثنان من مواليد حلب ، ومن اكثر أبنائها برّاً بها ، وعملاً على توسيع آفاق شهرتها في سائر أنحاء المعمور .

وفي ختام الكتاب ، نرى طائفة من القصائد التي وصف المؤلفُ بها حلب ، وتغزل بحسنها وحسانها .

وبمجمل القول ، فانَّ الاستاذ عبدالله ، قد جمع في تاريخه ، بينَ الماضي والحاضر ، ووضع أمامنا صورةً حيّةً عن حلب في القرن العشرين ، وعن حياتها الاجتماعية والأدبية والفنية ، وعن أحسن ما قاله فيها أفذاذ أهل الفن والأدب والتاريخ .

والاستاذ عبدالله يوركي حلاق ، علاوةً على كونه المؤرخ الوحيد لهذه الفترة من تاريخ حلب ، فهو عميد الصحافة الأدبية والشعرية ، وعميد التاريخ الاجتماعي والفني في حلب ، منذ أكثر من نصف قرن . إذ أنّه يعمل بمفرده على تحرير مجلتي « الضاد » و « الكلمة » وعلى قرض الشعر ، ووضع البحوث التاريخية القيمة وإعداد بعض مؤلفاته الكثيرة للطبع .

تحيّة إعجاب وإكبار للاستاذ عبدالله ، الذي يُعتَبر بحقٍّ مؤرخ حلب وشاعرها وأديبها في القرن العشرين .

وإنه لمن حقِّ حلب والحلبيين ، أن يفخروا ويعتزّوا بواضع هذا الكتاب ، وأنْ يعتبروه واحداً من أعلامهم ذوي الشهرة والنتاج الواسعين .

حلب ١٩٨٣ — الدكتور طه اسحق الكيالي

حلبيات

ما فتّق قلبي ، وشحذ فهمي ، وصقل ذهني ، وأرهف لساني ، وبلغ بي هذا المبلغ ، إلا تلك الطرائف الشامية ، واللطائف الحلبية ، التي علقت بحفظي ، وامتزجت بأجزاء نفسي .

أبو بكر الخوارزمي

لم أعنِ بكلمة [حلبيات] التي اخترتُها عنواناً لكتابي هذا ، بنات حلب ذوات القامات الطويلة ، والوجوه الجميلة ، المزدان بعضها بالعيون الخضر ، وبعضها الآخر بالعيون السود ، والجفون الناعسة والأهداب الفاحمة ، ولا عنيتُ ، سيدات حلب المتحلّيات بالحسن واللطف والثقافة العالية ، والمُطلعات على أحدث ما أنتجته المطابع العربية والاوروبية ، من كتب الأدب ، ودواوين الشعر ، ونشرات الأزياء ، ولا قصدتُ « علوةَ » حبيبة البحتري ، ولا الأميرة « خولة » شقيقة سيف الدولة الحمداني . وكانت شديدة الاعجاب بالمتنبي وشعره ، تسمع هي ووصيفاتها الرشيقات ، من وراء الستار ، ما ينشدهُ من خرائد فرائد في مدح أميرهنَّ المفدّى ووصف بطولته ومعاركه وانتصاراته .

ومع أني متيّمٌ رغم المشيب ، بحسان بلدي ، ومعجبٌ بمثالية المرأة الحلبية ، ورقّة طبعها ، وروعة استقبالها لضيوفها ، وحبّها الوافر لبيتها وأسرتها ووطنها وللانسانية جمعاء ، فاني قصدتُ بعنوان مؤلفي أبحاثاً ومقالات وبيانات وثائقية ، تلقي أضواء كاشفةً على ما انطوى من عصور الشهباء ، وعلى ما انتهت اليه اليوم من تقدّم في مختلف ميادين المعرفة والصناعة والعمران . فكتابي إذن ، ليس تاريخاً بالمعنى الدقيق لكلمة التاريخ ، ولكنه فصول متنوّعة تجمع على صعيد واحد ، التاريخ والأدب

والفنُّ والصحافة وبعضَ ما عُرِف من عاداتنا وتقاليدنا ، وحياة مغتربينا ونبغائهم . وقد توخيتُ في كلِّ ما كتبتُ الصدق ، وبينتُ فضلَ حلب ، وما وصفت به من نثرٍ وشعر ، حتى ظنَّ بعضُ من لا يعرفني، أنني إقليمي أبالغ في مدح بلدي وأبنائه .

والحقيقةُ ، أنني عربي وحدوي مخلصٌ لديني ولدين الأكثرية الساحقة من أبناء امتي ، معتزٌّ كلَّ الاعتزاز بقوميتي ووطنيتي ومشاعري المتجهة دوماً الى الخير ، محبٌّ لمدينتي حلب ، ولبيتي المتواضع فيها ، لا أطيقُ البعاد عنها ، ولو كنت في أرقى بلاد المعمور .

ومما لا ريب فيه ، أن بين المرء ووطنه ، رابطةً وثيقة لا تنفصم عراها ولا تتقطَّع اواصرها ، لأنها نسيج الروح ، ونتاج العاطفة النابعة من صميم الفؤاد .

وإنَّ كلَّ ذي شعورٍ نقيٍ ، وإحساسٍ مرهف ، يحبُّ الأرض التي نشقَ هواءَها ، والبيت الذي أبصر نور الوجود فيه ، والذي نما وترعرع تحت سقفه وبين جدرانه .

وقد أتيح لي ، أنْ أزور بعضاً من أكبر عواصم أوروبا والاميركتين : الجنوبية والشمالية ، وأنْ أطوف بحدائق فرساي واللوكسمبورغ وجنيف واوتاوا عاصمة كندا ، وأنْ أمضي نحو اسبوع ، في جبال الاندس المشهورة بقممها الشاهقة وأحراجها الكثيفة ، وشلالاتها البديعة وبحيراتها الصافية ، وطبيعتها الخلاَّبة ، فلم تكن كلُّ تلك المناظر الفاتنة تشغلني عن وطني السوري ، وعن بلدي الوادع ، وعن منزلي الصغير ، وعن حديقتي التي لا تجد فيها في عزِّ الربيع ، أكثرَ من عشر وردات وعشر شجرات ، وعريشة من الياسمين تستمد للعطاء .

هنا في بيتي ألوذُ بمكتبتي ، وأجد فيها كتباً كلما زدتها حباً زادتني نفعاً ، وابعدت عني السآمةَ والملل ، وحثتني على العمل والانتاج .

في هذه المكتبة ولدت فكرةُ وضع هذا المؤلف ، فأنا عربي سوري من حلب ، وقد كتبتُ الكثيرَ عن العرب ، فلماذا لا أحبس نفسي ، وأجمع ما كتبتُ عن مسقط رأسي ، وأضيف إليه ما لا بُدَّ من اضافته ليأتي كتاباً فيه من التاريخ القديم شيء ، ومن الادب والطرب والتاريخ الحديث أشياء .

واتكلتُ على الله ، وبدأت العمل ، واتسع أمامي المجال ، وظهرت أمامي موضوعات لو نشرتها كلها ، لاحتجت إلى ستمائة صفحة على الاقلّ ، ففي جعبتي جزازات دوّنتُ فيها ما كان يجب أن أكتبه عن عصر سيف الدولة ـ وهو عصر حلب الذهبي ـ وعمن كان يحضر مجلس ذلك الامير من علماء وشعراء ومتفننين ، وعن أعظم كتّاب الشهباء وأدبائها القدامى والمحدثين ، وعن متحف حلب ، وعما فيها من متاحف خاصة ، كمتحف الدكتور أدولف بوخه ، ومتحف السيد جورج فتحي انطاكي ، وعن وصف الدور الاثرية الباقية في مدينتنا ، وعن هاتيك المعالم والماديات المنتشرة حولها أو على مقربةٍ منها ، كدير سمعان العمودي ، ومكتشفات ايبلا ، وقلعة جعبر (١) وغيرها كثير .

بَيْدَ أني اكتفيت الآن بما أثبتّه في هذا الكتاب ، حتى اذا بقيَ في سراج العمر زيت ، أكملتُ الطريق ، ووضعتُ كتاباً آخر يشتمل على أبحاث تكون دليلاً جديداً على تعلقي الوثيق بالشهباء موطن الآباء والاجداد .

---

(١) انظر ما كتبه عن هذه القلعة الأديبُ المعروف الأستاذ زهير طحان . الضاد ـ العدد ١٢ / ١٩٨١ ص ٣٤ ـ ٣٧ .

ولقد سألت نفسي مراراً : منْ يقدّم كتـابي هذا إلى القرّاء ؟ ومَنْ يقول فيه الكلمة التي يستحقّها هـذا الجهد المتواضع ؟ فقد اعتاد الناس أن يروا لكثيرٍ من التواريخ والكتب الادبية والدواوين الشعرية، مقدّمات تدلّ عليها ، وتشير إلى أعمـال مؤلفيها ، وقد سبق أن قدّم بعضَ ما طُبِـعَ من كتبي ، ثلاثةٌ من أعـلام أدبنا العربي المعاصـر . فمجموعـتي القصَصية الاولى [الزفـرات] المطبوعة عام ١٩٣٣ صدّرها بكلمةٍ قيمّة شاعرِ الشباب الاستاذ عادل الغضبان . وديواني الاول[خيوط الغمام] الذي طُبِـع سنة ١٩٤٢ مرتين بالالوان ، كتب مقدّمتَهُ المنشئ البليغ والناقد الفذّ الاستاذ كرم ملحم كـرم . وديواني الثاني [حصاد الذكريات] وقد طبـع في سنة ١٩٦٦ مرتـين أيضاً ، زينهُ بمقدمـةٍ رائعة ـ بلغت ١٦ صفحة ـ شاعرِ الاهرام وعضو مجمع اللغة العربية في القاهرة ، الاستاذ محمد عبد الغني حسن . ويُعتَبرُ اليوم بحقّ ، من اكبر شعراء العرب ، وأوفرهم انتاجاً وإبداعاً في حقلي الشعر والنثر .

وشاء المولى ، أنْ يطلعَ الصديق العزيز الدكتور طـــه اسحق الكيالي على عددٍ من ملازم كتابي هذا وهي تحتَ الطبـع ، وأن يدرك بذكائه الفطري ، وبحاسته السادسة ، ما يجول في خاطري حول مقدّمةِ الكتاب ، وإيجاد من يدبجها بقلم الباحث المنصف .

وسمّيتُ له أديباً كبيراً تشدني اليه ، وتشدّه إليّ أواصر المحبّـة والمودة والاعجاب المتبادل، فأثنى الدكتور طه على ذلك الأديب الذي يقرأ له في مجلة [الضاد] قصائد عامرة ، وقال لي : إنّ منْ ذكرته غيرُ حلبي ، والأفضل في رأيي ، أن يتولى كتابة مقدمة [حلبيات] باحث من أبناء حلب نفسها ، لأنه أدرى بها وبتاريخها وبمآثر أهلها من سواهُ .

وهنا لمت في ذهني فكرةٌ ، ما لبثْ أنْ فاتحتُ بها الطبيـــب

الباحث ، وهي أن يضعَ هو المقدمة المنشودة ، وأن يقول في الكتاب كلمتَه بصراحة . فأنا أحبُّ الحقَّ ، ولا أكره النقدَ البنّاء ، بل أميل اليه ، وأرغب فيه ، لأفيدَ منه في طبعةٍ مقبلةٍ ، أو في عمل أدبي آخر .

ولم أفاجأ بقبول الدكتور طلبي ، لأنني كنتُ واثقاً بأريحيته وصدق ودِّهِ ، ومتعوّداً على لفتاته السمحة ، ونصائحـــه المفيدة في كثير من الشئون الصحية والاجتماعية .

ومع أن الدكتور الكيـالي لا يحتاج الى تعريف ، ولا يفتقر إلى بيان ، فلا بُدَّ لي من أن أقول في هذا الانسان الكبير بعلمه وفضله ، كلمةً صغيرةً ، لا لأوَفيه بها بعض حقّه ، ولكن لأضعَ أمام قرّائي في الوطـــن العربي والمهاجر الاميركية ، شخصيةً حلبيّة جديرةً بأن ينوّهَ القلمُ باسمها ، وأن يشيد بمآثرها .

والمعروف أنَّ الدكتور طه ، من أسرةٍ عربية حلبيّة عريقة في كرم المحتد ، وسعة المعرفة ، ذو ماضٍ مجيد حافل بالنشاطات العلميـــة والمسلكية ، منها أنـَّهُ بقيَ من سنة ١٩٥٢ الى سنة ١٩٥٤ رئيساً لأطباء المستشفى الوطني بحلب ، وافتتح في بدءِ رئاسته ، أول مدرسةٍ للممرضات تابعة لمديرية الصحة .

وبين عام ١٩٦٢ وعام ١٩٦٤ ، أصبحَ مديراً للصحة بحلب وانتخبَ نقيباً للاطباء فيها . وعندما أُنشئت كلية الطب التابعة لجامعة حلـــب ، كُلِّف بتدريس مادتي تاريـخ الطبّ ، والاخلاق الطبّية ، فقام بهـــذه المهمة ابتداءً من عام ١٩٧٠ وما زال قائماً بها على أحسن وجـه وأشرف قصدٍ ، واشترك في العديد من مـؤتمرات الطب الباطن والتخدير ، ولا سيما مؤتمرات تاريخ العـلوم والطب في حلب ودمشق وادنبره وبرشلونـة

وبوخارست واسطنبول وباريس .

وطبيبنا الدكتور طه ، محبٌّ للبحث الجاد ، والدراسات العلمية . وقد كان في جملة مؤسسي معهد التراث العلمي العربي ، والجمعية السورية لتاريخ العلوم ، وله في حقليها، أيادٍ بيض ، وخدمات جُلّى ومحاضرات نفيسة ، منها « أرجوزة ابن سينا في الطب » و « الزهراوي » و « من مشاكل التعريب في المصطلحات الطبية » .

أمّا مؤلفاته المخطوطة ، فتتسم بعمق التفكير ، ودقّة التحليل ، وسعة أفق المعرفة . من أهمّ تلك المؤلفات :

١ ـ تاريخ الطبّ والأطباء في حلب الشهباء .

٢ ـ معجم حلب للأعلام .

٣ ـ محاضرات في تاريخ الطبّ لطلاب السنة الخامسة في كلية الطب .

ونحنُ نتساءل : لماذا لا تبادر جامعةُ حلب، الى طبع هذه الكتب تعميماً لفائدتها ، وخدمةً للعلم والتاريخ ولكلية الطب البشري في الجامعة نفسها .

والحقّ ، أن الدكتور الصديق غمرني بلطفه ، عندما صدّر كتاب [حلبيات] بكلمة خلع عليَّ فيها أكثر مما استحقّ من حلل الوصف والثناء . ولا شكَّ أنه نظر إليَّ بعين رضاه ، فأحسن الظنَّ بي وبهذا المؤلّف المنطوي على بعض ما امتازت به حلب من أمجاد ، وعلى وصف مسيرتها الطويلة في دروب التاريخ ، وثباتها الرائع أمام ما انتابها من محن وارزاء ، وعلى تفوّق ابنائها في مضامير العلم والفن والأدب والنزال ، وانتصارهم البطولي على أعداء الحق والمروءة .

حلب ، هذه المدينة الوادعة المضطجعة على ساعد السهل الفسيح ، والممتدة على تخوم الصحراء ، والمحاطة بكروم الفستق والعنب والتين ، وبحزام أخضر من الحدائق والرياض والبساتين .

حلب التي سمعت فرائدَ أبي الطيِّب المتنبي ، وأبي فراس الحمداني ، وأبي بكرٍ الصنوبري ، وأقوال ابن نباتة الخطيب الخبير بأسرار البلاغة وأفانين الكلام .

سيادة محافظ حلب

الأستاذ : محمد نور موالدي

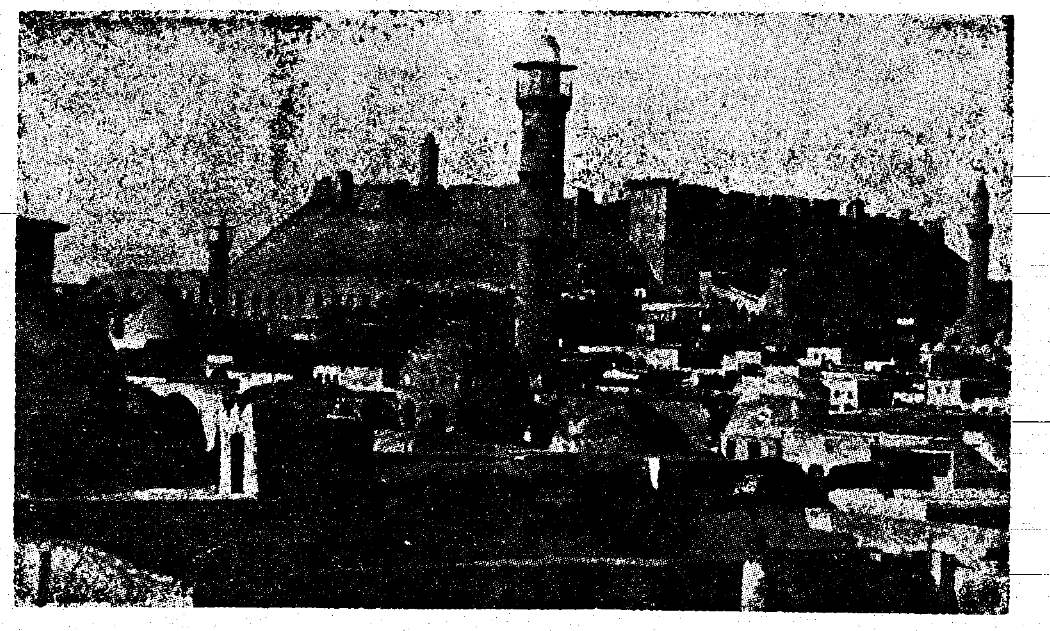
حلب التي ردَّت الروم ، وقهرت العثمانيين ، وقارعت المستعمرين ، وأنجبت أبطالاً ميامين خاضوا أعنفَ المعارك ببسالة وإباءة وشرف ، وكتبوا بدمائهم الزكية ، أسمى آيات الفداء ، إلى أن نالت سورية الاستقلال وحققت الجلاء .

حلب مثوى هنانو والجابري ورفاقهما الأشاوس ، تمتزُّ بماضيها التليد وحاضرها المجيد ، وبأبنائها البررة الباقين فيها ، أو النائين عنها بأجسادهم ، أمَّا أرواحهم وأفكارهم فعالقة بها ، ومشوقة الى لثم ترابها .

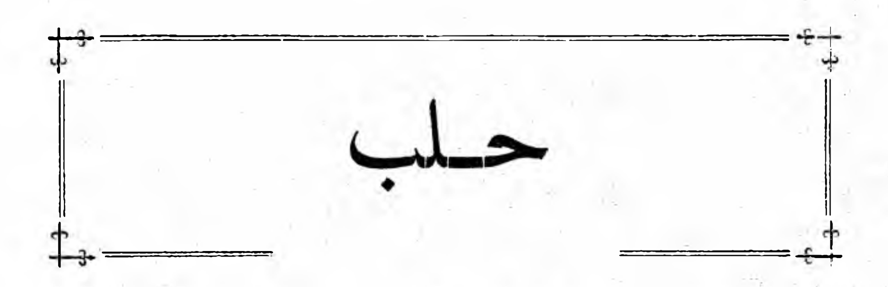
فإلى محافظ حلب السيد محمد نور موالدي ، وإلى رئيس مجلس مدينتنا المهندس محمد ناجي العطري ، وإلى كلِّ حلبي تحت كل سماء ، أهدي كتابي [**حلبيات**] ذكرى محبةٍ خالصة ، وودٍّ مقيم .

حلب في ٢٤ / ١٠ / ١٩٨٣





حلب القديمة وقلعتها الشامخة



حلب

إن لم تكن حلب أقدمَ مدينة في الدنيا ، فهي من أقدم مدن العالم حتماً ، وكانت من أكثرها تقدّماً وازدهاراً لموقعها الجغرافي الممتاز بين الشرق والغرب .

على هذا اتفقَ كبارُ المؤرخين ، ومشاهير الباحثين والمدققين وعلماء الآثار ، وذكروا أنَّ اسم حلب ورد في الكتابات الحثية في الألف الثاني قبل الميلاد كعاصمةٍ لمملكة « يمهاد » . وقد احتلّها الحثيون نحو سنة ١٦٠٠ ق . م . وبعد زوال الامبراطورية الحثية ، استولى عليها الآشوريون ، ثم فتحها الاسكندر المقدوني عام ٣٣٣ ق . م . وفي سنة ٦٥ ق . م . فتحها الرومان ولكنَّ الفرسَ اجتاحوها وخربوها عام ٥٤٠ ميلادية . وبعد سبع وتسعين سنة أي في عام ٦٣٧ م . فتحها العرب ، وجددوا ما هُدِم من مبانيها ومعاهدها وأسواقها وأسوارها وأضافوا الى قلعتها حصوناً منيعةً جعلتها من أشهر القلاع وأجملها في الوطن العربي .

وعرفت حلب عهد ازدهار رائع ، في زمن سيف الدولة الحمداني (٩١٥ - ٩٦٥ م) الذي انتزعها من الاخشيديين ، وبسط نفوذه على سورية الشمالية عام ٩٤٥ م . وفتح قصره لصفوةٍ ممتازةٍ من العلماء والشعراء والموسيقيين ، وعلى رأسهم أبو الطيّب المتنبي ، وأبو فراس الحمداني ابن عم سيف الدولة ، وابن خالويه ، وابو نصر محمد الفارابي ، وكان

فيلسوفاً كبيراً متضلعاً من الرياضيات والموسيقى . ويُقال إنه لم يجتمع قطُّ بباب أحدٍ من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع بباب سيف الدولة ، من شيوخ الشعر ونجوم الدهر (١) . وكان سيفُ الدولة يشجِّعهم ، ويُغدقُ عليهم صِلاته السخية وعطاياه الكثيرة ، حتى أنَّ أبا الفرج الاصبهاني (٨٩٧-٩٦٧ م) قدَّمَ اليه كتابه « الأغاني » فأجازَهُ بمبلغٍ كبير من الذهب .

ولما انتهى حكم الحمدانيين ، تعاقبت على حلب دولٌ عديدة ، وتنقّلت المدينة من حكم الفاطميين . الى حكم المرداسيين ، الى حكم الاتراك السلجوقيين ، الى حكم الصليبيين الذين عجزوا عن اقتحام قلعة حلب والاستيلاء عليها .

وفي عام ٥٢٢ هـ ١١٢٨ م . استنجد الحلبيون بعمادالدين زنكي أمير الموصل ، فاستطاع ابنه نورالدين زنكي أن ينتصر على الصليبيين ، وأن يحكم حلب حتى وفاته عام ١١٧٤ م ، فانتقلت المدينة من بعده ، الى صلاحالدين الأيوبي ، الذي جعل ابنه الملك الظاهر « غازي » ملكاً على حلب ، فاهتمَّ بها ، وأخذ يجدِّدها ويجملها ويقيم من حولها الاسوار . وهو الذي عنيَ بهندسة القلعة ، وتخطيط أهم أقسامها ، وحفر خندقها .

وفي زمن الأيوبيين ،اشتهر في حلب أبو المحاسن بن شدَّاد ، الذي تولّى أرفع المناصب الادارية والقضائية على عهد صلاح الدين الايوبي ، وعلى عهد الظاهر بن الناصر ، فشيَّد في حلب ، عدداً من المدارس ، زادها من جاء بعده من محبي العلم والاصلاح ، حتى بلغ عددها ثلثمائة مدرسة جعلوا لها أوقافاً غنيَّة ، حتى دُعيت الشهباء (حلب الاوقاف) . وأول مدرسة عُرفت

---

(١) الثعالبي في « يتيمة الدهر » .

فيها ، هي المدرسة الزجاجية ، بناها سنة ٥١٦ هـ ١١٢٢ م . بدر الدين سليمان بن أبي الربيع حاكم حلب .

وفي عام ١٤٠١ اجتاح « تيمورلنك » حلب ولكن اقامته فيها لم تطل . وانتقل الحكم إلى المماليك ، وظلوا فيها حتى الغزو العثماني عام ١٥١٦ . وفي عام ١٨٣١ استولى على حلب ، ابراهيم باشا المصري ابن محمد علي باشا ، واحتفظ بها حتى عام ١٨٤٠ ، ثم رجع إلى مصر تحت ضغط بعض الدول الاوروبية . فعادت حلب ولايةً عثمانية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) وقد دخلتها جيوش الشريف حسين ، بمساعدة الحلفاء . ثم فرضَ على سورية ولبنان الانتداب الفرنسي الذي قاومه السوريون واللبنانيون ربع قرنٍ ظفروا بعده باستقلالهم الناجز التام .

اسم حلب :

ولكن هل عُرفت حلب باسمها هذا من أقدم الأزمنة ؟

يقول صبحي الصواف : « عرفت حلب في منتصف الألف الثالث ق . م . باسم ارمان وحلبأيا وحلاّب لدى الاكديين ، وحلاّب وحلاّ لدى السومريين . وكان الحثيون والميتانيون يسمونها حَلَبا وحلباس ، والمصريون حرب ، والآشوريون حلوان . وكل هذه الاسماء سامية » .

ويقول عيسى اسكندر المعلوف في مقال له نشر في مجلة الضاد (١): « إن اسم حلب سامي (خاليبون) أو (حلبون) بمعنى الخصيبة . ولعل العرب عربوا كلمة (حلبا) السريانية بمعنى البيضاء فقالوا حلب . ولما

---

(١) الضاد - العدد ٤ عام ١٩٣٦ ص (١٤٥) .

استولى السلوقيون ـ خلفاء اسكندر المقدوني ـ على بلادنا ، سمّوا حلب (بيريه) أو (باروا) أو (بيروه Beroe) باسم مدينة يونانية في تراقي[١]، ولكنّ الوطنيين اهملوا الاسم اليوناني ، وعادوا إلى الاسم السامي ، فأطلق العرب كلمة (حلب) وذكروها في تواريخهم وأشعارهم بهذا الاسم إلى يومنا .

على أن الأمير مصطفى الشهابي ـ وكان محافظاً لحلب ، ورئيساً للمجمع العلمي العربي بدمشق ـ قال في محاضرة له نشرها في مجلة « الكلمة » ما نصّه :

« والحقيقة إن لفظة حلب آرامية ، وان الآشوريين والمصريين الاقدمين سموها (حلبو) وسماها الروم (بيروا) . أما لفظة الشهباء فمن الشهب ، وهو بياض يتخلله سواد . قيل سميت بها لبياض تربتها وحجارتها[٢] » .

وذُكر اسمها في الآثار المصرية منذ القرن السادس عشر قبل الميلاد على شكل (خرب) في ترجمة حياة القائد امنمحب . وفي القرن الثالث عشر ق . م . ورد اسمها مراراً بشكل (خلبو) في نصٍّ يرقى إلى زمن رعمسيس الثاني ، وصفَ رحلةً قام بها أحد المصريين إلى سورية الشمالية . ومن زمن الفرعون نفسه رقم يشير إلى أن الفرعون انتصر على ملك (حلبو) وكان هذا قد سار في ثمانية عشر ألف مقاتل لينجد ملوك الحثيين على المصريين في واقعة قادش ، فغلبه رعمسيس ورماهُ في نهر العاصي . ولكن الملك نجا منه بهمّة جنوده . وقد حُفِرت صورته

---

(١) بيروه : مسقط رأس فيليب والد الاسكندر المقدوني .

(٢) مجلة الكلمة عام ١٩٣٩ العدد ١ ص ٩ .

على هيكل رعمسيس فمثلته معلقاً برجليه ليتقيأ ما تجرعه من ماء النهر [١] .

وفي بعض الصكوك اليهودية ، ذكرت حلب باسم (آرام صوبا) . وهذا الاسم نفسه ورد في سِفر الملوك الثاني من كتاب « العهد القديم » .

وجاء في بعض النصوص ان حلب كانت تُدعى (حلابا) وهو قول لايستند الى أي برهان تاريخي ، أو الى أي إثبات علمي .

ونشر خير الدين الأسدي في مجلة الضاد مقالاً مسهباً حلل فيه اسم حلب تحليلاً علمياً دقيقاً نلخصه في ما يلي :

قال الأسدي : « إن حلب دُعيت في أقدم ما بلغنا من الآثار باسمها هذا : مضعَّفاً تارة (حلَّب) وغير مضعَّف أخرى » .

وبعد أن يعمد العلامة الاسدي إلى التحليل يقرِّر ، أنَّ لفظَ حلب اجتاز ثلاثَ مراحل وهي : ١ً ـ حَلْ رب ـ يعتوره الادغام ـ فيقال حَرْرَب . ٢ً ـ حَلْ لَب . ٣ً ـ حلب . أي أن حلب مشتقة من حلْ اب . يقول « حَلْ » هو المحل . و « لَبْ » ، هو التجمُّع . وبصورةٍ أكثر وضوحاً أنَّ معنى حلب هو موضع التجمُّع [٢] .

وعلى كل حال ، فان اسم حلب ، تغلَّبَ منذ الف واربعمائة سنة على جميع ما عُرِف من اسمائها السابقة ، وأثبت سيادته في كل ما كتب عنها .

---

(١) مجلة الكلمة عام ١٩٥٠ العدد المزدوج ١ و ٢ ص ٢٠ .

(٢) مجلة الضاد عام ١٩٥١ العدد المزدوج ٧ و ٨ ص ٣١٣ .

أما الشهباء فنسبة إلى بياض حجارتها ، لا إلى بقرة شهباء قالوا إنّ ابراهيم الخليل كان يحلبها في قلعتنا ويوزّع لبنها على الفقراء ، فينادي هؤلاء : حلب الشهباء .

إن هذا القول اسطورة نفاها العلم والمنطق . وقد أشرنا إلى ذلك مراراً ، ونوّهنا بمكانة حلب ، ووصفنا أهميتها الأدبيـــة والاقتصادية والصناعية والزراعية ، وذكرنا أنها عريقة في تاريخها المجيد التليد ، وأنها كانت منذ أبعد العصور ، من أهمّ مراكـز الاتصال بين الطرق التجارية في الشرق الأدنى ، لوقـــوعها في منتصف الطريق بين البحر الأبيض المتوسط ، وبلاد ما بين النهرين : دجلة والفرات . ومن هناك كانت القوافل تسير إلى ايران والهند والصين وغيرها من بلاد الشرق الأقصى .

وكانت حلب تتحكم شمالاً بممرات جبال طوروس المؤدّية إلى البلاد العثمانية ، وتُعدُّ بدايةَ الطرق المـــؤدية إلى الجنوب بواسطة وادي نهر العاصي ، ووادي البحر الميت ومنه إلى مصر وما يليها من بلدان افريقيا، وبسبب هـــذه الميزات الجغرافية ، كانت تعتبر حلب مـــوقعاً ذا أهمية استراتيجية كبيرة .

من بنى حلب ؟

بقيَ أنْ نعرفَ من بنى حلب ، وفي أيّةِ سنةٍ بُنيت ؟

ذهب بعض العلماء في ذلك مذاهبَ مختلفة لم تشفِ غليلَ الحقيقة، ولم تقنعِ الباحث المدقق . فبعضهم قال : إنها كانت قريةً لابراهيم الخليل، وإن تلك القرية كبرت وسميت « حلب الشهبـاء » بدليل أنّ في قلعة حلب مسجداً لابراهيم الخليل ، زعم بعض المولعين بالغريب ، أنّ بجانبه كان

الخليل يحلب بقرته في ساعة معلومة من مساء كل يوم ، فيتجمع الأرامل والايتام وذوو الحاجات وينادون : « حلب ابراهيم الشهباء » .

ولقد دحضنا هذا القول ، كما دحضه من قبلنا ثقاتُ الباحثين والمؤرخين كياقوت الحموي (١١٧٩ - ١٢٢٩) صاحب « معجم البلدان » و « معجم الادباء » وغيرها فقد قال : إن أهل الشام لم يكونوا في أيام ابراهيم عرباً ، إنما العربية في ولد ابنه اسماعيل عليه السلام . وقحطان . على أن لابراهيم في قلعة حلب مقامين يُزاران إلى الآن . فان كان لهذه اللفظة ، أعني حلب ، أصل في العبرانية أو السريانية ، لجاز ذلك » .

ويؤيّد تفنيد ياقوت لهذا الرأي ، أحدُ مؤرخي حلب المعاصرين ، فيقول بالحرف الواحد : « وتفنيد صاحب المعجم لهذا القول في محلّه . ومما يؤيّد ما حققناه أن حلب ممنوعة من الصرف . فلو كانت عربيةً مأخوذة من الحلْب لنُوّنت وصُرّفت . . . » .

ويقول فؤاد افرام البستاني ، وهو من كبار المدققين في الأمور التاريخية . وقد زار حلب واطلع على آثارها ومعالمها ودرس تاريخها بتعمق وانعام . يقول الاستاذ البستاني : « والراجح أنها من بناء الحثيين أرباب تلك الدولة التي ملكت سورية الشمالية منذ القرن العشرين قبل المسيح ، وتركت الآثار العديدة في نواحي حلب ، وحماة ، وحمص ، وغيرها كقادش على العاصي . وكركميش - جرابلس - على الفرات . وقد كشفت عن بعضها حفريات تل حلف ، وأرسلان طاش ، والتل الأحمر ، والنيرب وغيرها . والكثير من نتائج هذه الحفريات محفوظ بكل عناية في متحف حلب [١] .

---

(١) مجلة الكلمة : العدد المزدوج ١ و ٢ سنة ١٩٥٠ ص ١٨ .

وقال بعض علماء العرب الذين نقل عنهم كمال الدين أبو القاسم عمر ابن أحمد بن هبة الله المعروف بابن العديم (٥٨٨ - ٦٦٠ هـ ١١٩٢ - ١٢٦٢ م) أقدم مؤرخي حلب وأوسعهم شهرة : « إن الذي بنى مدينة حلب أولاً ملك من ملوك الموصل يُقال له بلوكوس الموصلي ، ويسميه اليونانيون « سردينيلوس » وكان أول ملكه سنة ٣٩٨٩ لآدم » .

وقال أبو الريحان البيروني [١] في كتاب القانون المسعودي : « بنيت حلب في أيام بلقورس من ملوك نينوى وقد ولّي على مقاطعة قنسرين رجلاً اسمه حلب بن المهر (بفتح الميم) أحد بني الحاب بن مكنف من العمالقة ، فاختطّ مدينة حلب وسماها باسمه ، وذلك سنة ٣٩٩٠ لآدم ، أي بفرقِ سنةٍ واحدة عما قاله سابقه .

ونقل ياقوت عن بعضهم : انّه كان لأحد قوّاد العمالقة ولدان : اسم الأول حلب ، واسم الثاني حمص ، فسارا وبنى كلٌّ واحدٍ منهما المدينة المعروفة باسمه .

والذي نراه ، أنّ هذا القول من الفرضيات ، لا من الحقائق التاريخية الثابتة . ونحن نميل إلى أنّ بناةَ حلب هم الحثيون ، وإنّ اسمها متحدّر من كلمة « حلبون » الآرامية ، أي البيضاء ، فقد كانت اللغة السريانية ، لغةً سامية تنتمي إلى الآرامية الشرقية ، وكانت لغة شعوب القسم الشمالي في ما بين النهرين ، ثمّ أصبحت اللغةَ التقليدية للمسيحيين في سورية . ومعظم المدن والقرى السورية ، ما زالت حتى الآن ، محتفظة بأسماء آرامية سريانية كـ « المعرة » بمعنى المغارة وغيرها كثير جداً .

---

(١) هو أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني منسوب الى بيرون وهي مدينة في السند ـ توفي سنة ٤٣٠ هـ .

وبقيت كلمة « حلبون » تدور على الألسنة ردحاً من الزمن ، حتى إذا جاء العرب ، استثقلوا ذلك الاسم فحذفوا الواو والنون من «حلبون» وقالوا حلب ، وهو الاسم السائد منذ الفتح العربي إلى اليوم ، وسيظل سائداً ما دامت الفصحى لغتنا القومية .

ومما لا ريبَ فيه ، أنَّ المدينة القديمة كان موقعها التلّ الطبيعي ، الذي تربضُ عليه قلعتنا الشامخة المطلّة بجلالها على ما يحيط بها من سهول مترامية الأطراف .

وكان من البديهي أنْ تتسعَ حلب ، وأنْ تحيــــط بها أسوارٌ حصينة تحتضن المديدَ من الأحياء والأسواق والمعابد والمدارس والمعالم الأثرية الرائعة التي جملت الرحالة الشهير محمداً بن عبدالله المعروف بابن بطوطة (١٣٠٣ - ١٣٧٧ م.) يقول : « وهي - أي حلب - من المدن التي تصلح للخلافة » . ومن قبله قال الرحالة محمد بن أحمد المعروف بابن جبير (١١٤٥ - ١٢١٧م.) : إن حلب « بلدة تليق بالخلافة » .

ولأقطاب الرحالة الغربيين والشرقيين في حلب ، أقوال تشهد بموقعها الممتاز ، وبمكانتها الزراعية والصناعية والتجارية القوية ، وبما يتحلّى به أهلها من لطف وصدق استقامة ، وبما يلقاه الأضياف عندهم من حفاوةٍ حسنة ، وترحيب جميل ، وكرم عربي أصيل .

وبكلمة صغيرة موجزة نقـول : إن حلب مدينة متمسّكة بمروبتها ، وإن أبناءها أناس مجبولون على الجود والفضل والنزاهة ، وقد اطلعت حلب أبطالاً ميامين ، ناهضوا الاستعمار على مختلف أشكاله وتعدد اسمائه ، وبذلوا دماءهم واعزّ ما يملكون في سبيل عزّة قومهم ، ورفعة مدينتهم ، وكرامة وطنهم العربي الكبير .

حلب القديمة بمآذنها الرائعة

مزار الشيخ ابي بكر وتحته الثكنة وبعض البيوت والاشجار في الرمضانية

وصف حلب وآثارها

وصفَ حلب كثيرٌ من المؤرخين والمستشرقين والرحّالة : العرب والافرنج والعجم ، منهم ناصر خسرو القباذياني المروزي الفارسي . وصفها في رحلته عام ٤٣٧ هـ ١٠٣٥ م .

ومن أقدم من وصفها من الافرنج عام ١٥٦٣ قيصر فريدريك البندقي . وكان بين حلب والبندقية اتصال تجاري وثيق . وما زال في حلب حتى اليوم خان يُدعى خان البنادقة ، وهو في حال جيدة من البناء . وكان مقرّاً لتجار البنادقة ، ومحطةً للقوافل القادمة من تلك المدينة الايطالية القائمة على مجموعة من الجزر المنتشرة في شمالي بحر الادرياتيك .

وممن وصف حلب قديماً ، دارفيو وكان قنصلاً لفرنسا في حلب عام ١٦٨٣ ، وقد كتب عنها ستة مجلدات ، وقال ان سكانها كانوا ٢٨٥ ألف نسمة ، منهم ٣٥ ألف مسيحي و / ٢٠٠٠ / من اليهود ، وان النقود كانت تُضرب في قلعة حلب ذهباً وفضة ، وانها من المدن المهمة الفنية بالآثار الرائعة . ويُعتبر كتاب دارفيو من أهم ما كتبه الاجانب عن حلب وآثارها .

وزار الشرق في سنة ١٦٣٠ أربعة فرنسيين م : « فرمانيل » مستشار برلمان نورمانديا ، و « فافيل » محاسب تلك المقاطعة ، و « بودوان دي لوناي » سيد اودوفيل ، و « ستوشوف » سيد سانت كاترين . وقد ألفوا حول سياحتهم كتاباً طبع في سنة ١٦٧٠ عند السيد

جان فيريه كتبي الملك . والصفحات القليلة المختصة بحلب ، تعطينا فكرةً عما كانت عليه مدينتنا في عام ١٦٣٠ [1] .

حلب هي أهم واجمل مـــدن تركيا . وتُعدُّ أحسن مدن الشرق عمارةً وأوسعها تجارةً ، تأتيها البضائع بكثرةٍ من الهند والعجم وبلاد التتر وبلاد الأحباش .

يزيد عدد سكان حلب على المائتي ألف نسمة ، ومعظم شوارعهـا تُستعمل كأسواق وخصوصاً المغطاة منها والمسقوفة بسبب اشـتداد الحر ، فيستطيـع المرء أن يتجوَّل فيها بدون امتعاض ، وفوق ذلك فان النـاس يكثرون من صبّ الماء أمام البيوت مما يسبب الرطوبة في الشوارع الـتي تغلق في كل مساء .

البيوت فيها أجمل من غيرها في سائر تركيا ، لأنها مبنيـة من الحجر المنحوت ومغطاة بأسطحة بديعة اعتاد السكان أن يناموا عليها طيلة فصل الصيف ، فيتلذذون بسماع البلابل التي لا تغرد إلاّ في الليـــل . وجميـع هذه الأسطحة يتصل بعضها ببعضها الآخر ، بحيث يُستطاع التجوُّل فوقها في قسم كبير من المدينة .

وأسباب الراحة مستتبة في المدينة . ويجد المسافر كل ما يشتهيه ، والمياه فيها غاية في الجودة ولكنها قليلة . ولها نهر صغير يجري في داخلها فيجلب لها شيئاً من الراحة . والمدينة مدورة تقريباً ، يحيط بهـا سور لا بأسَ به .

ثمَّ جاء هنري موندرل فوصفها عام ١٦٩٧ وأشاد بموقعهـا . ومن

---

(١) الضاد : العددان ٥ و ٦ سنة ١٩٣٢ ص ١٦٢ .

أشهر من كتب عن حلب بدقـــةٍ وأمانـة واسهاب ، طبيبان شقيقان انكليزيان هما ألكسندر وباتريك رسل تعاقبا على تطبيب الجالية البريطانية في الشهباء ، ستاً وعشرين سنـة ، أي من عام ١٧٤٢ الى عام ١٧٦٨ ، فكان من الطبيعي ان يُلما خلال هذه المدة الطويلة ، إلماماً تاماً ، بأحوال سكان هذا البــلد ، وبمختلف عاداتهم وتقاليـدهم ، وبكثير من شئونهم الحياتية والاجتماعية والثقافية . وقد دوّن الاخوان رسل ، انطباعاتهما عن مدينتنا ، في كتابين ضخمين نفيسين من القطع الكبير ، صدرا في طبعتين متقدمتين : ظهرت الطبعة الاولى منها في لندن سنة ١٧٥٦ ، والثانيـة في لنـدن أيضاً سنة ١٧٩٤ ، وقـد لقيت هاتان الطبعتان ، أوفر قسط من الاعجاب ، وصارتا تعدّان من الكتب التاريخية النادرة .

وفي الحقبة الواقعة بين كانون الثاني سنة ١٩٤٦ ، وبين حزيران سنة ١٩٥٣ كان الاديب الحلبي الكبير الاستاذ وديـــع عبدالله قسطون قد نشر في مجلة « الضـاد » سلسـلةً من المقالات بعنوان « الافرنج في حلب في القرن الثامن عشر » اقتبس معظمها من الكتاب الكبير الذي وضعه الطبيبان الاخوان (رسل) عن حلب ، والكتاب بذيليه ، وكما يدلُّ عليه عنوانه الكامل « لا يقصر أبحاثه على الافرنج ، بل يتجاوزهم الى مواضيـع شتّى » ففيه وصف للطاعون الدملي الذي اجتاح حلب أيام إقامة الطبيبين الأخوين فيها ، وفيه حديث مسهب عن الولايات العثمانية في ذلك الزمن ، وعن الانكشارية وتاريخهم المليء بالمآسي والمخازي ، وفيـه حديث خاص بولاية حلب في القرن الثامن عشر ، وما تبعه واشتقَّ عنه من الكلام على رجال الحكم فيها ، وعلى السادات وعلى الآغاوات ، وعلى حياة القرى ، وعلى التجار والصناع ، وعلى العقوبات بمختلف أنواعها .

وفي أواخر عام ١٩٦٩ جمع وديع قسطون رحمه الله ، ما اختاره

وعربه من كتاب الاخوين رسل ، جمعه في كتاب سماه « الافرنج في حلب في القرن الثامن عشر » وطبعه في مطبعة الضـــاد . وتولى كتابة مقدمته صاحبُ كتاب « حلبيات » ، وذكر مكانة حلب ، ونوّهَ بمجدها الأدبي التليد ، وبتاريخها الحافل بالعلوم والبطولات والصناعات النفيسة ، وأشار الى أنها كانت تنافس كبريات المدن العربية ، بمن نبغ تحت سمائها ، من كتّاب وشعراء ورجالات الفكر والفنّ والصناعة والتجارة ، حتى قال فيها الرحالة الشهير محمد بن عبد الله المعروف بابن بطوطة (١٣٠٣ ـ ١٣٧٧)[1] صاحب كتاب « تحفة النظّـار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار » إن حلب « هي من المدن التي تصلح للخلافة » .

والحقّ ، أنّ حلب ، كانت تمتـاز بموقع جغرافي ممتاز ، جعلها ـ قبل فتح قناة السويس ـ أقصر طريق للقوافل التجارية ، بين الغرب والشرق الأقصى ، كما كانت تمتاز بهندسة البنـــاء ، وبصناعـة الورق والقاشاني والأسلحة الخفيفـة وتطعيم الخشب والنحاس وحياكة الأنسجـة الحريرية والصوفية والقطنية مع رقمها وصقلها .

ويروي السائح الفرنسي دو رازل De Razel الذي زار الشهبـاء في منتصف القرن الثامن عشر ان حلب « أكبر مدينـة تجارية في جميـع بلاد السلطان » . ويؤيّده في ذلك مواطنـه بوجولاد Poujoulat الذي زار المدينـــة نفسها ، فيقول : « إنّ حلب كانت في سنة ١٨٠٠ أهمّ مدينة في المملكة العثمانية » .

ومن الذين ذكروا حلب وأعجبوا بها الشاعر المبدع وزعيم الحركة

---

(١) يقول بعض المؤرخين إنه ولد عام ١٣٠٤ وتوفي عام ١٣٧٨ .

الرومنطيقية الفونس دي لامارتين Lamartine ، وثيودور نولدكه Noeldeke المستشرق الألماني الذي اشتغل في اللغات السريانية والعربية وألف كتباً قيّمة منها « تاريخ القرآن » الكريم و « تاريخ أمراء غسان » .

وهناك مستشرق ألماني آخر هو البارون فون اوبنهايم B. Von Oppenheim نقّب في تلّ حلف في سنة ١٩١١ و ١٩١٣ و ١٩٢٩ ووصف رحلته « من المتوسط الى الخليج العربي » ولم يفته أن يأتي على ذكر حلب ومكانتها التاريخية والأثرية .

وقبل هذين المستشرقين قام مواطنها الدكتور تيدور بيشوف فوضع كتاباً عن حلب عنوانه « تحف الأنباء في تاريخ حلب الشهباء »[1] طبع سنة ١٨٨٠ في المطبعة الادبية ببيروت . ويقع في ١٦٣ صفحة من القطع الوسط . وفي مقدمة هذا الكتاب يطري بيشوف حلب وأبناءها ، ويعدد مزاياهم الطيبة ، وأخلاقهم الكريمة . ومما جاء في تلك المقدمة : « ... حللتُ بعون علاّم الغيوب ، مدينة حلب الشهباء وقتَ الغروب . ولما وطئتُ حصاها ، وتراءى لي السرور بمرآها ، أقمتُ بها مطلوقَ السراح ، وامتزجت مع سكانها امتزاجَ الماءِ بالراحِ ، فعاشرتُ منهم اولي الفضل والنباهة ، وأهلَ الظرفِ والنزاهة ، والعالمَ النحرير ، والغنيَّ والفقير ، فألفيتهم أصحابَ أخلاقٍ رضيَّة ، وأفعالٍ مرضية ، ونفوسٍ زكية ، وألسنٍ عربية ، فقطعت بينهم شرخَ الشباب ، اقتطف من العيش اللباب ، وانشق رياحين الآداب . وكلما أمعنتُ النظر في حسن تربتها ، وجمال بقعتها ، وما اشتملت عليه من نفيس النباتات ، وقديم الأبنية

---

(١) هذا الكتاب محفوظ في مكتبة صاحب هذا الكتاب .

الشامخات ، أتوق الى أن أقف لها على تاريخ يكشف لي عن مخدراتها ، ويروي لي صحيحَ الاخبار عن ثقاتها » .

ثم يستطرد الدكتور تيدور بيشوف في مقدمته فيذكر مَنْ أنشأها ومَنْ بنى قلعتها ومن فتحها ومَنْ تعاقب على حكمها من الملوك والامراء والدول . ولم يفتْهُ أن يذكر أشهر معالمها ، وما كتب على أبواب قلعتها وسورها وجوامعها ومحاريبها واروقتها وشبابيكها وبعض مبانيها وأقبيتها ومدافنها . والكتاب في مجمله كبير الفائدة ، يدلُّ بوضوح على شدة حبّ مؤلفه للشهباء ، وتعلقه القويّ بها وبخدمة تاريخها وآثارها بدافع من نفسه ووجدانه .

وقد كتب عن حلب كثيرون من الاجانب والمستشرقين نذكر منهم على سبيل المثال : المركيز دي فوكه M. de Vogué و ودنكتون Waddington وشابو Chapot والأب كوارز ميوس الفرنسي والأب ميشيل جوليان اليسوعي والأب بسون والأب فيليب الكرملي والمستشرق التشيكوسلوفاكي الويز موزيل Aloes Musil الذي انتحل اسماً عربياً هو الشيخ موسى الرويلي .

ولا شكَّ أن احسن من كتب عن حلب في النصف الأول من القرن العشرين هو المستشرق الفرنسي جان سوفاجه Jean Sauvaget (١٩٠١ - ١٩٥٠) فقد انصرف الى التعمق في دراسة تاريخ العرب ، وخصوصاً تاريخ سورية وتاريخ حلب بالذات . وقد وضع بالفرنسية كتاباً عنوانه « حلب » وتطوُّر أحوالها منذ القِدَم الى يومنا ، وترجم الى لغته « كنوز الذهب في تاريخ حلب » لسبط بن العجمي . ويُعتبر ما كتبه سوفاجه عن حلب ، مرجعاً مهماً جداً يعود اليه كلُّ باحث أو مؤرخ

يؤلف كتاباً أو يلقي محاضرةً عن مدينتنا الحبيبـــة العريقة في المروءات والمكرمات .

وقدأنشأالـكاتب روبير شوفلر مقالة عن حلب ذكر فيها ماشاهدَهُ في هذه المدينة من السحر والجمال وتساءل (١) :

لماذا بقيت حلب مصونة من كل ما يسمى اوروبياً من سمج ومشوه؟ إنَّ ذلك لاعجوبة الدهر !.

من المحقق أن حلب هي المدينة الاكبر عروبة وشرقية من سائر مدن سورية ولبنان وفلسطين . أما من جهة الفن والافتتان واللون فلا يعادلها ولا يفوقها قطر من الأقطار التي ذكرناها ، فلا دمشق ولا القدس تملـكان الحركة والحيوية واختلاف الملابس التي تملكها حلب بخـــاناتها وأسواقها العظيمة المغطاة ، وهي أدهش اسواق العالم .

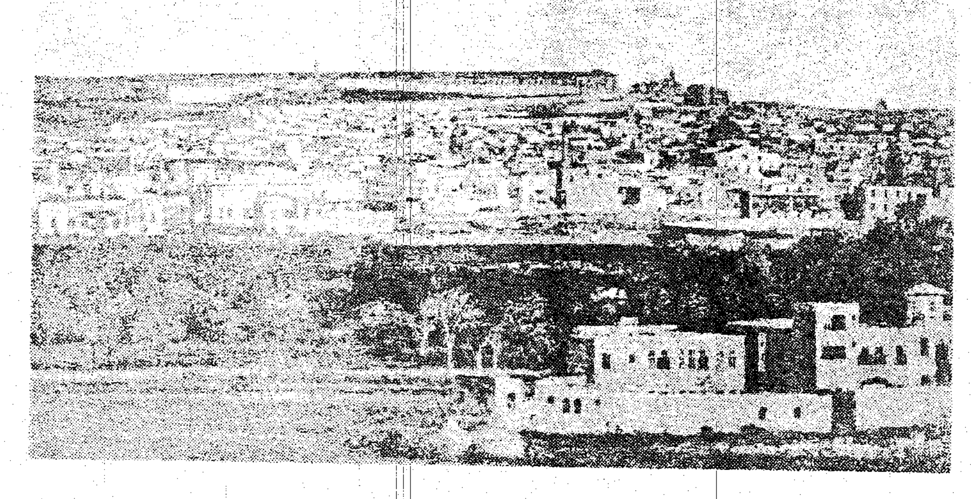
وإذا أردت أن تمتّع الطرف بأجمل منظر خلق ، فاصعد معي إلى رأس مئذنة القلعة ، وبعدها يتحقق لكَ أنَّ حلب أكبر وأكثر سكاناً من « روان » عاصمة الفن النوتي عندنا .

ارتقينا المئذنة واطلقنا لانظارنا العنان، فالتفتُّ إلى رفيقي الكاتبين غراتيري وقلت : ماذا تقول ياحضرةَ الضابط ؟ هذه الاكمة التي نراهـا تحت أرجلنا هي اكمة اصطناعية تقول إنأيدياً رفعتها حجراً فوق حجر ، وأنا الآن ادوس بقدمي كل حجارة الماضي ؟

نعم ، ولا تنسَ أن حلب قهرت انطاكية مهد النصرانية . انظر

---

(١) مجلة الضاد : العدد ١٠ / ١٩٣١ ص ٤٣١ .



الثكنة المعروفة اليوم بثكنة هنانو وقد كثرت تحتها البيوت في الرمضانية

فعلى أرض هذه القلمة قدم الامبراطور يوليانوس الضحايا والقرابين للاله (بمل) قبل أن يتوجه لمحاربة اسبارطة . على أن الحصن يرجع إلى الاسماعيليين .

آه من القدماء انهم كانوا يعرفون البناء كما يجب .

إذا اردت الالوان الوطنية فلا تجدها في بيروت ولا في القاهرة ، بل اذهب وفتش عنها في حلب . نعم ، هناك يجب أن تمكث شهوراً وسنين ...

احسن ما قيل في حلب

الذين مدحوا حلب وأشادوا بفضلها وبكرم أهلها كثيرون من كبار الشعراء والكتاب والرحالة والمؤرخين. وها نحن نثبت في ما يلي بعض ما مُدِحت به الشهباء من نثرٍ وشعر :

قال الرحالة الجغرافي شمسُ الدين المقدسي (١) صاحب كتاب « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » :

« وأما حلب فبلد نفيس خفيف حصين ، وفي أهلها ظرف ولهم يسار وعقول ، مبني - يعني البلد - بالحجارة عامر . وفي وسط البلد قلعة حصينة واسعة فيها ماء وخزائن السلطان والجامع في البلد . مشربهم من نهر قويق يدخل إلى البلد إلى دار سيف الدولة في شباك حديد ، والقصبة ليست بكبيرة ، إلا أنّ بها مستقر السلطان ولها سبعة أبواب » .

وقال محمد بن أحمد المعروف بابن جبير والمولود في بلنسية بالاندلس عام ١١٤٥ م . والمتوفى في الاسكندرية عام ١٢١٧ م . في كتابه (رحلة ابن جبير) قال حين زار حلب : « بلدةٌ قدرها خطير ، وذكرها في كل زمان يطير ، خطّابُها من الملوك كثير ، ومحلها منّ التقديس أثير (٢) فكم

---

(١) ولد عام (٣٨٠ هـ - ٩٩٠ م) في القدس ونسب اليها . تجول نحو عشرين سنة في معظم بلاد العرب .

(٢) الأثير : المفضل . المكرم .

هاجت من كفاح ، وسلّت عليها من بيض الصفاح . أنسَت اسمها فتحلّت بزينة الفوان ، ودانت بالغدر فيمن خان . وتجلّت عروساً بعد سيف دولتها ابن حمدان » .

نُقِلَ عن ابن شدّاد قوله في حلب(١) :

« إنّ حلبَ أعظمُ البلادِ جمالا ، وأفخرُها زينةً وجلالا »

« مشهورة الفخار ، عليّة البناءِ والمنار . ظلّها ضافٍ ، وماؤها صافٍ ، وسعدها وافٍ ، وورْدُها لغليل النفوسِ شافٍ » . ويظلُّ يصف محاسنها ومباهجَها وخصبَها وفضائلها الى ان يقول : « لم تزل منهلاً لكلِّ وارد ، وملجأً لكلِّ قاصد . لم ترَ العين أجملَ من بهائها ، ولا أطيبَ من هوائها ، ولا اظرفَ من أبنائها » .

وكان الأميرُ سيفُ الدولة الحمداني يفتخر بها ويقول : « حلبُ معقلي والمتنبي شاعري » .

وكان سليمان بن حيدر يقول للسلطان صلاح الدين الأيوبي : « حلبُ أمُّ البلاد » .

وكان صالح بن علي بن عبدالله بن العباس ، قد وليَ بلاد الشام كلها ، فاختار أن يكونَ مقامه في حلب ، وابتنى بظاهرها قصراً ببطياس ـ وهي شرقي حلب غربي النيرب الى الشمال ـ وقد وُلِدَ بها جميع أولاده . وقد آثر ذلك المكان لحصانته وطيب هوائه ومائه واعتدال مناخه .

أقوال بعض كبار الشعراء القُدامى في حلب :

قال ابو الطيّب المتنبي من قصيدةٍ بعث بها الى الأمير سيف الدولة

---

(١) هو عز الدين ابو عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم المتوفى سنة ٦٨٤ هـ .

من الكوفة :

كلّما رحّبت بنا الروض قلنا ... حلبٌ قصدُنا وأنتِ السبيلُ
فيكِ مرعى جيادنا والمطايا ... وإليها وجيفنا والذميل(١)

وقال أبو العلاء المعري وكان يحبُّ حلب كثيراً :

ياشاكيَ النُوَبِ انهضْ طالباً حلباً ... نهوضَ مضنًى لحسمِ الداءِ ملتمسِ
واخلعْ حذاكَ إذا حاذيتها ورعاً ... كفعلِ موسى كليمِ الله في القُدسِ

وقال الشيخ سعد الدين محمد ابن الشيخ محي الدين بن العربي :

حلبٌ تفوق بمائها وهوائها ... وبنائها والزهرُ من أبنائها
ظلّت بروجُ النصرِ منْ أبراجها ... فبروجُها تحكي بروجَ سمائها
والسورُ باطنُهُ ففيهِ رحمةٌ ... وعذابُ ظاهرِهِ على أعدائها
بلدٌ يظلُّ بهِ الغريبُ كأنّهُ ... في أهلهِ فاسمع جميلَ ثنائها

وقال شمس الدين محمد بن العفيف :

أقولُ والبارقُ العلويُّ مبتسمٌ ... والرّبعُ مقبلةٌ والغيثُ ينسكبُ
إذا سقى حلب منْ مُزْنِ غاديةٍ ... أرضاً خُصِّصْتْ بأوفى قطرهِ حلبُ
أرضٌ متى قلتَ من سكانُ أربُعِها ... أجابك الأشرفانِ : الجودُ والحسبُ
قومٌ إذا زرْتَهم أصفوكَ ودّهم ... كأنّما لكَ أمٌّ منهُمُ وأبُ

وقال أبو سعيد ابنُ العزي في لاميتهِ المطوّلة التي مطلعها :

أيا ساكني الشهباء عندي لعهدِكمْ ... قديمُ ولاءٍ لم يشبْ بملالِ

---

(١) الوجيف : عدو الخيل . والذميل : نوع من سير الابل .

وقضيتُ أياماً بها ولياليا ... فيا طيبَ أيامي بها وليالِ
وما حلبُ إلاّ مقرُّ مكارمٍ ... ومعدنُ أفضالٍ وكنز معالِ
اذا ظفرت كفاكَ منها بصاحبٍ ... فقلْ في خليلٍ حاز حسن خِلالِ

وليوسف الدمشقي نقيب أشراف حلب :

قلْ لمن رام النوى عنْ بلدةٍ ... ضاقَ فيها ذرعُهُ منْ حَرَجِ
علّلِ القلبَ بسكنى حلبٍ ... إنَّ في الشهباءِ بابَ الفرجِ

وقال كشاجم الرملي ـ محمود بن الحسين ـ أحد شعراء الحمدانيين(١) :

وما منعت جارَها بلدةٌ ... كما منعتْ حلبٌ جارها
هي الخلدُ تجمعُ ما تشتهي ... فزُرْها فطوبى لمنْ زارَها

ولأبي بكر الصنوبري ، وكان يلقب بشاعر الطبيعة التي استهوته محاسنها ، قصائد عديدة في وصف حلب منها قصيدته الهائية اللطيفة التي يقول فيها من مجزوء الرَّمَل :

أنا أحمي حلباً داراً ... وأحمي مَنْ حماها
أيُّ حسنٍ ماحوتْهُ ... حلبٌ أو ما حواها
سرْوها الداني كما تد ... نو فتاةٌ من فتاها
حلبٌ أكرمُ مأوى ... وكريمٌ مَنْ أواها
بسطَ الغيثُ عليها ... بسط نور ما طواها
وكساها حللاً أبْـ ... ـدعَ فيها إذ كساها
حللاً لحمتها النو ... رُ والورد سداها

---

(١) لقب بـ (الرملي) لأنه من أهل الرملة بفلسطين . توفي عام ٩٧٠ م .

وعيون النرجس المنهلّ كالدمع نداها
وخدود من شقيق كالمطى الحمر لظاها
وثنايا اقحوانات سنا الدرّ سناها
فاخري يا حلبُ المدْنَ يزدْ جاهُكِ جاها
إنّه، إن تكنِ المدْنُ رخاخاً كنتِ شاها(١)

وللصنوبري قصيدة ثانية يقول فيها :

سقى حلبُ المزنِ مغنى حلَبْ فكم وصلَتْ طرباً بالطرَبْ
وكم مستطابٍ منَ العيش لذّ بها إذْ بها العيشُ لم يستطبْ
إذا نشر الزهرُ أعلامَهُ بها ومطارفَهُ والمذَبْ
غدا وحواشيهِ منْ فضةٍ تروقُ وأوساطهُ منْ ذهَبْ

بعض أقوال كبار الشعراء المعاصرين في حلب :

بعد ظهر يوم الجمعة ١٨ تشرين الأول ١٩٣٥، كرّمت حلب الاستاذ بشارة الخوري الملقب بـ « الأخطل الصغير »، فألقى قصيدته الرائعة التي يعتزّ بها الأدبُ العربي، كما يعتزّ بها كلُّ حلبي. وها نحن نختار من تلك القصيدةِ العصماء ما قاله في الشهباء :

نفيتَ عنكَ العُلى والظَّرْفَ والأدبا وإنْ خُلقتَ لها ـ إنْ لم تَزُرْ حلبا(٢)

---

(١) الرخاخ : جمع الرخ : قطعة من قطع الشطرنج والشاه : كلمة فارسية معناها الملك .

(٢) أخذ بعضهم على الشاعر أنه نفى العلى والظرف والأدب، عن كل إنسان لم يزر حلب، والحال أن الشاعر خاطب نفسه بهذا البيت، وهو ما يسمونه في علم البديع « التجريد ». وقد جرى عليه الشعر من قبله كقول أبي فراس الحمداني :
« أراك عصي الدمع شيمتك الصبر » ولم يقل أراني .
وكقول المتنبي : « كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً » ولم يقل كفى بي .

شهباءُ لو كانتِ الأحلامُ كأسَ طِلاً ... في راحةِ الفجر كنتِ الزهرَ والحببا
أو كانَ لليلِ أن يختارَ حليتَهُ ... وقدْ طلعتِ عليه لازدرى الشهبا
لو ألّفَ المجدُ سِفراً عن مفاخرِهِ ... لراحَ يكتبُ في عنوانـــهِ حلبا
لو أنصفَ العربُ الاحرار نهضتهم ... لشيّدوا لكِ في ساحاتهـا النُّصُبا
ملاعبُ الصِّيدِ منْ حمدانَ ما نسلوا ... إلا الاهلّةَ والأشبال ، والقضُبا
الخالعينَ على الأوطـــانِ بهجتَها ... والرافعينَ على ارماحهـــا القصَبا
حُسامهم ما نبا في وجهِ من ضربُوا ... ومُهرُهُمْ ما كبا في إثرِ مَنْ هربا
ما جرَّد الدهرُ سيفاً مثل « سيفهم » ... يجري به الدمَ أو يجري به الذهبا
ربُّ القوافي على الإطلاق شاعرُهُمْ ... الخلدُ والمجد في آفاقـــهِ اصطحبا
سيفان في قبضـةِ الشهباءِ لا ثُلِما ... قد شرّفا العرب بل قد شرّفا الأدبا
أتسمعُ الروضـةُ الخضـراء بلبُلَها ... حتّى بني الروضةَ « الشهباء » ما وجبا
تيهاً « عروسةَ سوريا » فقد حملتْ ... لكِ القـــوافي على راياتها الغَلَبا

وسبقَ أن اقامت حلب للمتنبي حفلاً كبيراً بمناسبة مرور ألف سنة على وفاته . وكان موعد ذلك الحفل بعد ظهر يوم الجمعة ٢٧ ايلول ١٩٣٥ . وقد اشترك في تكريم المتنبي مؤلف هذا الكتاب والاساتذة : أحمد قنبر ومحمد العالم وسامي الدهان وعيسى اسكندر المعلوف وابنه رياض وابن حميّه قيصر المعلوف الذي حيّا حلب بقصيدةٍ عامرة جاء فيها :

سلامٌ على هذي المعالمِ عنْ كثَبْ ... معالم سيف الدولة الغرّ في حلَبْ [١]
سلام على الآرام يخطرنَ في الحمى ... خفافاً ، ولكن فوق مهجة كلّ صبّْ
سلامٌ على الشهباء قاهرةِ العِدى ... بأقيالها الاكفاءِ من كلّ منتخَبْ
على الآسرين الفرسَ في حومةِ الوغى ... على الهازمينَ الرومَ في حلبةِ الطلب
سلامٌ أبا الاطيابِ ، ألفُ تحيّةٍ ... ولوبعدَ ألفٍ من هجوعكَ في التُّربْ

(١) التزم الاستاذ قيصر المعلوف في هذه القصيدة ، لزوم ما لا يلزم ، فلم يرتكب فيها سناد التوجيه : أي المخالفة في حركة ما قبل الرويّ المقيد .

سقى اللهُ عصراً خالداً بملوكهِ ولولاكَ لم نعرفْ لأكثرهم حسبْ
فما كان « سيف الدولةِ » اليوم خالداً ولو فرشتْ كفّاهُ في العالمِ الذهبْ
على قصبِ الأقلامِ شدّتْ عروشَهمْ ومن عجبٍ تخليدُ عرشٍ على قصبْ

وقال شاعر الأرز شبلي الملاط ، في حفل تكريم أقيم له في مساء يوم السبت ٢٦ أيار ١٩٣٤ ، في نادي الشبيبة الكاثوليكية ، بمناسبة اشتراكه في حفلة إزاحة الستار عن تمثال المطران جرمانوس فرحات بحلب :

وددتُ لو أنَّ في الشهباء داري إذا أزمعتُ عنْ وطني ارتحالا
وإنْ جار الزّمانُ عليَّ فيهِ فلستُ أرى سوى حلب مآلا
نزلتُ ربوعَها فحسبتُ أني أرى الأرزَ المقدَّس والجلالا
ألم تحفلْ بنا حلبُ كضيفٍ ألم تُكرِمْ لنا حلبُ مقالا
مررتُ على شوارعها فألقتْ أمامي من حضارتها مثالا
بني أمي يعزُّ عليَّ أني أشدُّ غداً إلى الوطن الرّحالا
عيناً قد شُغفتُ بكم وكنتمْ بعيني في محيّا الحسن خالا
وكنتمْ خيرَ من شرفوا نفوساً ومَنْ طابوا ومن شرفوا خلالا
وكنتمْ ألطفَ الشعراءِ روحاً وأرشق في خطابكمُ ارتجالا
سأخبرُ أنَّ في الشهباءِ أُسْداً سأذكرُ أنَّ في حلب رجالا

وكان شاعر الاقطار العربية خليل مطران ، قد زار حلب في العشرينات من هذا القرن . وفي حفل تكريم أقيم له ، أنشد قصيدة بديعة عنوانها « حلب » نقتطف منها الابيات التالية :

أيُّ هذي الشهباء والحسنُ في ذلك الشهبْ
حبّذا في ثراك ما فيهِ من عنصرِ الشهُبْ
ذلك العنصر الذي ظلَّ حرّاً ولم يشبْ

عنصرٌ قد أصاب منه | ابنُ حمدانَ ما أحب
وبه أحمدُ (١) ارتقى | ذروةَ الشعر في العرب
يا لها من زيارةٍ | قضيتْ وهي لي أرب
تمَّ سعدي بمن رأيتُ | بها اليومَ عنْ كثب
إن من قال فيهم | أعذبَ المدحِ ما كذب
ليس بدعاً وانهم | صفوةُ الشرقِ والنخب
يا كراماً أحلتني | فضلهم أرفعَ الرتب
إنَّ فخراً نحلتموني | لأغلى ما في الحسب
لم يكنْ لي ومنْ أنا ؟ | هو للشعرِ والأدب

وقال شاعر الاهرام الاستاذ محمد عبد الغني حسن ـ وهو اليوم عضو بمجمع اللغة العربية في القاهرة ـ عندما كرمت مصر المحامي فتح الله الصقال ، في مطلع عام ١٩٤٣ :

أينَ المنابرُ في الشهباء قائمةٌ | وأينَ في أمسِها التاريخُ والأدبُ ؟
وأينَ ملكُ بني حمدانَ مزدهراً | يسيلُ منه على أعطافها الذهب
ما سُميتْ حلب الشهباء عن ثقةٍ | إلاَّ لأنكمُ في جوِّها شُهُب
هيَ العروبةُ قربى بيننا وكفى | انَّا الى العربِ الأحرارِ ننتسب

وقال الشاعر الكبير محمد مصطفى الماحي في حفل التكريم نفسه :

بلدٌ تخلدُ المآثرُ فيه | وتفيضُ السهولُ علماً وفضلا
موردٌ فاضَ بالسجايا اللواتي | نهلَ المستفيدُ منها وعلا
حلبٌ موطنُ الكرامِ فهلاَّ | يأذنُ اللهُ أنْ أمتعَ هلاَّ

---

(١) ابن حمدان : سيف الدولة . وأحمد : أبو الطيّب المتنبي .

فأرى روضها الأريضَ وألقى ... في رُباها الحسانِ ماءً وظلا
وأرى كيف جاوز المتنبي ... مطلعَ النجمِ في القريضِ وأعلى

وقال الشاعر عادل الغضبان ، وهو حلبيُّ الأصل والنشأة ، مصريُّ الجنسية والاقامة ، وكان يحبُّ حلب كثيراً ، وله فيها العديد من القصائد الرائعة (١) :

نثرتْ على جنباتكِ الشهُبُ ... فدعيتِ بالشهباءِ يا حلب
أنتِ العروسُ أتمَّ جلوتها ... هذا الأزارُ الأبيضُ المعجب
تتألّقُ الداراتُ فيكِ سنىً ... ويشعُّ فيها الصخرُ والخشب
ووراءَ كلِّ دويرةٍ فلكٌ ... أجرى بهِ أقمارَهُ الأدب
وبكلِّ شعْبٍ منكِ أروقةٌ ... للمالِ يسرحُ بينها الذهب
وبساحةِ الهيجاءِ كم بطلٍ ... لكِ خلّدتْهُ البيضُ واليلب (٢)
إنْ تفتخرْ بمجيدها أممٌ ... فبمثل مجدكِ يفخرُ العرب
نسجتهُ كفُّ الشمسِ من حسبٍ ... يهفو إلى لألائهِ الحسب
سطعتْ سطوعَ الفجرِ جدّتهُ ... وزهتْ بجُرْمٍ تليدهِ الحقب

وأرسلت الشاعرة الكبيرة الاستاذة هند هارون من اللاذقية ، إلى صاحب هذا الكتاب هذه الأبيات الثلاثة :

رأيتُ في حلبَ الشهباء بارقةً ... منَ الشموسِ لقلبٍ عاشَ مغتربا
لمستُ فيها وفاءً لا مثيلَ لهُ ... وصحبةً خيرهم في الأرضِ ما نضبا

---

(١) ولد عادل الغضبان في مدينة مرسين عام ١٩٠٨ وتوفي في القاهرة في ١١ / ١٢ / ١٩٧٢ .

(٢) البيض : السيوف . واليلب : الدروع اليمانية من الجلود . الفولاذ . خالص الحديد .

لو كان لي خيرةٌ في مسكني ويدٌ لقلتُ: «هيَّا نقضِ العمرَ في حلبا»

وفي أمسيةٍ شـــعرية أقيمت مساء يوم الخميس ٥/٣/١٩٧٣ في دار الكتب الوطنية بحلب ، ألقى الشاعر حنا الطبّاع رئيس منتدى عكاظ قصيدةً رقيقة حيّا بها الشهباء وقال :

شهباءُ كم طابَ لي في ليلكِ السمَرُ وكم رَعَتْ مهجتي النجماتُ والقمرُ
ألستَ مثلي ترى الشهباءَ فاتنــةً في كلِّ بسمةِ ثغرٍ يطلعُ السَّحَر
مالتْ على ضيفِها نشـــوى تقبِّلهُ لحنتِ الكـأسُ للمشتاقِ والوتَر
وكنتُ قد بِنتُ عنها أرتجي خبراً منها ومــذْ جاءني بالدعـوةِ الخبَر
تنحنحَ القـلمُ المشتـاقُ واختلجتْ أوصالُ عهـدٍ قـديمٍ كاد يندثر
وقبّـلَ الطِرْسَ لهفـاناً وقالَ لهُ إنا على العهدِ ، دونْ أيُّهـا القدَرُ

ولمؤلف هذا الكتاب ، مجموعة من القصـائد ، وصف فيها حلب وفستقها وكرومها وحسانها . وعندما ابتعـد عنها ، بيَّنَ حنينه إليهـا ، وشوقه إلى من له فيها من أهلٍ وَصحْبٍ وخلان . وقد نشرنا في آخر هذا المؤلف ، مقتطفات من هاتيك القصائد سميناها « ديوان حلب » .

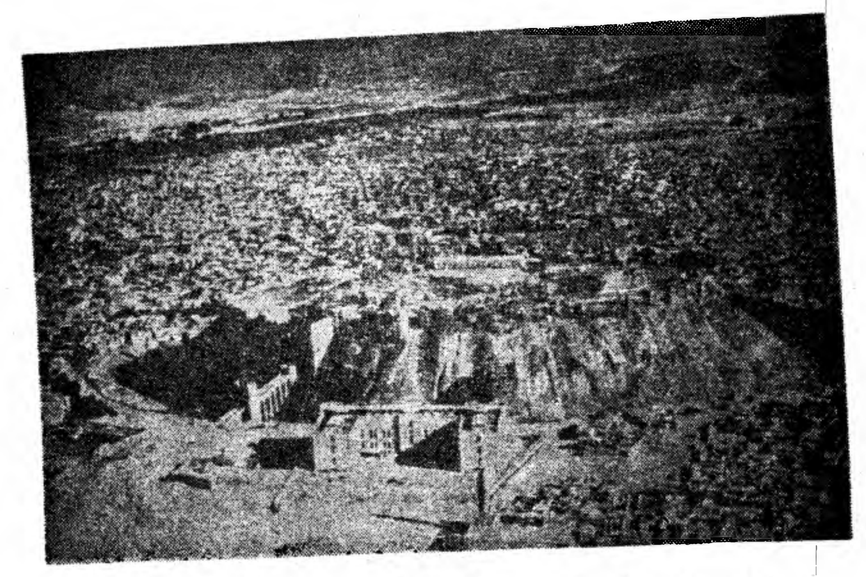


قلعة حلب

قلعةُ حلب ، رمزُ الشموخ ، ومثالُ الرفعةِ والحصانةِ والامتناع . بقيت منذ وُجدَ هذا البـلد الطيّب ، مرفوعةَ الرأس ، عاليةَ الجبين ، ثابتةَ القلب ، لم تؤثر فيها هجماتُ الطامعين ، ولا حطّت من عنفوانهـا جيوشُ الغزاةِ والمستعمرين .

الداخل الى مدينة حلب ، تقع عيناه على قلعتها الجبّارة ، من أيّةِ جهة أتى ، من الشرق أو من الغرب أو من الشمال أو من الجنوب ، فيؤخذ القادم ، ولاسيّما إذا كان لم يعرف حلب من قبل ، بهـذا التل البيضوي الشكل ، المزدان بأجمل وأمتن ما ابتدعته الهندسة الحربية العربيـة ، من أسوار وأبراج وحصون ، تقوم بينها مئذنة مربعة تطـل على مباني الشهباء وكرومها وبساتينها ، وعلى ما وراءها من سهول وهضاب ، تمتدُّ عشرات الاميـــال وتتصل بالعديد من القرى والعساكر المحيطـة بعـاصمة الشمال السوري إحاطة السوار بالمعصم . وفي مقدور الواقف فى أعالي تلك المئذنة أن يرى مملحة الجبول ، الواقعة على مسافة أربعين كيلو متراً الى الشرق .

أمّا الواصل الى حلب في الليل ، فيشاهد أضواءَ الكهرباء مسلطة على مدخل قلعتنا وأسوارها وأبراجها ومئذنتها البديعة ، فيخشع لهذا المنظر الخلاب الذي أقلّ ما يُقال فيه إنه يُظهر بوضوح عظمة الفن المعماري العربي الأصيل .



تل حلب الذي أصبح هذه القلعة العربية الشامخة

قلعة حلب وحولها بعض بيوتنا القديمة

كيف تكوّنت القلعة ؟

هل كانت القلعة قبلَ أنْ تمتدَّ اليها يد العمران ، تلاً طبيعياً كتلْ حيْ الجبيلة مثلاً ، أم كانت كما يقول بعضُ المؤرخين ، وخصوصاً الغربيين منهم ، هضبةً قامت على أنقاض حصون يونانية وبيزنطية ورومانية .

نميل الى الاعتقاد ، أن قلعة حلب ، كانت تلاً طبيعياً ، وكانت مقام الحلبيين الاقدمين الذين كانوا يفضلون ، كما كان يفضل غيرهم من الشعوب ، السكنَ في المرتفعات لأسبابٍ كثيرةٍ ووجيهة ، منها لصفاء الهواء ، ولاتقاء شرْ الغزاة ، وللبعد عن قطاع الطريق . فكان سكانُ القلعَة أو أيْ مرتفعٍ آخر ، يعيشون كما تعيش الأسرة الواحدة ، في نطاقٍ من الالفة والمحبة والتعاون المتبادل والتفاهم الروحي الوثيق. وكنا حتى الثلاثينات من هذا القرن ، نجد هذهِ الظاهرة الاجتماعية المستحبة ، في قرى جبل لبنان ، وقرى جبل العرب ، وقرى جبل النضارة في سورية ، فهناك يستطيع المرء أنْ يترك بابَ بيته مفتوحاً ويذهب او ينام دون ان يخشى لصاً ، او يخاف متسللاً يسطو على ماله او يمسه بأيِ أذىً .

كان الحلبيون القدامي إذنْ ، يقيمون في القلعة ، حيث شيّدوا معابدهم لبعض من كانوا يعبدون من آلهة ، نذكر منهم الربْ السامي « حدَد » والرب الحثي « تيشوب » وفي العهد المسيحي كان في القلعة دير وكنيستان للنصارى كانوا يقيمون فيها شعائرهم الدينية بمنتهى الحرية .



تمثال الرب السامي « حدد »
(وجد في عين التلّ)



تمثال الرب الحثي « تيشوب »
(على حيوانه الخاص : الثور)

وفي العهد الراشدي ، فتح خالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجرّاح(١) وكانا من أعظم قوّاد العرب ، وأكثرهم قـوّةً وشجـاعةً ودهـاءً ودرايةً في الشؤون العسكرية، التي كانت تعتبر في ذلك الزمن ، مضمونةَ النتائج ، تؤدي الى النصر الاكيد . نقول إنّ هذين القـائدين العربيين الباسلين ، فتحا القلعة سنة ١٦هـ ٦٣٧م. وبُني فيها جامع . أما المئذنة فقد

---

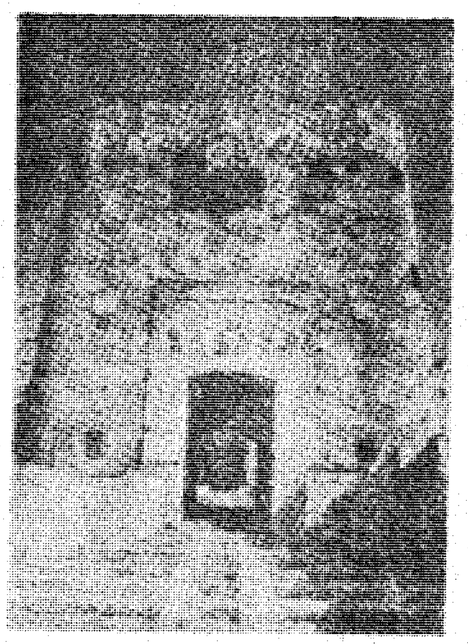
(١) هو عامر بن عبدالله توفي عام ١٨ هـ ٦٣٩ م ، وكان أحد كبار قادة الفتح الاسلامي تولى القيادة العامة .



شيدت بعد ذلك بزمن طـويل ، أي في عام ١٠٩٠ هـ ١٦٧٩ م . أما الاسوار والحصون والابراج وابوب القلعة فهي من بناء الملك الظاهر ابن السلطان صلاح الدين الايوبي (١) وهي آية عجيبة في الهندسة العسكرية الدالة على ما كان يمتاز به الظاهر من عبقرية فطرية تفوق حـــدَّ التصوُّر . وكلُّ من زار القلعة الحلبيـة ، وأبصر ابوابها الحديدية الضخمة ، ودهاليزها المتعرجة ، وما يعلوها من فتحات مستطيلة لضرب السهام ، ومن كوى لصبْ الزيت المغلي والقطران الـكاوي والـكلس المحرق على جموع المهاجمين ، لا يسعه إلاَّ ان يشهد بما بلغه الملك الظاهر من نظر بعيد ممزوج بنبوغ عسكري فريد . فكأنَّ ذلك الملك ، كان مهندســاً كبيراً استطاع بعبقريةٍ غريزية ، أنْ يُحصِّنَ قلعةَ حلب ، بهاتيك الأسوار والأبراج والمنعرجات الــتي يقف اليومَ أمامها أقطابُ المهندسين العالميين ، والدهشة تملو وجوههم ، والاعجاب يسيطر على جميع مشاعرهم ، لما يرونه في قلعتنا الشـامخة من مناعةٍ ، وفنٍّ معماري أخّاذ .

---

(١) حكم الايوبيون مصر وسورية من عام ١١٧١ الى عام ١٢٥٠ م .



البرج الاول وهو البرج الذي يضم مدخل القلعة

كان الجسر الكائن في مدخل القلعة ، والمؤدي الى الباب الرئيسي وهو الباب الاول المعروف بباب الحيات الذي نُقِش في اعلاه ثعبانان متشابكان ، لكل ثعبانٍ رأسان ، احدهما في الاسفل والثاني في الاعلى ، كان هذا الجسر في اول عهده جسراً خشبياً ، ثمّ استبدل بجسر حجري يقوم على ثماني قناطر من الحجر . ويعدّ العلامة المستشرق ماكس فان برخم مدخل قلعة حلب ، من اعظم ما ابتدعه العقل العربي في تشييد القلاع والحصون .

ومن يزر القلعة يجد على جدران مدخلها كتابات عديدة أقدمها من سنة ١٢٠٩ و ١٢١٢م وهي للملك الظاهر المتقدم ذكره . وينسب اليه معظم العلماء ــ كما يقول برخم ــ هندسة القلعة وتخطيط اهم اقسامها .



الجسر المقنطر الواصل بين المدخل الأول والمدخل الرئيسي .

ولن نحاولَ هنا ، أنْ نستعرضَ شيئاً من هاتيك الكتابات التي مازالت والحمد لله ماثلةً للعيان ، ومدوّنة بنصها الحرفي في تواريخ حلب ، وفي عشرات من الكتب التي وُضِعَتْ عن القلعة ليطلع عليها السُّيّاح ومحبّو الآثار القديمة ، ولكننا سنمرُّ بسرعة بارجاء قلعتنا الحصينة ، وننقل احسن ما قيل فيها من نثرٍ وشعر .

تعلو قلعةُ حلب ، عن سطح ارض المدينة / ٢٨ / متراً تقريباً ، يحيط بها خندق عرضه ثلاثون متراً ، وعمقه نحو اثنين وثلاثين متراً . وكان هذا الخندق على اتساعه الكبير ، يملأ ماءً يتدفّق اليه بغزارةٍ من قناة حيلان ومن بعض آبار القلعة(١) .

وزيادةً في الحصانة والمناعة والحيلولة دون فتح أي ثغرة في هذه القلعة فقد رُصِفَتْ جميعُ أطرافها بحجارةٍ سودٍ ملساء ، تحول دون تسلّق العدو الى اسوارها . واذا حاول ذلك أمطره المدافعــون بكرات حجرية ، وصوبوا اليه النبال الحادة ، وصبّوا عليه المواد المحرقة ، ومنعوه من اختراق خطوط الدفاع ، او من الوصول الى برج من الأبراج . ولذلك اعتبر المهندسون الحربيون القدامى ، قلعة حلب ، من اعظم القلاع القائمة على وجه البسيطة .

بعد الممر الملتوي الرابضة على جوانبه قاعات الدفاع ، يقابلنــا باب كبير آخر نحت فوقه اسدانِ متقابلان بينهما شجرةُ نخيل . وقبــل نهاية هذا الممر نرى باب الأســدين : الأسد الضاحك والأسد الباكي . وفي الباحة المسقوفة الصغيرة الـكائنة امام هذا الباب الذي تعلوه كتابة ايوبية . نجد مقاماً يُعرف بمقام « الخضر » وليس الخضر سوى القديس جرجس

---

(١) للقلعة صهاريج واسعة ، تتجمع فيها مياه الأمطار ، ولها مجارٍ وآبار عـديدة عمقها ستون متراً تنبع منها المياه . وكانت هناك طريقة لمنع وصول المياه ، التي تزيد على احتياج القلعة ، ليستفيد منها أهالي المدينة .

احد امراء كبدوقية وقد استشهد شاباً في عهد ديوقليتيانُس عام ٣٠٣م . وكان في ذلك الموضع مصباح بقيَ نورُه ساطعاً ليل نهار ، منذ القديم حتى السنين الاخيرة من الاحتلال العثماني . وقد انير ثانية منذ بضع سنوات[١] .

وعندما نجتاز الممّر ، نرى أنفسنا في شارع رئيسي يمتدّ من جنوب القلعة الى شمالها . وعلى أطراف هذا الشارع تنتشر بنايات اكثرها تهدّم بفؤوس ومعاول بعض المغيرين المتوحشين ، وبضربات الزلازل المروّعة التي اصابت حلب على تعاقب العصور .

اما البنايات التي ما زالت باقية حتى الآن كمقام ابراهيم الخليل ، فقد كان كنيسة كما يقول عزالدين أبو عبدالله محمـــد بن علي المعروف بابن شداد[٢] في كتابه « الاعلاق الخطيرة » فقد ذكر بهذا الصدد مانصّه : « كان كنيسة ثمّ مقاماً عُرِف بمقام ابراهيم الخليـل الاسفل ، كانت به صخرة لطيفة تزار ، يُقال إن ابراهيم الخليل كان يجلس عليها » ..

وهناك جامع بُني في العصر الايوبي ترتفع بجانبه مئذنة مربعة بديعة يصعد الى اعلاها بســـلم داخلي يتألف من ثمانٍ وسبعين درجة . وهذا الجامع ايضاً كان كنيسة جعلهـا بنو مرداس مسجداً كما يذكر ابن شداد وابن العديم وغيرهما من ثقات المؤرخين .

وعلى مقربة من هذا الجامع ، تجثم ثكنةٌ عسكرية شيدّها ابراهيم باشا ابن محمـــد علي باشا عاهل مصر . في اثناء حملته على سورية حوالي عام ١٨٣٤م . وغير بعيد عن هذه الثكنة نبصر طاحون الهواء الذي بني في

---

(١) « من مقال عربه السيد البير شامي ونشر في العدد ٦ من مجـلة الضـاد ١٩٨١ ص ٣١ .

(٢) توفي عام ٦٨٤هـ .

ذلك الوقت . وعندما نتغلغل بين الخرائب المبعثرة على سطح القلعة ، ونصل الى المستودعات والأقبية المحفورة في قلب الصخر نرى تلك السجون الرهيبة التي كان يُرمى فيها الاسرى والمغضوب عليهم فيموتون جوعاً وعطشاً وبرداً . ولهذا كان يُسمّى ذلك المكان « حبس الدم » . وعندما كنتُ صغيراً شاهدتُ بأمّ عيني في تلك المغاور المظلمة ، أكداساً من الجماجم والعظام ، هي رفات من ماتوا في غياهب سجون القلعة ظلماً وعدواناً . وما كادت تشرق شمس الاستقلال ، حتى نشطت مصلحة الآثار في سورية الى إزالة تلك الرفات ، والى تنظيف ما تراكم في هاتيك الأقبية والمستودعات ، التي كانت في الاصل معدّة لخزن المؤن والمواد الغذائية ، من تراب وصخور واوساخ . ثم ما لبثت تلك المصلحة ان مدّت انوار الكهرباء الى الامكنة المظلمة في القلعة ، وعملت على ترميم كثير من الاسوار والابراج والابنية الأثرية ، التي ما زالت تقاوم السنين ، وتناهض العصور ، لتبقى مثالاً للشموخ العربي .

ولعلّ أكثرَ ما يثيرُ إعجاب زوّار قلعتنا من عرب واجانب ، ذلك القصر البديع الذي يقول عدد من مشاهير المؤرخين وعلماء الآثار إنه بُنيَ في عصر المماليك . واول ما تقع عليه العين بقايا حمام جميل يشبه الحمامات التركية بهندسته الدقيقة وتنسيق اقسامه ، وبتمديد الماء اليه بانابيب من الفخار متقنة الصنع ، بعضها للماء الساخن ، وبعضها الآخر للماء البارد . وهذا يدلّنا بوضوح على ان العربَ سبقوا اهل اوروبا في ميدان النظافة واصول الري والتحكم في توزيع المياه . فعندما كان في مدينة قرطبة في الاندلس ، اكثر من مئة حمّام عربي كانت اوروبا الغربية غارقةً في الوحول ومغطاة بالهوام .

هناك في الفناء الداخلي بقصر القلعة ، نبصر الأرضَ مرصوفةً

بالرخام المفصص ، وترى واجهة تزينها زخرفات ونقوش في غاية الابداع .

أمّا قاعة العرش نفسها ، فيقول بعض مؤرخي الغرب ، انها كانت معدّة للمحاكمات الملكية ، وقد أنشأها الملك (كايت باي) في اواخر القرن الرابع عشر الميلادي ، فوق البرجين المنتصبين في مدخل القلعة الرئيسي . وتبلغ مساحة هذه القاعة ستة وعشرين متراً وعرضها ثلاثة وعشرين متراً . وكان يدخلها النور ، من شبّاك عريض كائن في الجهة الجنوبية ، ومطلّ على المدينة من علوّ شاهق . ويظهر انّ قضبان هذا الشباك ، مكوّنة من مزيج سبعة معادن ، تتجاوز قيمتها دية ملك(١) .

قال أبو الفضل محمد بن الشحنة (٨٩٠ هـ - ١٤٨٥ م) : ان الامير سيف الدين جكم ، نائب القلعة من قِبَل السلطان الملك ناصر فرج بن برقوق أمر ببناء القصر في سنة تسع وثمانمئة ، ولم يسقفه . ولما تسلطن الملك المؤيد شيخ وجاء إلى حلب أمر بتسقيفه ، . وقد تمّ بعد ذلك سقف القصر بأخشاب قُطعت من دمشق المشهورة بكثرة بساتينها ، وقيل إن الأخشاب جلبت من بعلبك . ولكنّ السقف تلف ، فأعاد بناءه على شكل قباب الملك الأشرف قانصوه الغوري سنة ٩١٦ هـ . بيد أنّ تلك القباب تهدمت كلها ولم يبقَ من القصر سوى جدرانه الاربعة .

ومع انبثاق عهد السيادة السورية ، التفتت المديرية العامة للآثار إلى قلعة حلب لفتة سمحة ، وبدأت توليها كلّ عنايةٍ ورعاية واهتمام . وفي عام ١٩٦٥ بُدىء بتسقيف قاعة العرش واستمر العمل بجدٍّ ونشاط تسع سنوات متواصلة .

وفي عام ١٩٧٣ انتهى العمل ، وكان آيةً من أبدع واروع آيات

(١) مجلة الضاد : العدد ٦ حزيران ١٩٨١ ص ٣٠ .

الزخرفة العربية ، « وتُقدَّر التكاليف الاجمالية لترميم وتسقيف القاعة ، بما يزيد عن المليون ونصف المليون من الليرات السورية . ولا شك ان قاعةَ العرش بحلب ، تُعتبر بعد إنجازها درّةً وضّاءةً في قلعة حلب (١)» .



جزء من سقف قاعة العرش مع ثريا خشبية رائعة

قال لي سائح سويسري زار قلعة حلب ، وشاهد قاعة العرش وجدرانها المكسوة بحشوات من الخشب الثمين المزخرف بالخيوط العربية الدقيقة الانيقة الخلّابة ، وأرضها المفروشة بالمشقفات الرخامية المتنوعة الاشكال والمأخوذة من بعض الدور الحلبيــــة القديمة ، وتلك البركة ذات الطراز الايوبي المدهش التي جُلبت من دمشق ، وهاتيك الثريات الخشبية المحفورة بمنتهى البراعة على الطريقة الفاطمية .

قال : لقد قرأتُ كلَّ ما وردَ في قصة « ألف ليلة وليلة » عن قصور الملوك والخلفاء والامراء ، فعددت ذلك من نسج الخيال وتصوّرات الوهم . ولما دخلتُ قاعة العرش في قلعة حلب ، ورأيت ما فيهــا من عظمة الفنّ ، وسموّ الذوق ، وتألق الجمال ، ودقة الصنعة العربية ، اعتراني الذهول والخشوع معاً ، وأبصرت عن كثب أحسن قصور الف ليلة وليلة ماثلاً للعيان ، ومثبتاً أن العرب أكثر الامم مهارة في البناء ،

---

(١) قلعة حلب ــ اعداد شوقي شعث ومحمود حريتاني ص ٣٨ .

وأعلام ذوقاً في مختلف الفنون الرفيعة ، وخصوصاً في فن الزخرفة المعارية وفرش القصور الملكية . وفي قصر الحمراء بغرناطة بالاندلس شاهد آخر على أن الفكر العربي خلاّق ومبدع ، وعلى أن يد الفنان العربي الاصيل تصنع معجزات فنية يقف الانسان أمامها حائراً متسائلاً : أهذا من صنع البشر ، أم من مخلفات آلهة الاساطير ؟

سُميت قلعةُ حلب ذات الجناحين لوجود برجين في منحدرها : الاول في الجهة الشمالية والثاني في الجهة الجنوبية . قد أقيما ليكونا خطَّ الدفاع الاول عن القلعة . وقد جدَّد ما تهدَّم منهما الملك الاشرف قانصوه الغوري (١) . وينسب بعض المؤرخين بناء البرج الجنوبي إلى هذا الملك نفسه ، بدليل أنَّ الكتابة المنقوشة عليه تنصُّ على أنَّ الآمر ببنائه هو قانصوه الغوري في سنة ٩١٤ هـ . ويظن الشيخ كامل الغزي انهما مبنيان على أثر البرجين اللذين جددهما الامير جكَم .

من بنى قلعة حلب ؟

قال الشيخ كامل الغزي ـ وقد عرفناه في مطلع صبانا عالماً جليلاً ومؤرخاً ثقةً ـ في كتابه «نهر الذهب في تاريخ حلب» ما نصُّه : قالوا ـ يعني المؤرخين الذين سبقوه ـ : « كانت قلعة حلب عديمةَ النظير بالحصانة والمنعة . وأوّل من بناها ميخائيل . وقيل سليكس نيكادور أحد الملوك الرومانيين سنة ٢١ من جلوسه قبل المسيح بثلاثمائة واثنتي عشرة سنة . وهذا الرجل يُسمى في التواريخ الحلبية سلوقوس ، وهو الذي جدَّد

(١) قانصوه الغوري سلطان المماليك البرجيين (١٥٠١ ـ ١٥١٦) حاول نجدة اسماعيل الصفوي ضد السلطان العثماني سليم الأول ، فانتصر العثمانيون على المماليك وقتلوا قانصوه في مرج دابق قرب حلب .

بناءَ المدينة بعد خرابها بزلزالٍ دهمها [١] » .

ويؤيّدُ المنجد في الاعلام : ما ذهب اليه الغزي فيقول المنجد : « سلوقُس نيكاتور ـ أي الظافر ـ نحو ٣٥٥ ـ ٢٨٠ ق . م . قاد الجيش تحت أمرة الاسكندر . خلفه في المُلك على البـلاد الممتدة بين الفرات والهندوس ، ثم سمى نفسه ملكـاً نحو ٣٠٥ ق . م وضمَّ إلى ممتلكاتـه سورية ، وآسيا الصغـرى ، وأسس انطاكية على العاصي سنة ٣٠٧ ق . م » [٢] .

فالقلعة إذَنْ من بنـاء الرومانيين . ولما فتحَ كسرى حلب وبنى سورها شيّد في القلعة بعض المواضع ، كما شيـد سيف الدولة الحمداني بعضاً من أسوارها وا كملها بعده ابنه سعد الدولة وسكنها .

أمّا امنع الامكنة في قلعة حلب ، من أبواب ودهـاليز وأبراج وحصون وأسوار فقد بناها كما قدمنا الملك الظاهر بن صلاح الدين الايوبي ، ثم أضاف إليها المماليك [٣] أبنيـة مهمةً جداً ، ثم شيد المصريون الثكنة المعروفة بثكنة ابراهيم باشا .

وحينما كانت القلعة في زهوة صباها ، كان فيها ٣٦٠ داراً ، وكان كلُّ غريب يقصد القلعة ينزل ضيفاً مكرماً على سكان تلك الدور ، فيبيت في كل دار ليلة ونهاراً واحداً . وبهذا يستطيع أن يقضيَ سنة كاملة في ضيافة الحلبيين الذين اشتهروا بالكرم الواسع ، والترحيب الجميل بكلِّ من يزورهم من عرب واعاجم .

وما زالت في الشهباء حتى الآن ، اسرٌ كريمة تُنسب إلى قلعتنا التاريخية ، كآل القلعجي ، وآغة القلعة ، وشيخ القلعة .

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٣ .

(٢) المنجد في الاعلام طبعة ٩ ص ٣٦٣ .

(٣) دام حكم المماليك من عام ١٢٥٠ الى عام ١٥١٦ م .

أحسن ما قيل في قلعة حلب :

كتب عن قلعة حلب كثير من الرحّالة العرب والاجانب . قال ابن جبير حين زار حلب : « لها قلعة شهيرةُ الامتناع ، بائنة الارتفاع ، معدومة الشبه والنظير في القلاع ، تنزهت حصانة ان ترام او تستطاع . قاعدة كبيرة ، ومائدة من الأرض مستديرة ، منحوتة الأرجاء ، موضوعة على نسبة اعتدال واستواء ، فسبحان من أحكم تقديرها وتدبيرها ، وأبدع كيف شاء تصويرها وتدويرها ، عتيقة في الأزل ، حديثة وإن لم تزل ، قد طاولت الأيام والأعوام ، وشيّعت الخواص والعوام » .

« ومن كمال خلالها المشترَطة في حصانة القلاع أنّ الماء بها نابع ، وقد صُنع عليه جبُّان ، فهما ينبعان ماء فلا تخاف الظمأ أبد الدهر ، والطعام يصبر فيها الدهرَ كلّه ، وليس في شروط الحصانة أهمّ ولا آكد من هاتين الخلّتين . ويطيف بهذين الجبّين المذكورين سُوران حصينان من الجانب الذي ينظر للبلد ، ويعترض دونها خندق لا يكاد البصر يبلغ مدَى عمقه والماء ينبع فيه . وشأن هذه القلعة في الحصانة والحسن أعظم من أن ننتهي الى وصفه . وسورها الأعلى كلّه أبراج منتظمة ، فيها المَلالي المنيفة ، والقِيصابُ المشرفة ، قد تفتحت كلّها طيقاناً . وكلّ برج منها مسكون ، وداخلها المساكن السلطانيّة ، والمنازل الرفيعة الملوكيّة ».

وقال ابنُ بطوطة [١] : « ... وقلعة حلب وبداخلها جبّان ينبع

---

(١) هو محمد بن عبدالله (١٣٠٣ ـ ١٣٧٧م) ولد في طنجة وطاف في كثير من أنحاء العالم زهاء ٢٩ سنة . له « تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » المعروفة برحلة ابن بطوطة ، ترجمت الى عدد من اللغات أهمها : الفرنسية والانكليزية والألمانية .

منها الماء فلا تخاف الظمأ ، ويطيف بها سور وعليها خندق عظيم ينبع منه الماء . وسورها متداني الأبراج قد انتظمت بها المعالي العجيبة المفتحة الطيقان ، وكلُّ برجٍ منها مسكون ، والطعام لا يتغيَّر بهذه القلعة على طول العهد . وبها مشهد يقصده بعضُ الناس ، يُقال إنَّ الخليل كان يتعبَّد به . وهذه القلعة تشبه قلعة رحبة مالك بن طوق التي على الفرات بين الشام والعراق . ولما قصد قازان طاغيةُ التتر مدينة حلب ، حاصر هذه القلعة أياماً ، ثمَّ نكص عنها خائباً » .

وقال ياقوت الحموي حين زار حلب عام (٦٢٦ هـ - ١٢٢٨ م) : « وأما قلعتها فبها يُضرَب المثَل في الحسن والحصانة » .

وقال الخالدي شاعرُ سيف الدولة الحمداني في قلعة حلب :

وخرقاء قد قامت على من يرومها ... بمرقبها العالي وجانبها الصعْبِ
يجرُّ عليها الجوُّ جيب غمامةٍ ... ويلبسها عقداً بأنجمه الشهْبِ
إذا ما سرى برقٌ بدَت من خلاله ... كما لاحتِ العذراءُ من خللِ السحبِ
فكم من جنودٍ قد أماتت بغصّةٍ ... وذي سطواتٍ قد أبانتْ على عقْبِ

وفيها يقول الخالدي أيضاً من قصيدةٍ بديعة :

وقلعةٍ عانقَ العنقاءَ سافلُها ... وجازَ منطقةَ الجوزاء عاليها
ردّتْ مكائدَ أقوامٍ مكائدُها ... ونفّرتْ لدواهيهم دواهيها

وقال في هذه القلعة جمالُ الدين علي بن أبي منصور :

كادَتْ لبونِ سموّها وعلوّها ... تستوقفُ الفلكَ المحيط الدائرا
وردَتْ قواطنُها المجرَّةَ منهلاً ... ورعتْ سوابقُها النجومَ زواهرا
ويظلُّ صرفُ الدهر منها خائفاً ... وجِلاً فما يمسي لديها حاضرا

وفي أحلك عهود الانتداب ، كنا نردِّد كثيراً من الأناشيد الوطنية

بينها نشيد عنوانه « دُمْتِ يا شهباء » من نظم الشاعر الحلبي المغفور له بتراكي خياط - وكان زميلنا في المعهد العلماني « اللاييك بحلب » وفي - هذا النشيد يتغنى بعظمة قلعة حلب فيقول :

قلعةَ الشهباءِ يا عمرَ الزمانْ رفعةُ الامجادِ توليك خلودْ
قلعةَ الشهباءِ يا سور الامانْ من بني الاوطان تحميكِ أسودْ

وقال الاستاذ خليل الهنداوي ، في حفل كبير أقيم مساء الاثنين ١ / ٧ / ١٩٧٤ في قاعة العرش بقلعة حلب ، بمناسبة العيد الخمسيني لجمعية « العاديات » في الشهباء (١) :

أغارَ على منكبيكِ الزّمانْ فلله ما حمّلَ المنكبانْ
وكرّتْ عصورٌ ، ومرّتْ دهورٌ وأنتِ ، مكانكِ هذا المكانْ
كأنّكِ من بأسها في أمانْ فهل هي أعطتكِ عهدَ الامانْ
براكِ الحنانُ على أهلها ويا رُبَّ أمٍّ براها الحنان
وكم فاتحٍ دقَّ أبوابها فما دميتْ منهُ إلا اليدانْ
أرادَ الدمستقُ إذلالها فعزَّ عليه اقتحام المكانْ
وآبَ ، وفي نفسهِ حسرةٌ وعيناهُ ، من زرقٍ ، تقدحانْ
فوارسُ حمدانَ في ساحها وخيلهمُ مطلقاتُ العنانْ
تواصوا على الموتِ من أجلها كأنهم والرّدى في رهانْ
وعافوا الحياةَ على حبّها وحبُّ الحياةِ أذلَّ الجبانْ
فيا مَنْ يهيمُ بطول الحياة حياتُكَ ما هيَ إلا ثوانْ
فان صنتَ أرضاً وعرضاً فماذا يضيرُكَ إنْ متَّ قبل الاوانْ؟
أمعجزةَ الكبْرِ بينَ القلاعِ وقبلةَ ما نوّرَ المشرقانْ

(١) مجلة « الضاد » العددان ٣ و ٤ عام ١٩٧٤ ص ١١٥ .

بِحَسبكِ أنكِ رمزُ الاباء   وأنكِ رمزٌ تحدّى الزمانْ

ولي في قلعتها المنيعة الخالدة ، أبيات كثيرة يجدها القارىء العزيز في باب خاص سميته (ديوان حلب) ونشرته في آخر هذا الكتاب .

وحسبي أن اختمَ هذا المقال عن قلعة حلب ببعض ما قلتهُ فيها :

شاخَ الزمانُ وقلعةُ   الشهباءِ ظلّتْ في صِباها
ربَضت على التلِّ الاشمِّ   فروّعتْ أقوى عِداها
كم قائدٍ قد عادَ عنها   خائباً لما بلاها (١)
وتراجعتْ عنها النسورُ   كأنها تخشى أذاها
والدهرُ نازلها فما   ذلّتْ ولا وهَنَتْ قُواها
إنّ الملوكَ الصيدَ تحتَ   بروجها خفضوا الجباها
مُثِلَ الخلودُ بمن تباهي ؟   قال بالشهبا وتاها



(١) بلا : اختبر . عرف . جرّب .

أسوار حلب وأبراجها وأبوابها

ما زالت حلب محتفظة حتى الآن ، بكثير من معالمها الآثرية المتسمة بدقة الصنعة ، وجمال الفن ، وروعة التاريخ . فهي من هذه الناحية مدينة عربية أصيلة محافظة ، رغم ما طرأ على بعض احيائها من جدة ، جعلتها تباري ببناياتها العصرية الشامخة وداراتها « فيلاتها » المشيدة بالحجر المنحوت ، او بالحجر السوري ، أجمل بنايات العالم المتحضر ، وابدعها هندسة .

ولقد أتاح الله لي أن ازور عدداً كبيراً من مدن اوروبا ، ومن مدن الاميركيتين : الشمالية والجنوبية . فلم ار احسن من بنايات حلب ، ولا أشد متانة منها . ولو زادنا المولى ماء ، لكانت حدائقنا العامة ، وحدائق داراتنا جنات تسر القلوب ، وتشرح الصدور ، وتجود علينا بأزهى الوان الزهور .

صحيح أننا نجد في اوروبا واميركا ، بنايات ضخمة تناطح السحاب ، ولكنها أبنية تجارية ، أين منها تلك الأبنية القديمة التي كانت تمتاز بسعة غرفها ، وعلو سقوفها ، وبما كانت تزدان به من زخارف مدهشة ، ونقوش خلابة ، ورسوم تثير كوامن الاعجاب . انها في الحقيقة أمكنة تريح الاعصاب المرهقة ، وتبهج الأنظار التائقة الى كل ما هو هادىء وجميل .

إن الفن المعماري العربي القديم ، كان ومازال ، معتبراً من الاعمال الخارقة ، والهندسة الحربية في الحصون والقلاع وإقامة الابراج والسقاطات المحمولة على كوابل من الحجر الصلد ، وتلك الفتحات المستديرة التي كانت تصب منها المواد المحرقة على الأعداء ، وهاتيك الابواب الحديدية

الهائلة ، والاسوار العالية المنيعة المحيطة بالبلد من جميع انحائه ، كلُّ ذلك كان يُعَدُّ حائلاً قوياً تتساقط دونه ألوفٌ والوف من جثث المهاجمين ، وكثيراً ما كانوا ينكصون على اعقابهم خائبين ، تاركين قتلاهم طعاماً للوحوش والجوارح .

ومنذ أقدم الازمنة ، أي منذ أكثر من أربعة آلاف سنة ، كانت حلب تلاً ما لبث ان غدا تلك القلعة الفريدة في تحصيناتها وارتفاعها في وسط المدينة كالطود المنيع .

وكانت القلعةُ آهلةً بالسكان كما قدّمنا . ولما كثر الناسُ ، بنى بعضُهم بيوتاً لهم على مقربة منها . ثمَّ امتدَّت تلك البيوت الى مسافة أبعد تحميهم ثلاثة اسوار حصينة بناها الروم بالحجارة . وكان يُضربُ المثل بحصانة سور حلب ومنعته .

ولكنَّ كسرى تمكّن عام ٥٤٠م من محاصرة حلب والاستيلاء عليها . ثم بنى بالآجر الفارسي ما هدم من أسوارها الكائنة بين باب الجنان وبين باب انطاكية . وبقيت على هذه الحال الى ان ملكها العرب ، فجدّد فيها بنو اميّة ، ثم بنو صالح في العهد العباسي عدة ابراج .

وفي عهد سيف الدولة بن حمدان ، حاصرها نيقفور ملك الروم سنة (٣٥١هـ ٩٦٢م) واستطاع ان يمتلكها ، بعد مقاومة ضارية ابداها الحلبيون البواسل .

ولم يقوَ الروم على البقاء في المدينة ، إلاّ سنة وبعض السنة . فعاد اليها الملك الحمداني وجدّد اسوارها سنة (٣٥٣هـ ٩٦٤م) وكان اسمه مكتوباً على بعض ابراجها . ثم جاء ابنه سعد الدولة فاتقن سورها سنة (٣٦٧هـ ٩٧٧م) ثم اضافت اليها دولةُ بني مرداس ، ومن تلاها من الملوك ، مثل آق سنقر وولده عماد الدين زنكي ونور الدين زنكي ، والظاهر غياث الدين غازي ، وشهاب الدين طغرلبك الاتابك ، والملك

الناصر يوسف ابن الملك العزيز ، كلُّ هؤلاء ، تعاونوا على تشييد الابراج واعلاء الاسوار وتقويتها وجعلها تحيط بالبلد .

يقول الشيخ كامل الغزي : « . . . وكانت هذه الابراج عظيمة ، كلُّ واحدٍ منها يضاهي قلعةً ، وعدتها - يعني الابراج - نيّف وعشرون برجاً ارتفاع كلّ برجٍ منها فوق اربعينَ ذراعاً وسمته ما بين الأربعين الى الخمسين ، وكلّ برج له رواقات تستر المقاتل من حجارة المنجنيق والنشاب ، وسفح من السور والابراج في الميل الى الخندق[1] فصار كله كالقلعة العظيمة[2] » .

ولكنَّ الطاغية هولاكو اجتاح مدينتنا الوادعة سنة ٦٥٨ هـ فخرب أسوارها وأبراجها وذبح ذبح النعاج ، من كان فيها من شيوخ ونساءٍ وأطفال . ثم ابتليت حلب بتيمورلنك المعروف بـ « تيمور الاعرج » (١٣٣٦ - ١٤٠٥ م) حفيد جنكيزخان المغولي ، فأحرق الشهباء وجعلها خراباً .

غير ان حلب لم تمت ، وما لبث ان رجع اليها من كان قد نزح عنها ، او هرب من ظلم غزاتها البرابرة البغاة .

وهكذا بدأت تنبض فيها عروق الحياة من جديد ، وراحت أيدي البناة تشيّد المساكن ، وتعيد الاسوار والابراج الى ماكانت عليه . ويعود الفضل الاول في ذلك ، الى الملك المؤيد شيخ ، الذي أشرف بنفسه على بناء الاسوار وترميم ما يحتاج منها الى الاصلاح . ولما توفي الملك المؤيد الشيخ ، أكمل الملك الاشرف برسباي بناء الاسوار الخارجية ، وأضاف اليها بعض المشاريع العمرانية الاخرى .

---

(١) هو خندق الروم ، وعرف بهم لأنهم حفروه لما اجتاحوا حلب ايام سيف الدولة .
(٢) « نهر الذهب في تاريخ حلب » للغزي . الجزء الثاني . الصفحة ٥ .

أبواب حلب :

ذكر الغزي في تاريخه ان حلب كانت تشتمل على عدّة ابواب : اولهما مما يلي القبلة « باب قنسرين » وسمّي بذلك لأنه يخرج منه إلى قنسرين ، وهو قديم جدّده سيفُ الدولة ، ثم الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز ، وقد بنى عليه ابراجاً عظيمة ومرافق للاجناد وطواحين وأفراناً وجباباً للزيت وصهاريج للماء . ويلي هذا الباب « باب العراق » لانه يخرج منه إلى جهة العراق . وبنى الملك الظاهر غازي باباً دُعيُ « باب العدل » كان لا يركب منه أحدٌ سوى ذلك الملك . ثمَّ يأتي « الباب الصغير » وهو الباب الذي يخرج منه من تحت القلعة . ثمّ « باب الاربعين » وقيل سمّيَ بذلك لانه خرج منه اربعون محدّثاً أو شريفاً . وقيل أربعون ألفاً من الجنود لم يعد منهم إلاّ واحدٌ فقط . ثم « باب المقام » ويخرج منه إلى مقام لابراهيم الخليل . وإلى الشرق من هذا الباب « باب النيرب » القريب من قرية النيرب ، يتلوه « باب القناة » لانّ قناة حيلان كانت تعبر منه . وهذا الباب يُعرف اليوم بـ « باب الحديد » وقد سبق أنْ انْ عُرِفَ بباب بانقوسا لوقوعه على مقربةٍ منها . ثم تجدّد بين باب النيرب وباب الحديد ، باب يدعى إلى يومنا هذا « الباب الاحمر » . وفي شمال البلد « باب اليهود » هدمه الملك الظاهر غازي ، وبنى مكانه باباً سماه « باب النصر » كما بنى في غربي حلب « باب الفراديس » يليه « باب الفرج » وكان في محله كما يقول الغزي : « باب يسمى « باب العبارة أو باب الثعابين » ويليه « باب الجنان » لانه يخرج منه اليها ، ويليه « باب انطاكية » لانه يخرج منه إلى جهة انطاكية ، وكان خربه الملك الناصر ابن الملك العزيز سنة ٦٥٣ هـ وبنى عليه برجين عظيمين ، ويليه « باب السعادة » وقد دثر بعد مدة . وكان على الجسر المعقود على قويق في ظاهر « باب انطاكية » باب

من بناء سيا الطويل سماه « باب السلامة » خربته الروم سنة ٣٥١ هـ[1].

ومما يؤسَفُ له كثيراً ، انَّ معظم هذه الابواب قد تهدمت ، ولم يبقَ منها سوى أربعة أبواب محفوظة بحالةٍ جيدة وهي : ١ً - باب النصر ، بُنيَ في أول القرن الثالث عشر الميلادي . ٢ً - باب انطاكية ، بُنيَ في منتصف القرن نفسه . ٣ً - باب قنسرين ، ويرجع إلى ذلك القرن أيضاً ، ويُعَدُّ من أجمل وأمنع ما خلَّفه لنا فنُّ التحصين العسكري ٤ً - باب الحديد وما زال والحمد لله ماثلاً للعيان .

أمَّا باب المقام ، فما زال القسم الاكبر منه قائماً على مسافةٍ قريبة من باب قلعة حلب ودار الحكومة .

وأمَّا بقية الابواب كباب الفرج وباب الجنان وباب النيرب وباب العراق وباب العدل وباب الفراديس ، فلم يبقَ ايُّ اثر منها .

والسيَّاح الذين يزورون مدينتنا العريقة ، تشدُّهم تلك الابواب الاربعة الباقية ، وتثير دهشتهم وتدعوهم إلى الاعجاب الشديد ، بالهندسة المعمارية العسكرية ، وبما كان عليه أجدادنا العرب من فطنةٍ وذكاء ونظر بعيد إلى المستقبل ، وإلى إقامة كل ما يحمي بلادهم من طمع الطامعين ، وهجمات الغزاةِ والمغيرين .



(١) ملخص ما أورده الغزي عن « أبواب حلب » في تاريخه « نهر الذهب » ج ٢ من ص ٧ إلى ص ٩ .

صناعة حلب وأسواقها وخاناتها

كانت حلب منذ أبعد العصور ، من أهمّ مراكز الاتصال بين الطرق التجارية في الشرق الادنى ، لوقوعها في منتصف الطريق بين البحر الابيض المتوسط ، وبلاد ما بين النهرين : دجلة والفرات . ومن هناك كانت تسير القوافل الى ايران والهند والصين وغيرها من بلاد الشرق الاقصى .

وكانت حلب تتحكّم شمالاً ، بممرات جبال طوروس المؤدية إلى اسطنبول والى العديد من البلدان العثمانية ، وتُمَدّ بداية الطرق المتجهة الى الجنوب بواسطة نهر العاصي ، ووادي البحر الميت ، ومنه إلى مصر. وبسبب هذه الميزات الجغرافية كانت تعتبر حلب ، مدينةً تجاريةً كبيرةً مزدهرة .

ولكنْ بعد أنْ فُتِحَت قناةُ السويس في عام ١٨٦٩ ، أخذت حلب تفقد مكانتها التجارية ، وبقيت محتفظةً بمكانتها الصناعية . من أهمها هندسة البناء ، وصنع الاسلحة الخفيفة ، والقاشاني ، وتطعيم الخشب والنحاس ، وحياكة الانسجة الحريرية والصوفية والقطنية مع صقلها . وكان لصناعة الورق الحلبي أهميةٌ كبرى في مدينتنا ، حتى أنّ حيّاً من أحياء حلب كان مختصاً بهذه الصناعة . وما زال هذا الحي يُعرَف إلى اليوم بحيّ الوراقة . وعندنا في الشهباء اسرة كريمة تُعرَف « ببيت الورّاق » ، كان أجدادها يصنعون الورق ، وخصوصاً الورق المعروف بالعبادي ، والمعد للكتابة وللكتب التي تنسخ باليد . وفي مكتباتنا العامة والخاصة ، الوف من المخطوطات ذات الورق العبادي . وقد خطّ بعضها

بالقلم النسخي ، وبعضها الآخر بالقلم الفارسي ، أو بالخط المعروف بالثلث أو بالرقمي .

والمعروف أن الورق اختراع صيني قديم[١] ، عرفه العرب وتعلموا صناعته عندما استولوا على سمرقند عام ٧٠٤ م . وفي أواخر القرن الثامن للميلاد ، بدأ ينتشر الورق في البلاد العربية ، ويحل تدريجياً محل ورق البردي Papyrus الذي ظلّ مستعملاً رغم غلاء ثمنه ، وسرعة تلفه ، في مصر وفي العديد من مدن العالم القديم ، منذ العام ٣٥٠٠ ق.م حتى العام ٩٠٠ بعد الميلاد .

وأول مصنع عربي للورق تأسس في بغداد سنة ٧٩٤ م . ثم انتقلت صناعة الورق الى بعض الاقطار العربية ، وفي جملتها مصر والشام والمغرب . وكانت حلب لقربها من بغداد عاصمة الخلافة العباسية ، سبّاقة الى هذه الصناعة التي لم تعرفها اوروبا إلاّ في القرن العاشر وما بعده ، وأول مصانع للورق أنشأها العرب في اسبانيا وصقلية ، ومن هناك تسربت الى ايطاليا والى بعض الأقطار المحيطة بها .

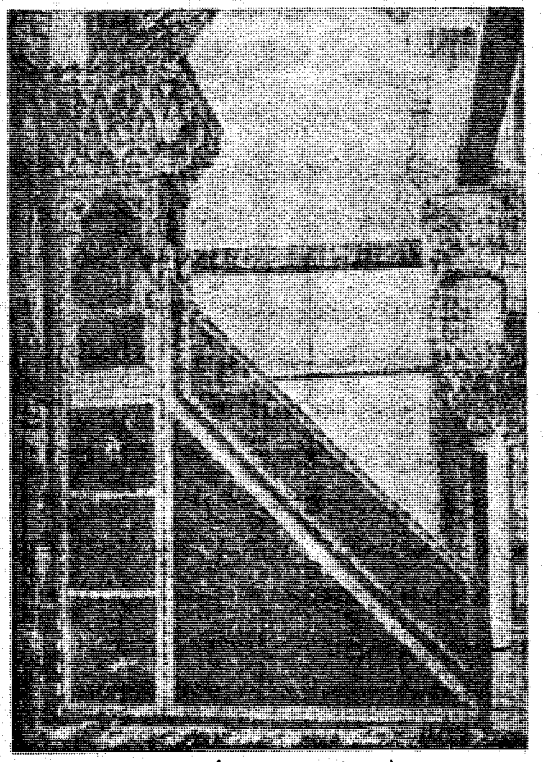
وأتقنت حلب صناعة الورق ، كما اتقنت صناعة النسيج . ومن الثابت أنّ معامل مدينة ليون الفرنسية ، قد أكملت في القرن الماضي ، صناعتها الحريرية الثمينة بمحاكاة الأنسجة الحلبية ، وان الامير بشير الشهابي اول الامراء الشهابيين وأوسعهم خبرةً وشهرة ، استعان على تشييد قصر بيت الدين في دير القمر بلبنان ، بمهندسي حلب ومهرة البنائين من أبنائها .

---

(١) اخترعه رجل صيني يدعى تساي لون Ts'ai Lun وقد كرمته الأجيال المتعاقبة في الصين وجعلته إلهاً لصناعة الورق التي ساعدت كثيراً على انتشار الثقافة والحضارة الانسانية .

وتبدو روعة الصناعة الحلبية بأجلى مظاهرها ، في المنبر الجميل المنتصب في المسجد الاقصى بالقدس ، والمصنوع من خشب أرز لبنان ، والمرصّع بالعاج والصدف النادر المثال ، قد تعاون على صنعه : ابنُ ظافر الحلبي ، وحميد بن ظافر ، وسليمان بن معالي ، وفضايل وأبو الحسن ولدا يحيى الحلبي ، وكان نورُ الدين محمود زنكي قد أمر عام ٥٦٤ هـ - ١١٦٨ م . أنْ يُصنع ذلك المنبر بأجمل حلة فنية ، ليُنْصَبَ في جامع قلعة حلب .

قال تقي الدين أحمد بن علي المقريزي في كتابه « السلوك في معرفة دول الملوك » (١) نقلاً عن ابن الأثير (٢) أنه لما أمر صلاح الدين بعمل منبر للمسجد الأقصى ، قيل له : « إنّ نور الدين محمود كان قبل عشرين سنةً قد عمل بحلب منبراً أمر الصناعَ في المبالغة في تحسينه واتقانه . وقال هذا ما عملناه لينصّب بالبيت المقدس ، فعمله النجارون في عدة سنين ، لم يعمل في الاسلام مثله » . فأمر صلاح الدين باحضاره ، فحمل من حلب ونُصِب بالقدس» .



« المنبر الحلبي في المسجد الأقصى بالقدس »

(١) الجزء الأول ص ٩٧ . (٢) « الكامل في التاريخ » ج ١١ ص ٣٦٥ .

وحين زرتُ القدس في شهـر نيسان عام ١٩٥٣ ، بدعـوةٍ من الصديق العزيز والمؤرخ الكبير عارف باشا العارف، حظيت بزيارة الحرم القدسي ، ووقفتُ امام ذلك المنبر مأخـوذاً بسموّ الفنّ ، ودقـة الزخارف العربية وجمالها ، وايقنت أن حلب كانت تمتاز بمهارة عمـالها ، وحسن ذوقهم ، وبعد صيتهم في مختلف الصناعات اليدوية .

أوّلُ ما يعجب له من يزور حلب منَ الأجانب ، تلك الأسواق المسقوفة التي تردُّ الحرّ صيفاً ، والبردَ والمطرَ شتاءً عن الباعة والمشترين معاً ، والتي نُسّقت تنسيقاً قلّ أنْ عرفتْهُ مدينة أخرى . فهناك سوق للعطارين ، وسوق ثانٍ للخضار والفواكه ، وسوق ثالث للحبال والقنّب ، وسوق رابع للأحذية الحمر ، وسوق خامس للقطن والصوف ،حتى أسواق الأقمشة مقسّمة إلى عدة أقســـام . فســـوق للجوخ ، وآخر للحرير ، يتلوه سوق الكتان ، وثانٍ للخيطان والأزرار والدبابيس وأدوات الخيـاطة ، وكل هذه الأسواق التي تُعرَفُ عند العامة باسم « المدينة » وحـــدة متماسكة الأجزاء ، تشغل مســـاحةً كبيرة تُقدَّر بعشرة كيـلو مترات مربّعة ، يجد فيها المرء كلّ ما يطلبه من البضائع التي كانت تأتينا قديمـاً منَ العجم والهند والصين ، ومن مصر والحبشة والسودان ، ومن أرمينيا وبلاد المسكوب ـ روسيا ـ ، والمملكة العثمانية والبلقان ، ومن معظـم الاصقاع الاوروبية ، وخصوصاً من فرنسا وانكلترا وايطاليا .

وكانت كثير من بضائعنا تصل الى هاتيك البلاد ، وتدرُّ علينـا أرباحاً تزيد مدينتنا قوّةً تجارية واقتصادية . وقد بلغ من شهرة حلب في ميدان التجارة ، ان أهلَ البندقية كانوا يُرسـلون أبناءهم الى الشهبـاء ، ليتعلموا لغة أهلها وعاداتهم وأساليبهم في المعاملات التجارية المبنية على أسسٍ وطيدةٍ وراسخة من الصدق والنزاهة والاستقامة . وكانت كلمـةُ التاجر

الحلبي بمثابة عهد يلتزم به ، فإذا قال مثلاً : بعت هـذه البضاعة بعشرة آلاف ليرة عثمانية ذهباً ، التزم الفريقان : البائع والمشتري بذلك ، سواء تضاعف ثمن البضاعة أو انخفض . وكانت أكثر المعاملات تجري بدون سندات رسمية أو عادية ، ولم يكن يخلّ أحد بعهده ، أو ينكر كلمته ، أو يمتنع عن تسليم ما باعه من بضائع في الموعد المحدد لتسلمها .

ولعلّ هذا ما حدا بياقوت الحموي إلى أن يصف حلب بقوله : « إنّ الله خصها بالبركة وفضلها على جميع البلاد » .

وروى المؤرخون الذين زاروا حلب في أعوام ١٧٤٠ - ١٧٥٠ أن تجارها كانوا يستعملون الحمام في رسائلهم لبغداد والاسكندرونة . وذكر المؤرخ فولني Volney الذي زارها عام ١٧٨٤ أنها كانت مدينةً تجارية مرموقة . وقد بلغ صيتُها مسامع شكسبير فذكرها في مسرحيته « ماكبيث Macbeth » . وشبهها سواه من كبار الكتاب بمانشستر فقال: يحقّ لحلب أن تُدعى مانشستر الشرق لما فيها من معامل للأنسجة . ويجدر بالتاجر الحلبي ،أن يعتزّ بمكانته التجارية القائمة على حسن السمعة ، وشرف القصد ، والتقيّد بالوعد الحرّ ، والكلمة الصادقة ، والقناعة المثلى في الربح الحلال .

وكان لكلّ دكان من دكاكين العطارين وباعة الاقمشة ونحوها درّابة (١) ، فاذا فتح المرء دكّانه ، رفع الدرّابة الخشبية ، ودخل منها ، وجلس وراءها ، ثم أعادها إلى ماكانت عليه ، ووضع فوقها مرفقيه أو يديه ، حتى إذا باع شيئاً من بضاعته ، فتحَ الدرابة .

---

(١) جاء في كتاب « محيط المحيط » للمعلم بطرس البستاني ج ١ ص ٦٣٧ طبعة ١٨٦٧ « ودَرّابة الدكان أحد مصراعي بابه اللذين يطبق الأعلى منها على الأسفل (مولّدة) » .

وعندئذٍ يعرف أهل السوق ، أنّ الله فتحَ عليه . وكان من العار ، أن يزاحمَ البائعُ من لم يبعْ . فاذا رفع الجميع دَرّاباتهم ، فمعنى ذلك أنّ كل واحدٍ منهم قد نال نصيبه من الرزق .

ولعلّهُ منَ المستحسَن ، أنْ نبيّنَ هنا ، ما عُرف بـه أسلافنا من الرضى بما قسم لهم المولى ، ومن التعاون الوثيـق في مضمار الزمالة ، ومنَ البعد عن كلّ ما يمسّ شعور الجـــار ، أو يخدش إحساسه ، أو يسيء الى رواج بضاعته .

لقد كان فتح‌الله الصقال[1] جدّ المحامي الانساني الكبير وعميد مشاريع الكلمة الخيرية ، عالمـــاً في الموسيقى العربية ، يجيـد العزف على الكمان ، ويؤلف مع بعض أشقائه جوقةً صغيرة منَ الهواة ، تعزف في سهرات الأهل وأفراحهم . فكان أخوه الاكبر انطون يعزف في المزمار الغربي المعروف بـ (الكرنيطـــة) وكان شقيقهما رزق الله يعـزف على القـانون .

وكان فتح الله يعمل في صناعة الصقال ، ويشتغل بتجارة الأقمشة . وكان له في سوق الدهشة حانوت يبيع فيه المنسوجات الوطنية ، وفي جملتها « الصايات » المتنوّعة . وقد اشتهر - كما اشتهر حفيدهُ وسميّه من بعدهِ - بوفرة العطف والاشـــفاق والقناعة . فكان يرضى بالكســب القليل ، ويأبى أنْ يغنم شيئاً من غير الطريق القويم ، او أنْ يزاحمَ أحـداً على رزقه ، أو أن يستأثرَ بالبيع من دون زملائه وجيرانه .

---

(١) توفي فتح الله الجد عام ١٨٩٨ وتوفي فتح الله الحفيد عام ١٩٧٠ .

ومما يؤثرُ عنه ، ان رجلاً أتاه قبيلَ ظهر أحد الايام ، وسأله عما إذا كان عنده جملة من « الصابات » المعروفـة « بصابات زند العبد » . فقال له : عند جاري هذا ـ وأشار إلى حانوت أمامه ـ ما تريد شراءه . فقال له الرجل ، ولكنني أرغب في أن اشتريَ من عندك أنتَ كثيراً من « الصابات » . وها أنا أرى في دكانك ما أحبُّ شراءه . فأجابه الصقال الكبير : نعم ، غير أني رُزِقتُ « استفتحتُ » في هذا الصباح . أمّا جاري الذي دللتكَ عليه ، فلم يُرْزَق بعد ، فاذهب اليه واشترِ من عنده .

بمثل هذه الروح الانسانية السمحة ، كان يتعامل كبار التجار ، وصغار الكسبة . وكان المولى سبحانه وتعالى يُغدق على الجميع ، خيراته الوافرة ، وبركاته السماوية .

خانات حلب :

كانت حلب منذ منتصف القرن الرابـع عشر تُعَدُّ واسطةَ عقد التجارة بين الشرقِ والغرب . وقد زارها السائح « دارامون Daramon » عام ١٥٤٨ فوصفها بأنها مخزن عامر بأنواع البهارات والادوية والحـــرير ومختلف البضائع الهندية . التي كانت تصل إليها بواسطة البنادقة الذين لهم فيها سفير خاص منذ عهد المماليك . أمَّا قوافل مصر ، فـكانت تأتيها عن طريق البحر . وكان لثغر السويدية أهمية خاصة ، لأنه كان أفضلَ مرسى للسفن ، وأقربَ منفذ لاتصال الغرب بالشرق .

وكانت فرنسا والبندقية ، أولَ البلاد الاوروبية التي اتجرت مع حلب وأقامت فيها المـكاتب التجـارية . ثمَّ جاء الانكليز في القرن السادس عشر وتلاهم الهولنديون . وتناسل بعضُ الفـرنج في حلب وعُدُّوا كأنهم من

أهلها (١) .

ولهذا كان من الطبيعي ان تكثرَ في حلب الخـانات التي كانت مساكن تجار الفرنج . فالطبقة السفلى من كل خان ، كانت معدّة لما تحمله قوافلهم من بضائع متنوعة ، ولمبيت دوابهم وراحتها . والطبقةُ العليا كانت مخصصة لسكن التجار طيلة مدة اقامتهم تحتَ سماء الشهباء . وكانت غرف النوم تُشبه إلى حـد بعيد غرف بعض فنادقنا ، أي أنها كانت متسلسلةً بعضها بجانب بعضها الآخر ، يمتدُّ أمامها رواق طويل يشرف على أرض الخان ، وكان قسم من تلك الغرف ـ وهو القسم المخصص لمبيت التجار الاغنياء والقناصل وكبار التراجمة ـ يمتاز على القسم الآخر ، الذي كان ينزل فيه الوافدون العاديون .

وكان لكلّ جالية أوروبية خان خاص تنزله فور وصولها إلى حلب ، فيستقبلها وكيلها ومعاونوه ويحتفوا بأبناء قومهم ، ثم يودّعونهم ويزودونهم ببعض الهدايا التذكارية من صنع حلب .

والخان كلمة فارسية معناها بيت ، وخان التجار كما يقول « محيط المحيط » منزلهم للتجارة ، وخان المسافرين محل نزولهم . وقد دخلت هذه الكلمة إلى العديد من اللغات الشرقية والغربية منها Kan الفرنسية وتعني محطّ القوافل .

وفي عام ١٧٢٣ كان في حلب أربعون خاناً كانت تغصُّ بالوافدين الينا من اوروبا وبلاد فارس والهند وانحاء المملكة العثمانية وغيرها . وقد كتب عن خاناتنا عـدد من مشاهير مـؤرخينا أمثال الغزي والطباخ والأسدي وغيرهم . وأفرد لها صديقنا الأديب الكبير الاستاذ فريد جحا ،

---

(١) محمد سعيد الزعيم . مجلة الكلمة ١٩٤٩ ص /١٠٧/ .

محاضرة قيمّة تحدّث فيها عن « الخانات الأثرية في حلب » وتفضل مشكوراً فنشرها في مجلة « الضاد »[١] وهذه المحاضره دراسة تاريخية وأثرية ممتعة، تُعتَبر بحقٍّ من احسن ماكُتِبَ عن خاناتنا وأسواقنا ، ولا سيما عن خان الوزير وعن قنطرة بابه الذي نُقِش على جانبيه « شماران » كل منها دائرة بارزة منقوش عليها السبع الذي هو شمارُ الوالي باني الخان[٢] » .

ومن الذين كتبوا عن حلب بشكل عام ، وعن قلعتها وأسوارها وأسواقها وآثارها بشكل خاص ، الصديق الطيب الذكر المرحوم صبحي الصواف . وعندما أصدرت وزارة البلديات التي كان يتـولاها صديقنا الاستاذ فائز اسماعيل ، عدداً خاصاً من مجلتها « العمران » عن حلب ، ساهمنا نحن فيه بكتابة موضوع عن « الحياة الاجتماعية في حلب » وشارك الاستاذ الصواف ببحثٍ ضافٍ عن « تاريخ حلب ومبانيها الاثرية » . وقد رأينا من المفيد ان نلخّص من كل ما قرأناه عن خاناتنا ، نبذاً مختصرة تكون ختاماً لبحثنا هذا .

خان الوزير : لا ريب أن خان الوزير اعظم خانات حلب ، وأجملها هندسة ، بواجهته الرائعة ، ونقوشه البديعة ، وزخارفه الدقيقة الأنيقة الدالة على ذوق مترف وصناعة بلغت أسمى درجات الاتقان .

بنى هذا الخان سنة ١٠٩٣ هـ ١٦٨٢ م أحدُ ولاة حلب ، ثمّ ما لبثَ أن سُمي هذا الوالي وزيراً في البلاط العثماني ، فدُعيَ بناؤه « خان الوزير » ومن المؤسف ان قسماً كبيراً من هذا الخان الاثري النفيس قد خرب وخصوصاً الطبقة العليا منه . ونحن نناشد مصلحة الآثار وبلدية

---

(١) مجلة الضاد ١٩٧١ الصفحات ٢٥٩ و ٣٧٧ و ٤٦٧ .

(٢) الاستاذ فريد جحا ــ مجلة الضاد ١٩٧١ ص ٤٦٨ .

حلب ، وجمعية العاديات أن تتعاون على بناء ما تهدم منه . ليبقى بناءً أثرياً ثميناً ، يشدُّ اليه في كلِّ سنة ، ألوفاً من السيَّاح ، ينفقونَ الكثيرَ الكثير من العملة الصعبة في سبيل اشباع هوايتهم الاثرية ، والاطلاع على ما تركه لنا الاجداد من الروائع الهندسية العجيبة التصميم والصنع معاً .

خان الصابون : يعتبر خان الصابون ذا أهمية عظيمة بواجهته الرائعة ، وبما يزدان به من أشكالٍ هندسية ، ونقوش بلغت منتهى الدقة والاناقة ، ودلَّت على أن الذوق الفني الحلبي وصل إلى ذروة الكمال .

هذا الخان الجميل ، بناه عام ٨٨٤ هـ - ١٤٧٩ م الامير ازدمير نائب حلب المملوكي في عهد الملك الاشرف قاتباي . وفي طرفي واجهة هذا الخان نجد شعار هذا الأمير وبعضاً من الزخارف المثيرة للاعجاب .

خان الجمرك : هذا الخان أوسع خانات حلب شهرة في عالم التجارة ، ليس في بلدنا وحده ، بل في العديد من بلدان الشرق والغرب ، فقد كان منذ القرن الثامن عشر ، مركزاً للشركة البريطانية الشرقية ، ثم عمد مشاهير تجارنا إلى تأسيس مكاتبهم فيه . فكان في مطلع فتوَّتنا ، أي منذ نصف قرن ، يضمُّ اكبر المصارف والمكاتب ومحلات التصدير والاستيراد ، فكان فيه عيون أهلِ الفضل والثراء من أبناء الشهباء وغيرهم ، نذكر منهم : السير حمصي وفيكتور عجوري ومحمد سعيد المنيدي وسياهو شماع وجورج سالم وميشيل خياط وسواهم من وجوه القوم وأقطاب الاقتصاد ، وكان هذا الخان ، محورَ الحركة التجارية في سورية والاناضول وفي كثير من بلدان أوروبا وآسيا وأفريقيا واميركا .

كان يُعرف هذا الخان باسم « خان محمد باشا » وقد أمر ببنائه في

القرن السابع عشر عندما كان والياً على حلب ، وزيّن واجهته بشمارين هندسيين جميلين ، وجعله واسع الارجاء ، في أحد جهاته كنيسة صغيرة ، وفي باحته مسجد تُقام فيه الصلوات حتى الآن .

خان القصابية : كان يُدعى باسم بانيه ، أزبك الأشرفي نائب حلب عن قانصوه الغوري . شيّده سنة (٩١٦ هـ - ١٥١٠ م) ويُقال انه سُمّيَ بـ « القصابية » تحريفاً لكلمة « الكازه بيا Casa pia » ، أي البيت التقي ، لأنه كان مسكناً للرهبان الاوروبيين في القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر . وهذا القول منطقي وصحيح ، لأن حلب كانت تفتح صدرها لرجال الدين من أية ملّةٍ كانوا ، وتعاملهم بمنتهى الاكرام . وأكبر دليل على ذلك ، ان الرهبان الفرنسيسكان [1] جاءوا الى حلب عام ١٥٧١ وأنشأوا لهم فيها ديراً ثم مدرسة كانت تدرس فيها العربية والايطالية والفرنسية ، ومبادىء العلوم الرياضية والموسيقى . أمّا اليسوعيون [2] فعندما اتجهوا الى الشرق ، قصدوا حلب أولاً ، وفتحوا فيها ديراً لهم عام ١٦٢٥ . أما لبنان فلم يقصدوه إلاّ في عام ١٦٤٤ . والتسامح الحلبي ، شجّع كثيراً من الرهبانيات الأخرى ، على التوجه الى مدينتنا المضيافة والاقامة فيها وتعليم أبنائها القراءة والكتابة والحساب وبعض اللغات الاجنبية . وهذا ما يفسّر لنا تفوّق الحلبيين في معرفة عدد من لغات اوروبا حتى غدا عدد وافر منهم ، تراجمةً في أهم القنصليات والبيوتات التجارية الاجنبية في حلب .

---

(١) أسس الرهبانية الفرنسيسكانية القديس فرنسيس الأسيزي عام ١٢١٠م .

(٢) أسس الرهبانية اليسوعية القديس أغناطيوس دي لويولا عام ١٥٤٠ ، ومن أهم مبادئها نشر العلم وأداء رسالة المحبة والصدق والايمان بالله .

خان خابر بك : هو خان على جانب مرموق من الشهرة . أنشأه في القرن الرابع عشر ، خابر بك الأشرفي نائب قانصوه الغوري . وقد خان خابر سيده قانصوه في معركة مرج دابق عام ١٥١٦ وانحاز الى جانب السلطان العثماني سليم الأول ، فكان سليم يهزأ به ، ويسخر منه ، ويطلق عليه اسم خاين بك .

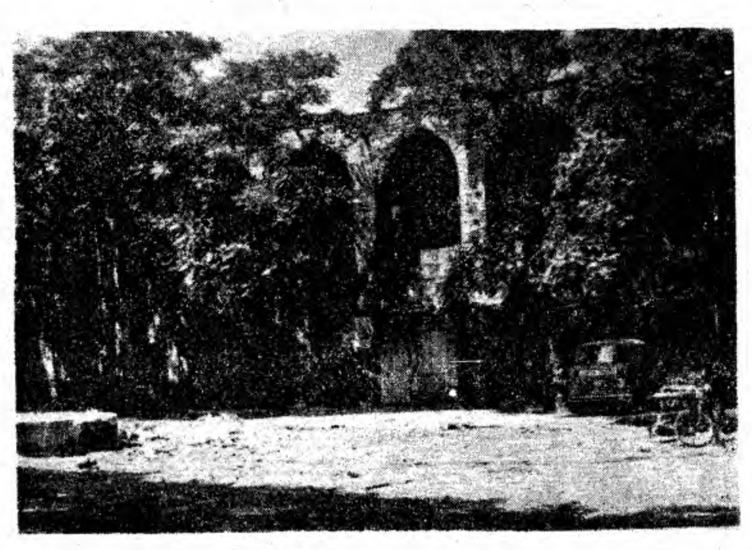
خان النحاسين : لهذا الخان شهرة خاصة ، ففيه يسكن العلامة الأثري الكبير الدكتور ادولف بوخه رئيس جمعية العاديات الفخري ، وأحد مؤسسيها ، ورئيسها الأسبق . وفي مسكنه تحف أثرية نفيسة بعضها نادر الوجود ، حتى لنستطيع أن نعدّ بيت الدكتور بوخه ، في جملة المتاحف الفنية بمعطيات الفن الأصيل ، والممتازة بمجموعة مدهشة من التماثيل القديمة ، واللوحات الفنية التي لا تقدّر بثمن ، وبكثير من الأواني الصينية الخلابة ، والقطع الفخارية التي يعود تاريخها الى أبعد عصور التاريخ .

خان البنادقة : هذا الخان الكائن بين خان الحرير وخان القصابية ، ما زال في حالٍ جيدة من العمران . وكان منذ بضعة قرون ، محطاً لقوافل تجار مدينة البندقية ، وهم كما سبق أن قلنا ، أول من نزل حلب من الفرنج « ففي سنة ١٦٠٥ كان في مدينتنا أربع عشرة أسرة يعمل أعضاؤها في مضمار التجارة ، وكانت أرقام تجارتهم السنوية تتراوح بين المليون ، وبين النصف مليون دوقة ذهباً[1] » ؛ وما برح في حلب رهط من الايطاليين الذين نزل أسلافهم في مدينتنا كآل مركوبولي وصولا وجيراردي ؛ وكلهم يتحلون بالصدق والنزاهة واللطف وحسن المعاملة .

---

(١) محمد سعيد الزعيم ـ مجلة الكلمة عام ١٩٤٩ ص ١٠٧ .

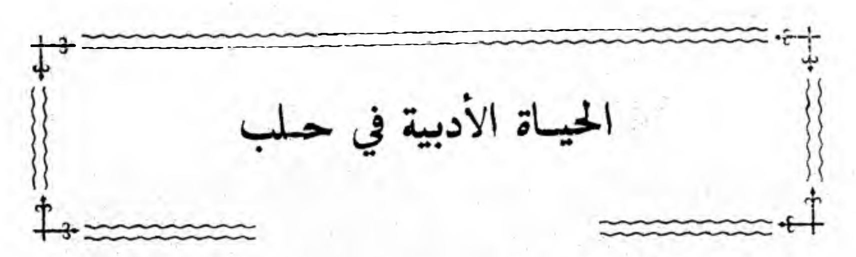
خانات أخرى : وفي حلب مجموعة من الخانات بعضها قديم البناء ، كخان الطاف وخان الشيباني وخان الملبية وخان القاضي واوج خان وخان قرطبة وخان ميسّر وخان الجاكي ، وبعضها الآخر حديث شيّد



(خان قرطبة)

في أوائل القرن الحالي. وفي كل هذه الخانات محال تجارية تدير اقتصادياتنا بدراية وأمانة اكسبتنا التاجر الحلبيّ سمعةً عطرة ، ومنحتاه ثقةً كبيرة ، حتى قيل بحقٍّ : تجّار حلب من خيرة تجار العرب ، ونحن نزيد على ذلك فنقول : تجار حلب من أمهر الناس وأصدقهم في حلبة التجارة العالمية .





الحياة الأدبية في حلب

بدأت الحياة الأدبية في حلب منذ زمن بعيد ، فانتشرت فيها المدارس والمساجد وحلقات التعليم ، ونافست كبريات المدن العربية بمن نبغ تحت سمائها من كتّاب وشعراء وأرباب الفن والصناعة . ولا بدْع ، فقد توارث الحلبيون حبّ الثقافة والأدب والطرب ، ابناً عن أب ، وأباً عن جَدّ ، وأخذوا ينهلون من ينابيع المعارف والفنون الرفيعة ، ما جعلهم يبارون أئمة العلم وأقطاب الفن في مختلف الأقطار والأمصار .

وفي عهد بني حمدان ، ازدهر الأدب في حلب ازدهاراً عظيماً ، فقصدها كبار العلماء وفحول الشعراء من كلّ حدْبٍ وصوب ، واجتمع في قصر سيف الدولة الحمداني ، عباقرة ذلك العصر من أمثال : أبي الطيب المتنبي ، وأبي فراس الحمداني ، وأبي نصر الفارابي ، وكشاجم الرملي ، وابن خالويه ، وأبي الفرج الببغاء ، وأبي عبّاس أحمد النامي ، وأبي النضر بن نباتة العراقي ، والسري بن أحمد الموصلي المعروف بالرفّاء ، وأبي علي الفارسي ، فكان سيف الدولة يُنشطهم ويُشجعهم ، ويُغدق عليهم صِلاته السخيّة ، وجوائزه السنيّة .

وفي زمن بني مرداس ، اشتهر في حلب الشاعر أبو الفتح بنْ أبي الحصينة المعرّي ، وابن القيسراني شرف الدين أبو عبدالله محمد المخزومي

الخالدي الحلبي . كما اشتهر في زمن الأيوبيين أبو المحاسن بن شدّاد، الذي تولّى أرفعَ المناصب الادارية والقضائية على عهد صلاح الدين الأيوبي ، وعلى عهد الظاهر بن الناصر ، فشيّد في حلب عدداً من المدارس ، زادها من جاء بعده من محبي العلم والاصلاح ، حتى بلغ عددها ثلثمائة مدرسة ، جعلوا لها أوقافاً غنية واسعة ، حتى دُعيت الشهباء « حلب الأوقاف » وأول مدرسة عرفت فيها ، هي المدرسة الزجاجية ، بناها سنة ٥١٦ هـ - ١١٢٢ م. بدر الدين سليمان بن أبي الربيع حاكم حلب .

وفي القرن الثالث عشر ، وُلد في حلب ، إمام اللغة في زمنه ، بهاء الدين محمد بن ابراهيم المعروف بابن النحاس ، ونبغ فيها القاضي كمال الدين الحلبي الشهير بابن العديم ، صاحب تاريخ « زبدة الحلب في تاريخ حلب » وابن شحنة مؤلف « الدرّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب ». أما الشيخ جمال الدين محمد بن مالك واضع الألفية المعروفة باسمه ، فقد أقام في الشهباء مدةً كان في خلالها مقصد اللغويين وحجّة النحاة .

وأمام الغزوات المتواصلة ، والحروب الدامية ، التي شنّها المغول والتتر على البلاد العربية ، أغلقت المدارس أبوابها ، وخبتْ في حلب جذوة العلم والادب ، ورحل كثيرٌ من علمائنا الى مصر والمغرب .

ومع إطلالة القرن السابع عشر ، طفقت الشهباء تستعيد مكانتها الادبية ، وتبني من جديد صرح نهضتنا العلمية ، فاشتهر فيها ابن الجزري حسين بن أحمد الحلبي ، ونور الدين علي بن برهان الدين صاحب « السيرة الحلبية » وابراهيم بن أبي اليُمن ، وغيرهم من المؤلفين والادباء .

وعندما بزغت شمس القرن الثامن عشر ، وقد عدّه المؤرخون ، عصر حلب الذهبي ، توطّدت في الشهباء أركان النهضة الادبية ، فكثر

فيها العلماء والكتّاب وحملة الأقلام ، وكادت تزيد تآليف الحلبيين وحدهم ، على ما أُلِّف وصُنِّف في سورية ومصر والعراق . وكان العامل الفعّال في هذه النهضة المباركة ، إنشاء الحلبيين مطبعة ، هي أول مطبعة عربية أنتجت في الشرق كله كتباً عربية بحروف عربية . وكان أول كتاب صدر عن هذه المطبعة عام ١٧٠٦ هو كتاب الانجيل مزيناً بصورة الانجيليين الأربعة . وفي بعض المكتبات الخاصة في حلب بضع نسخ من هذا الكتاب ، وقد رأيناه مطبوعاً بحروف جليّة ، كما رآه غيرنا معروضاً في معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب .

والجدير بالذكر ، أنّ الحلبيين قد نشطوا في القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر الى رفع لواء الانبعاث الأدبي في هذه البلاد ، فأسّسوا المدارس ، واهتموا بشؤون الطباعة ، فحفروا أمّهات الحروف العربية ، ونشروا الكتب على أوسع نطاق عرفته أقطار العروبة في ذلك الزمن .

ومن المحقّق ، أنّ النهضة الادبية التي بسمت في لبنان ، وانتقلت الى مصر فنمت وازدهرت فيها ، كان مبعثها من مدينة حلب بالذات . ومَن كان في شكٍّ من ذلك ، فليراجع كتب الأدب ، وليقلّب صفحات التاريخ ، وليستعرض سِيَرَ علمائنا وأدبائنا ، الذين حملوا مشعل الأدب العربي ، في عصور مظلمة كان العرب في أثنائها تحت الحكم العثماني البغيض .

ونُكبت حلب سنة ١٨٢٢ بزلزال مروّع محا كثيراً من معالمها ، وقضى على ما يقرب من ثلث سكانها [١] . ومُنيت بأضرار جسيمة بسبب الحروب التي اشتعلت نيرانها في بلاد الشام . أما تجارة حلب فقد أثّرت

---

(١) أصيبت حلب بهذا الزلزال في مساء يوم الثلاثاء ١ آب ١٨٢٢ .

فيها قناة السويس تأثيراً اقتصادياً سيئاً . فبعد ان كانت حلب أقصر طريق للقوافل التجارية بين الغرب والشرق ، صار تجار اوروبا وتجار مصر والمغرب وغيرهم من بلدان العالم ، يعبرون ببضائعهم تلك القناة ، وهم في طريقهم الى الهند والصين ، والى بقية أقطار الشرق الأقصى ، ثم يعودون الى بلادهم سالكين هذا الطريق الجديد نفسه .

وبالرغم من هذه المؤثرات القوية ، فقد بقيت حلب محافظةً على سمتها الأدبية ، وعلى كثير من فنونها وصناعاتها كهندسة البناء وصنع الورق والقاشاني والأسلحة الخفيفة وتطعيم الخشب والنحاس وحياكة الانسجة الحريرية والصوفية والقطنية مع رقمها وصقلها . ومن الشهباء انتقلت هذه الصناعات الى كثير من البلاد المجاورة ، والى اوروبا نفسها .

وقد أطلعت حلب على مرّ السنين ، جمهرةً كبيرة من أقطاب العلم والأدب ، بينهم عدد وافر من فحول الشعراء ، وأئمة اللغة والبلاغة والبيان . وسنأتي على ذكر بعض من ساهموا في بناء عصر النهضة ، ومن استطاعوا ان يجعلوا هذه المدينةَ العربية الخالدة ، مركزَ إشعاعٍ ينبعث منه نور الثقافة والمعرفة ، كما تنبعث من الشمس ، تلك الأشعة الذهبية ، التي تبدّد ظلمةَ الليل ، وتخلع على الكون حلّة الضياء ، ورداءَ الحياة .

وكان في طليعة من ذاعت شهرتهم في القرن الثامن عشر ، جبرائيل ابن فرحات ، وهو نفسه المطران جرمانوس فرحات الماروني واستاذه الشيخ سليمان النحوي ، والشماس عبدالله الزاخر ، والشاعر نيقولاوس الصائغ ، ونعمة ابن الخوري توما الحلبي ، وله ديوان شعر ورسائل حسنة ، ومكرديج الكسيح[١] ، وله كتب عديدة منها : كتاب « الاهرامات »

---

(١) شماس أرمني ولد في كلّس وأقام في حلب وعاصر المطران فرحات والأب نيقولاوس الصائغ

و « الطب الروحاني » و « ريحانة الأرواح » و « التبر المكنوز لمنفعة الكاروز » ، وحسن بن عبدالله البخشي ، وكان من أفاضل العلماء وله ديوان شعر ، وعبدالله اليوسفي الحلبي المشهور بالبني ، لأنه كان يتعاطى بيع البن ، وله بديعية التزم فيها تسمية أنواع البديع .

القرن التاسع عشر :

عرف القرن التاسع عشر ، مجموعةً من أدبائنا ، أحصى منهم العلامة قسطاكي الحمصي تسعة وأربعين أديباً حلبياً ، وذكر تراجمهم في كتاب عنوانه :«أدباء حلب ذوو الأثر في القرن التاسع عشر » ثم أضاف اليها ترجمته الحافلة بالنشاطات الادبية ، والجهد العلمي المشكور .

في عام ١٩٢٥ ، طبع المؤلف من كتابه المتقدم الذكر ، مئتي نسخة فقط ، أهداها إلى صفوة أخدانه وخلانه من رجالات الفكر والأدب ، وإلى زملائه أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ، فتناولته الصحف وأقلام النقاد والباحثين ، بما يستحق من تقريظ ، وأشادت بفضل واضعه ، وبما أسداه إلى بلده من خدمة أدبية جليلة .

جعل المؤلف كتابه قسمين : اشتمل الأول على ترجمات أربعين أديباً ، كانوا قد انتقلوا الى رحمة الله ، حين أتمّ الاستاذ الحمصي مؤلفه، وتضمّن القسم الثاني ، ترجمات تسعة من الادباء الذين كانوا في ذلك الوقت احياء يرزقون . وقد عرفنا منهم ثلاثةً هم : الاستاذ ميخائيل انطون الصقال ، الملقب بشاعر الشهباء الكبير ، ومؤلف كتاب « طرائف النديم في تاريخ حلب القديم[١] » ، والشيخ كامل الغزي مؤلف كتاب

---

(١) مازال هذا التاريخ مخطوطاً ومحفوظاً عند ابنه الدكتور انطوني الصقال المقيم في بيروت .

«نهر الذهب في تاريخ حلب» ، والشاعر باسيل فتح‌الله الفراء وكان زميلنا في جمعية الكلمة الخيرية . وكانت صلتنا بهم قوية . وكثيراً ما خصّوا مجلتنا « الضاد » ببنات افكارهم ، ونتاج قرائحم الخصبة .

ومما لا شكّ فيه ، أن الاستاذ الحمصي ، قد أحسن إلى الأدب والتاريخ احساناً عظيماً ، بتدوين تراجم هذه الفئة من ادباء بلده ، وبذكر ما وقف عليه من ثمار أقلامهم . ولولاه لضاع كثير من آثارهم ، ولكان بعضهم من المنسيين حتى في المدينة التي عاشوا فيها . فنحن على سعة إلمامنا بتاريخ الادب في حلب ، لم نكن نعرف معظم الاسماء التي اوردها المؤلف الجليل .

وانك لتجد بين من ذكرهم الاستاذ الحمصي في كتابه المشار اليه ، شعراء تتسم قصائدهم بالرقة والجزالة ، كما تجد الى جانبهم ، ادباء ليس في شعرهم ونثرهم ، ما يصح أن يُعدّ من الادب الحيّ الأصيل .

ومهما يكن من أمر ، فانّ الكتابَ في مجمله ، مرآةٌ جليّة ، تتبيّن فيها وجوه شعراء وكتّاب عاشوا في القرن الماضي ، وتركوا آثاراً عنيَ الاستاذ الحمصي بجمع بعضها عنايةً يقدرها له الادباء والباحثون والمحققون على مرّ الاجيال .

وكان من الطبيعي أن تنفدَ جميع نسخ ذلك الكتاب القيّم ، فأعاد طبعه في ربيع عام ١٩٦٩ ، رجل العلم والاحسان ، ونصير الأدب في في حلب ، الاستاذ فتح‌الله الصقال وأهداه إلى قرّاء مجلته « الكلمة » . وقد وقف عبدالله يوركي حلاق ، على طبع الكتاب المذكور في مطبعة الضاد ، وقدّم له ووضع حواشيه ، وأشار إلى ما ورد في قصائد بعض أولئك الادباء من خطأ لغوي او اضطراب عروضي .

وأبى القانوني الالمعي الكبير الاستاذ أسعد الكوراني - وقد عرف

العلامة الحمصي معرفةً وثيقة ـ إلاَّ أن يتحدَّث عن حياة مؤلِّف الكتاب المشار اليه ، وعن آثاره الفكرية . وعن مكانته العلمية والادبية والاجتماعية وعن رحلاته الى اوروبا ، والاستانة ومصر وبيروت ، وعن صلته المتينة بالشيخ ابراهيم اليازجي ، الذي يُعَدُّ حجة في اللغة العربية وإماماً من من أعظم ائمتها .

وتعتبر مقدمة استاذنا الكوراني،تحفةً أدبية رائعةيعجز البيان واللسان عن وصف ما انطوت عليه من بلاغةٍ بارزة ، ومعانٍ شريفة سامية ، ووصف صادق وخلاب [1] .

أورد قسطاكي الحمصي في كتابه الآنف الذكر ، نبذةً عن حياة ادبائنا في القرن الماضي ، فذكر اسم كل اديب ذي أثر كتابي ، وأثبت تاريخ مولده ووفاته وشيئاً من فيض قريحته .

بدأ بنصرالله طرابلسي المولود في حلب سنة ١٧٨٠ والمتوفى في حدود سنة ١٨٤٠ ، ووضع امامنا بعض أشعاره ، وهي موزونة ولكنها لا تدلُّ على عاطفة صادقة ، ولا على شاعرية حقة .

ثم تناول المؤلف ، تراجم : الشيخ حسين الغـــزي ، وانطون الصقال ورزق‌الله بن نعمة‌الله حسُّون وأشار الى جرأته النادرة وقال إنه : « شنَّ على الحكومة التركية بقلمه غارةً شعواء ، وقضى بعيداً عن بلاده وفي نفسهِ منها أشياء » .

---

(١) تقع كلمة الاستاذ أسعد الكوراني في ثمانٍ وعشرين صفحة طبعت بحرف ١٦ واشتملت على كل ما يجب المرء أن يعرفه عن نهضتنا الادبية الحديثة ، وعن مولد الحمصي ونشأته ودراسته ، وعن شعره وخصائصه الخلقية والفنية والكتابية .

ويقف الاستاذ الحمصي أمام ترجمة خاله جبرائيل بن عبدالله الدلال المولود في حلب بتاريخ ٢ نيسان ١٨٣٦ ، وقفةً طويلة ، يحدثنا فيها عن كرم محتده ، وعن قصيدته الانتقادية الشهيرة « العرش والهيكل » التي حمل فيها بشدة على الملوك المستبدين ، والتي كانت سبباً في سجنه وموته بداء القلب ، لا بالسم كما زعم بعض من دوّن سيرة حياته .

وقد أحسن ابن اخته الحمصي اليه والى الادب ، حين جمع بعض اشعار خاله المشار اليه ، في ديوان صغير سماه « السحر الحلال في شعر الدلال » وطبعه في مصر سنة ١٩٠٣ . ولولا ذلك ، لضاعت تلك الاشعار ، كما ضاع كثير من أشعار غيره .

وفي كتاب علامتنا الحمصي ، أسماء طائفة كبيرة من أدباء القرن المنصرم ، وأحسن ما عثرَ عليه من أشعارهم ، وترجمة مقتضبة لكل واحدٍ منهم ، تشتمل على تاريخ مولده ووفاته ، وعلى نشأته ودراسته ، وعلى خصائصه وأخلاقه وعثراته الكتابية إذا كان لذلك الاديب عثرات .

والحقُ ، ان الاستاذ الحمصي ، أطلعنا على حياة وآثار فئة من من أعلامنا الراحلين ، فوضع أمامنا ترجمة ستة من آل الجابري ، وثلاثة من آل المراش ، وثلاثة من آل الترمانيني واثنين من آل الغزي . ثم راح يحدثنا عن شعراء من النادر ان يعرف معظمهم احد في وقتنا هذا ، ونحن سنشير في موضع آخر من هذا الكتاب ، إلى بعض اولئك الذين كان لهم تأثيرهم الادبي في فجر عصر النهضة .

ولسنا ندري لماذا أهمل الحمصيُ علماً من أعلام ذلك القرن ، ونعني به عبدالرحمن الكواكبي . الكاتب الاجتماعي الكبير ، ونصير الحرية والعدالة ، ومؤلف كتابي « امّ القرى » و « طبائع الاستبداد » وصاحب

جريدة « الاعتدال » التي أصدرها في ٢٥ تموز ١٨٧٩ [1] .

القرن العشرون :

أطلّ القرنُ العشرون ، وفي مدينة حلب رهطٌ من الادباء الذين عرفهم القرن الفائت ، أمثال : ميخائيل الصقال، والشيخ كامل الغزي، وباسيل الفرّاء ، وعبدالحميد الجابري ـ والد صديقنا الطبيب الاديب الدكتور خالص الجابري ـ والخورفسقوس جرجس شلحت عم صديقنا وزميلنا المرحوم يوسف شلحت ، والأب جرجس منش .

وكانت الصحافة قد خطت خطوتها الاولى ، في العشر الاول من القرن الحالي . فبين شهر آب ١٩٠٨ و ١٥ تشرين الاول من العام نفسه صدرت في الشهباء أربعُ جرائد ما لبثت ان تكاثرت في خلال الاعوام الثلاثة التالية (١٩٠٩ - ١٩١١) حتى زاد عدد الصحف على العشرين صحيفة بين جريدة ومجلة .

وعندما نشبت الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨) تعطلت الصحف ، ووقفت الحركة الادبية ، ليس في حلب وحدها . بل في جميع البلاد العربية التي كانت تحت الحكم العثماني المباشر . أما مصر ، فكانت تتمتع بحرية ذاتية ، وتصدر صحفاً واسعة الانتشار مثل « الاهرام » و « المقطم » و « المقتطف » و « الهلال » .

وبعد أنْ وضعت الحربُ أوزارها ، استيقظ الادب في حلب وسواها من بلدان العرب ، وأخذت الصحافة تقوم بدورها في خدمة قضايانا العادلة .

---

(١) انظر سيرة حياته ومراحل كفاحه في كتابنا « من أعلام العرب في القومية والأدب » ص٣١ ـ ٣٨ .

وابتداءً من عام ١٩٣١ نعمت حلب بنهضة صحفية وادبية مرموقة، وظهرت جرائد ومجلات عربية وفرنسية وأرمنية، ناهض اكثرها الانتداب الفرنسي ، وندّد بأساليب حكمه ، وطالب بالسيادة السورية ، وبالاستقلال الناجز التام .

وكان الانتداب يعتمد على فئة قليلة من الصحف لا يقرؤها إلاّ اعوانه . وقد عمل في مضمار الصحافة الحلبية أربعة من اللبنانيين وهم : بطرس معوّض صاحب جريدة « الصاعقة » والشاعر نجيب اليان الذي عمل محرراً في بعض صحفنا ومنها « التقدم » وسعيد فريحة وكان محرراً في جريدة « التقدم » ثم صار صاحب دار (الصياد) في بيروت وتُعَدُّ من أكبر وأرقى دور الصحافة في الوطن العربي ، والكاتب المحامي البارع شارل حلو الذي تسلم تحرير جريدة « برق الشمال » يوم كانت تصدر باللغة الفرنسية ، والذي انتُخِبَ في عام ١٩٦٤ رئيساً للجمهورية اللبنانية . وقد دامت رئاسته حتى عام ١٩٧٠ .

بعد نضال شعبي كبير ، قادته الكتلة الوطنية بزعامة المغفور له ابراهيم هنانو ، ومن بعده رفاقه الميامين الاحرار، ظفرت سورية باستقلالها، وجلا عنها آخر جندي فرنسي في اليوم السابع عشر من شهر نيسان ١٩٤٦ .

قبل تلك الفترة الزمنية وبعدها ، عرفت حلب عهداً ذهبياً جديداً، ازدهر فيه الشعر ، وسادت المعرفة ، وتسلّم مقاليدَ محافظتنا ، رجلُ علمٍ ونبل وفضل ، هو الامير مصطفى الشهابي ، الذي أصبح فيما بعد ، رئيساً للمجمع العلمي العربي بدمشق . وقد عمل هذا الامير على تشجيع الحركة الفكرية ، وعلى تنشيط الادباء ، ومساعدة الصحافة وبنى دار

الكتب الوطنية ، وجمع فيها ما كان في بعض مكتبات الاوقاف الاسلامية من مخطوطات ومطبوعات .

وكان من حسن حظ هذه الدار ، ان تسلّم ادارتها الشاعر عمر أبو ريشة . ولما عيّن في عام ١٩٤٩ ممثلاً لسورية في البرازيل ، خلفه الاستاذ سامي الكيالي . وقبيل عهد الوحدة وفي أثنائها عُهِدَ بادارة الدار المذكورة الى الاستاذ جلال الملاح . وبفضل ما امتاز به كل واحد من هؤلاء من صفاتٍ خلقية وأدبية عالية ، غدت حلب مقصد أقطاب العلم والفكر من رجالات العرب . فجاءها الدكتور طه حسين وعباس محمود العقاد والدكتور فؤاد صروف والدكاترة : محمد حسين هيكل وأحمد أمين ونقولا زيادة وجورج طعمة وسامي الدروبي وعبدالله عبدالدايم وجميل صليبا وشاكر مصطفى ومصطفى الرافعي وكامل عيّاد وفاخر عاقل وميخائيل نعيمة وبنت الشاطىء ودرية شفيق وأمينة السعيد وأمير بقطر والشيخ محمد ابو زهرة وفؤاد الشايب .

لقد شدّت حلب هؤلاءِ الاعلامَ ، وبعضَ من يماثلهم مكانةً علمية ، فخطبوا فيها ، وخصوصاً في دار كتبها ، وأشادوا بماضي حلب المجيد ، وبتاريخها البطولي ، وبعصر الامير الحمداني سيف الدولة ، وبعبقرية شاعره الاول أبي الطيّب المتنبي . ولسنا ننسى ما حيينا ، تلك الكلمات البليغة ، التي كانت تستقرْ في أعماق قلوب السامعين ، فتثير إعجابهم ، وتدفع أيديهم الى التصفيق الحاد ، وحناجرهم الى أعلى هتافات الاستحسان .

لا شكْ أنّْ سماء الأدب في حلب ، كانت تتألّقْ في تلك الحقبة المباركة ، بكواكب الشعر ، ونجوم النثر والموسيقى والطرب .

كان من مشاهيرها وقتئذٍ ، الاساتذة: عمر أبو ريشة وسامي الكيالي

وسامي الدهان[١] والدكتور عبد الرحمن الكيالي والدكتور علي الناصر وسليمان العيسى[٢] ومظفر سلطان وشارل خوري وخليل هنداوي وخير الدين الاسدي وبشير فنصه وعمر أبو قوس والشيخ علي الدرويش وأحمد الابري وفؤاد رجائي وتوفيق الصباغ واحمد الفقش وانطوان ظابيطا وفؤاد حسون والدكتور محمد يحيي الهاشمي وفؤاد عنتابي ويوسف شلحت . وكان يعمل في حلبة الادب باخلاص : نجيب مكربنة وبتراكي خياط وفتح الله ووديع قسطون وانطوان شمراوي ورزق الله جهامي ونصرة سعيد وميشيل سلطان وصبحي المجبلي وجورج سالم. أما فتح الله الصقال، فكان محامياً وانسانياً وأديباً له ثمانية كتب مطبوعة وتقريران مطبوعان . وكان أكبر مشجع للأدب العربي . وقد عمل على تكريم افذاذ العلماء والشعراء منهم : قسطاكي الحمصي وخليل مطران وأمين الريحاني وعارف العارف وعادل النضبان وميخائيل الصقال والشاعرة المصرية شريفة فتحي .

وبسمَ فجرُ الوحدة بين القطرين العربيين الشقيقين : سورية ومصر، فشهدت بلادنا عامةً ، وحلب خاصةً ، سلسلةً متواصلة الحلقات من أعياد الأدب ، ومهرجانات الشعر ، وتكريم المجاهدين وكبار الشعراء المهجريين العائدين الى الوطن الموحَّد . فتحت سماء الشهباء كرّم المجاهد عبد الرحمن الكواكبي ، والشاعر القروي رشيد سليم الخوري ، والشاعر المهجري الثائر الياس فرحات . وقد علّق أحد النقاد على ذلك بقوله : « إنَّ عهدَ الوحدة كله أعياد في الشهباء » .

---

(١) راجع كتابنا « من أعلام العرب في القومية والأدب » ففيه كل ما يجب ان يعرفه الباحث عن عمر ابو ريشة ، وعن سامي الكيالي وسامي الدهان . انظر الصفحات ٨٥ و ١٠٣ و ١٦٢ .

(٢) أمضى الشاعر سليمان العيسى فتوته وشبابه وقسماً من كهولته في حلب ، ودرس سنوات عديدة في مدارسها . وفي منتصف الستينات، رحل الى دمشق وأقام فيها .

ولم يشأ الحقدُ والحسدُ والخيانة لوحدتنا الرائدة انْ تبلغَ هدفها المنشود، فوقعت جريمةُ الانفصال في يوم الخميس ٢٨ ايلول ١٩٦١ ولكنَّ حلب الوحدوية قلباً وقالباً وقفت تقاوم الانفصاليين المسلحين بالحديد والنار ، فاستشهد من أهلنا الاباة من استشهد على مذبح الشرف ، وسُجِن مئات ومئات من شباننا الاوفياء الشجعان الذين ظلّوا مخلصين للوحدة .

وبالرغم مما بذله الانفصاليون لاسترضاء الشعب واستمالته ، فقد بقي الشعب في واد ، وبقيت الحكومة الخارجة على الوحدة في وادٍ آخر . وكانت أيام الانفصال مملوءة بالاضطرابات والعنف والاحتجاج على أهل الحل والعقد .

وفي الصباح الباكر من يوم الجمعة الثامن من آذار ١٩٦٣ ، انقضَّ جيشنا الوحدوي الباسل على معاقل الانفصاليين فدكها كلَّها في أقلَّ من ثلاث ساعات ، وأعاد الى سورية وجهها العربي الصحيح .

واتخذت حكومةُ الثورة الوحدةَ والحرية والاشتراكية شعاراً لها ، وبدأت بسلسلةٍ طويلة من الانجازات العمرانية والصناعية والزراعية ، كان من أهمها سدّ الفرات العظيم ، وتمديد شبكة من الخطوط الحديدية تصل الجزيرة بالبحر الأبيض المتوسط ، وتشييد العديد من المصانع الضخمة التي توفر لبلادنا العملة الصعبة وتعود علينا بالربح الجزيل .

ويوم قام قائد مسيرتنا بحركته التصحيحية البنّاءة ، دفعَ عجلة العمل بقوة الى الامام ، والتفت لفتةً سمحة الى العلم والادب فأولاهما ما يستحقان من جهدٍ وتأييد ، وأمر باكمال جامعة حلب ، وباحداث معهد التراث العلمي العربي التابع لها ، وبانجاز مشفى حلب الكبير . ثم أصدر توجيهاته بانشاء جامعة تشرين في اللاذقية ، وجامعة البعث في مدينة

خالد بن الوليد ، وبدعم الفــكر والصحافة ، وتقوية المراكز الثقافيـة واتحاد كتاب العرب في القطر ، لعلمـه ان الحركة الأدبيـة لا تثمر ولا تزدهر ، إلا اذا أولتها الدولة العطف الوافي ، ومدّتها بكل ما تحتاج اليه من عناية ومساعدة مادية ومعنوية .

وفي محافظة حلب اليوم مراكز ثقافية يتعهدها بمنتهى الجد والاخلاص والاندفاع الاستاذ صادق العبسي . وفيها فرع لاتحاد الكتاب العرب يرئسه الروائي المعروف الأستاذ وليد الاخلاصي ، يعاونه الدكتور محمـد التونجي والاستاذان نديم مرعشلي وسعيد رجو .

وفيها جريدة « الجماهــير » يتولى ادارتها الاستاذ أسعد رشواني ويحرر فيها الزملاء الادباء الاساتذة : عبدالقادر عنداني وعبدالجليل السلاح ومحمد الراشـد وعبد الغفور الصابوني وعمر النـيربي وعمر مهملات وصفوة من المحررين الحريصين على خدمة العروبة والوطن .

بقيَ أن نقول : إنه كان لجامعة حلب ، وللجهد الكبير الذي بذله كلٌّ من رئيسها السابق الدكتور أحمد يوسف الحسن ، ورئيسها الحالي الدكتور محمد علي حورية (١) والدكتور خالد ماغوط رئيس معهد التراث العلمي العربي ، ومعاونيهم الأماثل ، أحسن الأثر في نشر العلم ، وتنشيط الادب ، وبعث روح الثقافة العالية في نفوس أبناء هذا الجيـل الصاعد ، وإرشادهم إلى سُبل البحث العلمي ، وخدمة التراث العربي ، الذي نعدّه كنزاً ثميناً من كنوز الفكر القومي الجدير بأوفر قسطٍ من العناية والاهتمام .

وحلب التي جلبت في عام ١٧٠٤ أول مطبعـة عربية ، واطلعت أول عربي اصدر في عام ١٨٥٥ جريدة « مرآة الاحوال » التي تعتبر أول

---

(١) انظر ما كتبناه عنه وعن سعة علمه في مجلة « الضاد » العدد ٥ ص ١٤ لعام ١٩٨٠

جريدة عربية في المملكة العثمانية كلها .

حلب عاصمة سيف الدولة الحمداني ، ومنجبة الأبطال الميامين المناهضين لكل مستعمر ومنتدبٍ ودخيل وعميل ، وحاملة مشعل الوحدة بيد ، وراية القومية العربية باليد الاخرى . حلب هذه تحفل اليوم بجمهرة من الباحثين والأثريين من أبنائها البررة كالمطارنة : ناوفيطوس ادلبي وفيليب بيلوني وجرجس شلحت ، وكالدكاترة ادولف بوخه وعمر الدقاق واسحق طه الكيالي ومحمد التونجي وعبد الكريم شحادة وكمال شحادة وفرج الله فتحي وفخر الدين قباوة وبكري شيخ أمين ومحمد حموية ومحمد هبو . وكالاساتذة : سعد زغلول الكواكبي ، حفيد المصلح الاجتماعي عبدالرحمن الكواكبي وفريد جحا وفؤاد عينتابي ومحمد كامل فارس وجورج انطاكي وعبدالفتاح رواس قلعهجي والمهندس عبدالله حجار ، كما تحفل برهطٍ من اساتذه اللغة العربية أمثال الدكتور محمد خير الحلواني وعبدالوهاب الصابوني وأحمد وهبي الدهان وكامل ناصيف وبدر الدين الحاضري ومحمد انطاكي وكالادباء علي الزيبق وعلي بدور وصبحي العجيلي وفاضل السباعي وأسامة الصابوني ومحمود منقذ الهاشمي ورياض الجابري وليلى صايا سالم وفريال الشربجي وضياء قصبجي وديمتري حاتم وأحمد دية وأحمد دوغان وبلفيف من حملة الاقلام يسهم كلٌ منهم في مجال اختصاصه في خدمة هذا البلد الطيب كالاستاذ محمود خياطة الذي يدير الحركة الادبية بواسطة محطة اذاعة حلب .

إن الحركة الأدبية في مجملها ، تسير تحت سماء مدينتنا العزيزة ، على نهج الأصالة ، وتتمسك تمسكاً قوياً بتراثنا الادبي والقومي الثمين، وتنادي بالمحافظة عليه ، وبالابتعاد عن هاتيك البدع الشعوبية ، والانماط الكتابية المستوردة، التي يسميها عشاق الغريب الشاذ « الشعر الحرّ الطليق » ، وما هي في الحقيقة سوى الفاظٍ مفككة مضطربة يسودها الغموض والابهام ، وتحتاج في كشف طلاسمها الى الف منجمٍ ومنجم .

أدباء آل مراش

١ — فرنسيس المرّاش : ولد في حلب عام ١٨٣٥ . كان شاعراً وأديباً مجيداً ، ويُعدّ من أدباء النهضة السورية . له ديوان شعر عنوانه « مرآة الحسناء » وعدد من المؤلفات منها « غابة الحقّ » و « شهادة الطبيعة في وجود الله والشريعة » و « مشهد الاحوال » و « رحلة إلى باريس » و « المرآة الصفية في المبادىء الطبيعية » طبعت في حلب سنة ١٨٦١ وله كتب اخرى .توفي عام ١٨٧٤.

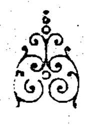
٢ — عبدالله المرّاش : ولد في حلب بتاريخ ١٤ ايار سنة ١٨٣٩ ونشأ بها وتأدب على والده فتح الله المرّاش وغيره . ومال منذ حداثته الى العلم والثقافة والأدب العربي ، واشتغل بالتجارة ، فسافر الى منشستر وأقام فيها من عام ١٨٦١ الى عام ١٨٦٩ ، ثم انتقل إلى باريس وبقيَ فيها الى سنة ١٨٨٢ ، وبعد ذلك فارقها إلى مرسيليا ، ولم يزل مقيماً فيها إلى أن توفاه الله في ١٧ كانون الثاني ١٨٩٩ . كان يتقن الى جانب العربية اللغات : الانكليزية والفرنسية والايطالية . وكان أديباً مشاركاً في كثير من العلوم كالتاريخ والفلسفة والطبيعيات والشرائع والاخلاق ، وله مقالات اجتماعية وأدبية وسياسية نشرتها له امهاتُ الصحف التي كانت تصدر بالعربية في لندن وباريس ومصر وفي جملة تلك الصحف صحيفة « برجيس باريس » التي كان ينشرها في عاصمة فرنسا الكونت رشيد الدحداح .

٣ — مريانا المرّاش : هي بنت فتح الله المرّاش ، وشقيقة الأديبين فرنسيس وعبدالله المرّاش . ولدت بحلب سة ١٨٤٩ وتوفيت سنة ١٩١٩ . كانت رخيمة الصوت تجيد الضربَ على القانون ، كما تجيد اللغة الفرنسية والأدب

العربي ، تزوجت حبيب الغضبان . وآل الغضبان من خيرة بيوتات حلب، ومنهم الياس الغضبان زوج السيدة زوبة كريمة العلاّمة قسطاكي الحمصي . وزوبة هذه شاعرة كبيرة باللغة الفرنسية ، ولها بعض الدواوين المطبوعة بمنتهى الاتقان . ومن آل الغضبان وطنيـنا وصديقنا الشاعر الملهم المبدع عادل الغضبان ، وهو ابن حكمت الغضبان شقيق الياس المشار اليه .

دخلت مريانا في صغرها مـدرسة راهبات مار يوسف بحلب ، ثمَّ درست مبادىء الصـــرف والنحو على أخيها فرنسيس ، وأحبَّت الشعر فأحسنت صياغته ، بفضل رهافة حسِّها ، وصدق عاطفتها ، واطلاعها على بعض الدواوين الشعرية . لم يجمَعْ من شعرها إلاّ القليل في كـــرّاسة عنوانها « بنت فكر ». كانت تستقبل في بيتها مشاهيرَ ادباءِ عصرها . وإلى هـــذا يشير قسطاكي الحمصي في كتابه « أدباء حـلب ذوو الأثر في القرن التاسع عشر » . يقول الحمصي : « وكان منزلها مثابةَ الفضلاء ، وملتقى الظرفاء والنبهاء » . وكان أسعد الميناتي والد صديقينا فؤاد وسامي الميناتي ، من روّاد مجلسها الأدبي ، الذي كثيراً ما كان يسوده الطرب ، ويغني فيه باسيل الحجار أشهر مطربي ذلك الزمن .

وبهذا تكون مريانا المرّاش ، صاحبةَ أوّل « صالون » أدبيٍّ في بلاد الشام كلِّها .



مطبعة حلب

أول مطبعة عربية في الشرق كلّه

بقيت الدولةُ العثمانية بضعةَ قرون ، جاثمةً على صدر البلاد العربية ، ومسيطرةً على مقدّراتها ، وماضيةً في نشر اللغة التركية بين أبنائنا . ولولا القرآن الكريم ، ويقظة العرب الخلّص ، والمحافظة على لغتنا في الأديار والمساجد والكتاتيب ، وفي المدارس الاجنبية التي كانت مشمولةً وقتئذٍ برعاية بعض الدول الغربية ، لتقهقرت الفصحى ، ولأمست في عداد اللغات الميتة .

ولم يكتفِ العثمانيون بذلك ، بل كانوا يناهضون كلَّ تقدّم علمي ، ويحولون دون وصول المخترعات الحديثة إلى بلاد العرب ، ليبقى شعبنا على ما يريده له المحتلّ من جهلٍ وبعدٍ عن كلِّ ما يفتح أمامه سُبُلَ المعرفة ، وآفاق التقدم والرقيّ .

وكانت أخشى ما تخشاه تلك الدولة الباغية ، أن ينتشر الوعي بين مواطنينا ، وأن يعمَّ العلم بواسطة تلك الآلة العجيبة التي اخترعها جوهانس غوتنبرغ J. GUTENBERG [١] عام ١٤٤٠ والتي تعمل على طبع

(١) ولد في المانيا عام ١٤٠٠ وتوفي عام ١٤٦٨ .

الكتب والنشرات بالحروف المنفصلة ، وتساعد على بثّ الثقافة العامة في العديد من البلاد الأوروبية .

غير أن العثمانيين كانوا مطمئنين إلى أنّ العربَ عاجزون عن إحضار هذه الآلة الطابعة إلى بلادهم ، وعن إيجاد حروف عربية لها ، لما يتطلّب ذلك من نفقات كبيرة لا يستطيعون القيام بها ، فضلاً عن أن صناعة نسخ الكتب ، كانت رائجةً في تلك الأيام ، وكان الكتاب المنسوخ أقلّ ثمناً من كتاب عربي واحد ، ليس في الأقطار العربية كافةً من يقوى على طبعه .

وفي أواخر القرن السابع عشر ، وُجِدَ في حلب رجل أُتيح له أنْ يجوب بعض البلاد الاوروبية ، ولا سيما القسطنطينية ورومانيا ، وكانت تعرف وقتئذٍ ببلاد الفلاخ .

هذا الرجل هو اثناسيوس الثالث ابن الدباس الدمشقي بطريرك الملكيين في انطاكية والمشرق. وقد توجّه إلى القسطنطينية لفضّ خلافٍ استفحلَ في الكرسي الانطاكي هناك . ولما كان على اتصال ودّي وثيق منذ عام ١٦٨٥ بالأمير قسطنطين برينكوفانو BRANCOVANUL ، فقد زار البطريرك بخارست عام ١٦٩٨ وشاهد فيها مطبعةً أثارت اهتمامه وإعجابه معاً ، ودعته إلى أن يطلب إلى الأمير قسطنطين الذي تولى امارة رومانيا سنة ١٦٨٨ أن يزوّدهُ بالكتب التي يحتاج إليها الكهنة الشرقيون لأداء الفروض الدينية والمهام الرعوية . وكان الأمير شديد الإهتمام برعية الكنيسة الملكية ، فلم يسعه أمام إلحاح البطريرك أثناسيوس ، إلاّ أن يأمرَ بأن تؤسس في بلدة سيناغو القريبة من بخارست ، مطبعة عربية لطبع الكتب الكنسية لخدمة الدين بالعربية واليونانية ، لتتمكّن رعية الكنيسة الملكية من تأدية رسالتها الدينية على الوجه الأكمل .

وقيل إنّ المطبعة إنّما أنشئت في بخارست التي كانت غنيةً بالمطابع باللغات الأجنبية ، وخصوصاً اليونانية والرومانية . وقد ساعد البطريرك أثناسيوس في إنشاء هذه المطبعة الأب أنتيموس الكرجي رئيس دير السيدة في سيناغو . ويُعتقد أنّ الأب المذكور حفر أبهات وأمهات الحروف العربية اللازمة لهذه المطبعة ، وطبع في العاصمة الرومانية بالعربية واليونانية كتاب خدمة القدّاس سنة ١٧٠١ وعدداً من الكتب الدينية الأخرى .

ولمّا استقدم الحلبيون بطريركهم المومأ إليه عام ١٧٠٤ ، جلب معه تلك المطبعة إلى حلب، وتوفي سنة ١٧٢٤ بعد أن بقيَ في منصبه الديني نحو ٣٩ سنة من ١٦٨٥ إلى ١٧٢٤. ويكفيه فخراً أنّه كان أولَ من أدخل إلى الشرق كلّه مطبعةً طبعت الكتب بحروفٍ عربية .

أمّا المكان الذي وضعت فيه المطبعة ، فنرجّح أنّه كان في مقرّ البطريركية قديماً في حارة أبي عجّور القريبة من محلة التدريبة بحي الجديدة ، وإلى هذا يميل المؤرخ العربي الكبير عيسى اسكندر المعلوف ، ولكنه يضيف قائلاً : « ومن مطبوعاتها (صخرة الشك) ١٧٢١ [1] » مع أنه لم يكن بحلب في تلك السنة أيّة مطبعة تتولى طبع الكتب أو سواها .

والحق إن إنشاءَ مطبعة في مطلع القرن الثامن عشر في الشهباء ، كان حدثاً مهمّاً جداً ، استقبله الحلبيون بمظاهر الارتياح والفرح ، لأن مدينتهم كانت أول بلد في الشرق عرف مطبعةً عربية . بيْدَ أن الحكومة العثمانية ، كانت على عكس ذلك تنظر بكثير من اليقظة والحذر إلى هذا الاختراع ، وتعتبره كما يقول خليل صابات في كتابــــه القيّم (تاريخ الطباعة) : « المعول الذي سيهدم نفوذها بين الشعوب الواقعة تحت نيرها،

---

(١) مجلة الضاد : العدد ١٠ عام ١٩٤٧ ص ٣٢٥ .

فكانت تعمل جاهدة على مقاومة كل أداة للرقيّ والتقدّم توضع في أيدي الشعب . فان جاء بتلك الاداة رجال الدين اليهودي أو المسيحي ، أسقط في يدها ، واضطرت إلى التسليم خوفاً من تدخل الدول الأجنبية واتهامها بالتعصّب ، تلك الثغرة التي حاولت بعض دول أوروبا ، أن تنفذ منها إلى صميم الولايات التابعة للامبراطورية العثمانية (١) .

وهذا ما حدث بالضبط ، حين جاءت المطبعة إلى الشهباء ، فلم يستطع والي حلب أن يحرّك ساكناً ، بل سكت على مضض ، معتبراً أن المطبعة ستقتصر على الشؤون الدينية وحدها .

وصلت المطبعة إلى الشهباء إذن سنة ١٧٠٤ وأخرجت بعد عامين من وصولها أي في عام ١٧٠٦ كتاب « المزامير » . وقد عاشت هذه المطبعة ست سنوات من ١٧٠٦ إلى ١٧١١ أخرجت في خلالها عشرة كتب فقط . أمّا العامان الممتدان من ١٧٠٤ إلى ١٧٠٦ فكانا لتركيب الادوات الطباعية ، ولصف وطبع أول كتاب أخرجته تلك المطبعة وهو كتاب « المزامير » الذي طبع في المطبعة نفسها مرّتين : المرّة الأولى سنة ١٧٠٦ والمرة الثانية سنة ١٧٠٩ كما طبع «الانجيل» مرّتين مرّة عام ١٧٠٦ ومرّة عام ١٧٠٨ .

بقي أن نسأل عن منشأ الحروف العربية في تلك المطبعة ، هل أحضرها البطريرك معه من رومانيا ؟ أم هل سبكت في حلب ؟ وإذا كان الأمر كذلك ، فمن صنع لها الابهات والامهات اللازمة للسبك ؟

يرى شنيرر ، أنّ الحروف العربية في مطبعة حلب ، هي حروف مطبعة سيناغو نفسها ، أحضرها البطريرك ابن الدباس من بوخارست .

---

(١) مجلة الضاد عدد نيسان ١٩٨٢ ص ٣١ .

ويؤيّد شنيرر في ذلك كلٌّ من المؤرخين ، شارون ، ولوفنك Leveng ، وجراف Graf فيؤكدون أن معدات مطبعة حلب ، قد جلبت برمّتها من بلاد الفلاخ - رومانيا .

أمّا المؤرخ سيلفستر دي ساسي ، فيخالف هذا الرأي ، ويجد أن حروف المطبعتين ليست من أصل واحد ، وأن هناك فرقاً واضحاً بينها .

ويقول الأب لويس شيخو : إنه لا يعرف كيف توصل البطريرك أثناسيوس بن الدباس إلى سبك الحروف ، ويرى أنه ربّما استصحب معه الكاهن انتيموس لحفر له حروفاً جديدة أو أنه - ويقصد البطريرك - تعلّم هذا الفنّ في رومانيا ، فلما عاد إلى الشهباء ، علّمه لبعض الحلبيين .

ويقول عيسى اسكندر المعلوف في بحث له بمجلة « الضاد »[1] : « وللحلبيين اليد الطولى في صناعة الطباعة . فكان منهم رهبان في رومانيا اشتغلوا بمطبعتها ، وكذلك في حلب بعد انتقالها إليها ، وفي لبنان وغيره » .

ويضيف في المقال نفسه : « والثابت منذ القديم أن للحلبيين ، يداً بيضاء في فنّ الطباعة ، وإنشاء المطابع ، ولهم خدمات كثيرة في مضمار العلم والأدب » .

ويستطرد المعلوف قائلاً : « وممّا وقفت عليه في رحلتي إلى حلب[2] رسالة جميلة لأديب الشهباء المشهور رزق الله حسّون الأرمني الحلبي . وهذه الرسالة في صناعة الطباعة ، كتبها في أوروبا ، وأصلحت حروف

---

(١) الضاد : العدد ١٠ سنة ١٩٤٧ ص ٣٧٦ .

(٢) زار الاستاذ عيسى المعلوف حلب مرتين : الأولى في صيف عام ١٩٠٩ ، والثانية في عام ١٩٣٦ وهو يشير هنا إلى زيارته الأولى .

مطابعها عليها . وله الاختراع البديع لطبع الكتب في العربية بنفقة قليلة وزمن قصير ، في مقالة بناها على مقدمتين ونتيجة . فالمقدمة الأولى في تلخيص تاريخ الكتابة العربية وتبديل رسومها ، والمقدّمة الثانية في سبب عدم المتقدّمين إلى رسوم الحروف الجديدة وكيفية ترتيبها وفائدة استعمالها .

وينسب يواكيم مطران أحد تلاميذ الشمّاس عبدالله الزاخر (١٦٨٤ - ١٧٤٨) إلى أستاذه تأسيس مطبعة عربية في حلب . ومما قاله في هذا الصدد : « أنشأ في حلب بمساعدة أخيه ، مطبعة حفر لها أمهات الحروف والحروف وصنع جميع أدواتها ، وقد طبعا كتباً كثيرة ، وذلك بدون أن يشاهدا قبلاً مطبعة ، وبدون أن يدربها أحد في عملها » .

ونحن نرى أنّ المطبعة التي أشار إليها يواكيم مطران ، هي غير المطبعة التي أحضرها البطريرك أثناسيوس من رومانيا . ولا ريب أن الزاخر شاهد عن كثب أول مطبعة عرفتها حلب وصنع مثلها ، إذ لايعقل أن تظفر الشهباء بمطبعة عربية لا يهتمّ بها رجل نابه وحاذق كعبدالله الزاخر . وقد جاء في الموسوعة العربية الصادرة عن دار الريحاني للطباعة والنشر ببيروت أن الزاخر « أخرج سنة ١٧٣٢ أول مطبعة عربية ، وقد صنع الحروف بنفسه ، واصدر ٨٠٠ نسخة من كتاب « ميزان الزمان » .

لقد صنع الزاخر اذن مطبعته ، بعد أن توقفت مطبعة البطريرك أثناسيوس باحدى وعشرين سنة . وقد يكون - كما يرجح بعض المؤرخين - قد قام بصنع الحروف العربية لأول مطبعة دخلت حلب . ودليلهم على ذلك ، أنه كان على علاقة طيّبة بالبطريرك ابن الدباس . وقد سبق أن نسخ له عدداً من المخطوطات ، وألّف له طائفةً من الكتب .

ومما يؤيد أن الزاخر هو الذي صنع حروفاً عربية للمطبعة المجلوبة من رومانيا ، أنه كان نقاشاً بارعاً ، وخطاطاً ماهراً محباً للفن والتجديد. ولا شك أن البطريرك اثناسيوس أشار إليه في مقدمة كتاب المزامير - وهو أول كتاب أنتجته مطبعة حلب - حين قال : « حيث إن الله وفقنا إلى عمل طبع الحرف العربي » وكانت الصفحة الأولى من الكتاب المذكور ، تحمل شعار الأمير قسطنطين برينكوفانو . فقد شاء البطريرك أن يهدي باكورة أعمال مطبعته إلى ذلك الأمير تعبيراً عن شكره وإمتنانه لما أبداه نحوه من عونٍ حين أهدي إليه تلك الآلة الطابعة التي كانت تُعَدّ في ذلك الزمن ، ذات قيمةٍ أدبية ومادية لا تُقدَّر بثمن .

من الامور الثابتة أن المطبعة المشار إليها استعملت ثلاثة أنواعٍ من الحروف : استعمل النوع الأول منها في طبع كتاب « المزامير » وكتاب « الانجيل » وكتاب « النبوءات » وكتاب « الرسائل » . أمّا النوعان الآخران ، فيحاكيان خط النسّاخ المسيحيين ، وقد طبعت بها بقيّة الكتب وهي : « الدر المنتخب » ، و « مواعظ البطريرك أثناسيوس » و« المعزّى » و « سلك الدر النظيم » ، علماً بأن المزامير والانجيل أعيد طبعهما في المطبعة نفسها ، وأن العناوين كلها كانت بحرف واحد لم يتغير منذ نشأة المطبعة إلى يوم توقفها عن العمل .

وها نحن نبيّن فيما يلي الكتب التي أنتجتها أول مطبعة عربية في الشرق ، وذلك حسب تسلسل صدورها :

١ - كتاب « المزامير » سنة ١٧٠٦ .

٢ - كتاب « الانجيل » سنة ١٧٠٦ مصوراً بصور الانجيليين الاربعة [١].

---

(١) الفيكنت فيليب دي طرازي نقلاً عن « أطرب الشعر وأطيب النثر » للأب لويس شيخو اليسوعي قسم ٢ ص ١٩٣ .

٣ — كتاب « الدرّ المنتخب من مقالات يوحنا فم الذهب » سنة ١٧٠٧ .

٤ — كتاب « الانجيل » طبعة ثانية مرتبة ترتيباً كنائسياً سنة ١٧٠٨ .

٥ — كتاب « النبوءات » سنة ١٧٠٨ .

٦ — كتاب « الرسائل » سنة ١٧٠٨ .

٧ — كتاب « المزامير » طبعة ثانية سنة ١٧٠٩ .

٨ — كتاب « مواعظ البطريرك أثناسيوس » سنة ١٧١١ .

٩ — كتاب « البراكليتكون » الذي تفسيره « المعزى » سنة ١٧١١ .

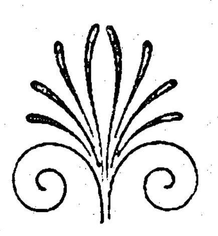
١٠— كتاب « سلك الدر النظيم في سرّ التوبة والاعتراف القويم » سنة ١٧١١.

والواضح أن تلك المطبعة بلغت أوج نشاطها في عامي ١٧٠٨ و ١٧١١ . إذ طبعت في كل عام منها ثلاثة كتب . وهذا يعدّ عملاً جيداً بالنسبة لمطبعة بدائية كانت تعمل باليد . أما في عام ١٧١٠ فلم تنتج شيئاً لسببٍ ما زلنا نجهله .

وفي عام ١٧١٢ توقفت المطبعة عن العمل نهائياً . ويعتقد أنْ السبب في ذلك ماديّ بحت ، لأنها كانت تكلّف أصحابها كثيراً من النفقات ، وكان في مقدورهم أن يحصلوا بدون أيّة مشقة أو نفقة على ما يحتاجون إليه من الكتب الدينية من بلاد الفلاخ التي تُعْرَفُ اليوم باسم رومانيا .

أما القول المنسوب إلى بعض المؤرخين بأن مطبعة حلب نُقِلَتْ إلى دير البلمند الواقع في جنوبي طرابلس ــ لبنان ، فلا أساسَ له من الصحّة ، لأن الرهبان الكاثوليك غادروا ذلك الدير عام ١٦٩٧ ، أي قبل أن تنشأ مطبعة حلب بتسع سنوات .

يتضح ممّا تقدّم من الحقائق التاريخية الثابتة ، أن الحلبيين سبقوا جميع الشعوب العربية في ميدان الطباعة ، فأحضروا إلى الشهباء منذ ثلاثة قرون ، أولَ مطبعةٍ تولّت طبع الكتب بحروف عربية ، بعد أن كانت لغة الضاد تطبع بحروف كرشونية كما فعلت مطبعة دير قزحيا - قرب اهدن بلبنان - عندما نشرت عام ١٦١٠ كتاب « المـــزامير » في حقلين متقابلين : الأول في اللغة العربية بحروف كرشونية (١) والثاني في اللغة السريانية . وهكذا سدّت مطبعةُ حلب هذه الثغرة ، واعتُبِرَتْ بحقٍّ أولَ مطبعةٍ عربية دخلت الشرق .



(١) الكرشونية : حروف سريانية بلفظ عربي .

اوليـات حلبيـــة

جمعها : عبدالله يوركي حلاق

١ ـــ ضرب عملة : في سنة ١٤٦ ﻫ . ٧٦٣ م . ضرب صالح ابن علي بن عبد الله بن العباس والي حلب وحمص وقنسرين ، عمـلة بقيمة فلس نُقِش على احد وجهيه « ضُربَ هذا الفلس بمدينة حلب سنة ١٤٦ » ونُقشَ على وجهه الثاني : « مما أمرَ به الامير صالح بن علي اكرمه الله » .

٢ ـــ المدرسة الزجاجيـة : اول مدرسـة عرفت في حلب ، هي المدرسة الزجاجية ، بناها سنة ٥١٦ ﻫ ١١٢٢ م . بدر الدين سليمان بن ابي الربيع حاكم حلب .

٣ ـــ البنـادقـة : أوّل من نزل حلب من الفرنج هم البنـادقـة « سكان مدينة البندقية Venise الواقعة في شمال ايطاليا على بحر الادرياتيك » وكان عـددهم في عام ١٦٠٥ أربع عشرة أسرة ، وكان لهم اتصال تجاري وثيق مع الشرق الادنى وخصوصاً مع حلب . ومازال لهم فيها حتى الآن ، خان يُعرف بخان البنادقة .

٤ ـــ الجامع الكبير : جُعلَ الجامع الكبير بحلب جامعاً في عصر الامويين . وجُدِّد في عهد المماليك ، وشُيِّدت مئـــذنته عام ١٠٩٠ﻫ . ١٦٧٩م . وتعتبر من اجمل المآذن التي خلفها الفنّ الاسلامي .

٥ ـــ مطبعة حلب : أول مطبعة عربيـة طبعت الكتبَ بحروف

عربية في الشرق كله كانت مطبعة حلب التي جلبها معه من رومانيا عام ١٧٠٤ أثناسيوس بن الدباس الدمشقي بطريرك الملكيين في انطاكيـــة والمشرق . وأول مطبوعاتها كتاب « المزامير » والانجيل عام ١٧٠٦ .

٦ — **حروف الطباعة** : أوّل من صنعَ حروفاً عربية في الشرق العربي كلـــه ، هو عبدالله الزاخر المولود في حلب عام ١٦٨٠ والمتوفى عام ١٧٤٨ .

٧ — **المكتبة المارونية** : أسسها المطران جرمانوس فرحات[١] في أوائل القرن الثامن عشر . وتُعدُّ من أكثر المكتبات أهميةً لما تحويه من نوادر المخطوطات والمطبوعات .

٨ — **الانكليز بحلب** : في سنة ١٧٥١ ، اخذ الانكليز يلبسون في حلب الألبسة الاوروبية ، بعد ان كان فريق منهم يتزيا بالزي الشرقي الذي كان معروفاً في ذلك العهد .

٩ — **المكتبة الأحمدية** : أنشئت المكتبة الأحمدية بحلب عام ١١٨٦هـ . ١٧٧٢ م . ودُعيت الأحمدية نسبةً إلى منشئها القاضي أحمد بن طه زاده الشهير بالجلبي . وكان فيها ثلاثة آلاف كتاب أكثرها مخطوط . وفيها اليوم ١٤٧٤ مخطوطاً وكثير من الكتب المطبوعة القيمّة .

١٠ — **لقاح الجدري** : أول لقــاح للجدري وصل الى حلب عام ١٢٤٠ هـ ١٨٢٤ م . بواسطة طبيب ايطالي اسمـــه « منتورا » وكان من مواليد الشهباء .

---

(١) ولد المطران فرحات عام ١٦٧٠ وتوفي عام ١٧٣٢ .

١١ — **اول مطبعة حجرية** : أول مطبعة حجرية عرفتها سورية ، هي مطبعة أنشأها في حلب عام ١٨٤١ رجل من جزيرة سردينيا يُدعى بلفنطي .

١٢ — **ديوان ابن الفارض** : أول كتاب أدبي طُبِعَ في سورية كلها هو « ديوان ابن الفارض » وقد تم طبعه في مطبعة بلفنطي بحلب سنة ١٨٤١ ثم طبع في المطبعة نفسها كتاب « المزامير » .

١٣ — **السكاير في حلب** : في سنة ١٢٧٠ هـ ١٨٥٣ م عرفت حلب استعمال التبغ الملفوف بالورق الرقيق ، فأنكر الناس ذلك في أول الامر ، ثم ألفه بعضهم ، وتركوا التدخين بالقصبات المعروفة بالغليون .

١٤ — **البندورة** : في سنة ١٢٧١ هـ ١٨٥٤ م عرفت حلب البندورة ، فسماها الحلبيون « باذنجان افرنجي » . وكان تاجر حلبي قد احضر بذر هذا النبات من مصر وزرعه في الشهباء ، فأخصب خصباً مدهشاً . على ان الحلبيين لم يألفوا اكله في بدء ظهوره ، بل كانوا ينفرون منه . وكان بعض البسطاء اذا رآه ينطق بالشهادتين لظنه انه من الخضار المحرمة والمضرّة معاً . وما كاد يطلّ القرن العشرون ، حتى عمّ مختلف الاقطار العربية ، وأقبل عليه الناس إقبالاً شديداً ، وصار من أهم الخضار واحبها واكثرها فائدة غذائية .

١٥ - **أول من أحضر ثريات « الكاز »** : أوّلُ مَنْ أحضر من أوروبا الثريات التي تضاء بواسطة النفط « البترول » كان السيد حنا رباط ، وكان محله في السويقة . وقد عُرضت « لمبات الكاز » في النصف الثاني من القرن الماضي . أمّا مخترعها فهو المعلّم « لامب » ولهذا سميت « اللمبة » باسمه . وقد اخترعها في سنة ١٨٥٤ .

١٦ — **أوّلُ صحفي حلبي في العالم :** أوّلُ أديبٍ أصدر باسمه صحيفةً عربية ، هو رزق الله حسّون الحلبي ، منشىء جريدة « مرآة الاحوال » سنة ١٨٥٥ في استنبول . ولهذا يُعَدُّ بحقٍ مؤسسَ الصحافةِ العربية ، وجَدُّ الصحفيين العرب ، وزعيمهم على الاطلاق .

١٧ — **المطبعة المارونية :** في عام ١٨٥٧ أنشأ المطران يوسف مطر المطبعة المارونية في حلب ، وكان أوّل من اشتغل في تلك المطبعة الأب نيقولاوس كيلون ، واوّل من تولى ادارتها سليم خطار الذي استقدمه المطران مطر من لبنان .

١٨ — **المدرسة الاميرية :** أوّلُ مدرسة اميرية أُنشئت في حلب ، هي المدرسة المنصورية . وقد قامت عام ١٨٦١ وكانت تُدرّس اللغة التركية والفارسية ومبادىء العلوم الدينية .

١٩ - **تمديد اسلاك البرق :** في سنة ١٢٧٨ هـ ١٨٦١ م بُدىءَ بتمديد أسلاك البرق في حلب ، وعندما سمع الناس ان الاخبار تنقل من بلد الى آخر بثوانٍ معدودة ، ظنوا ان في الاسلاك شيطاناً أو مارداً يتولى هذه المهمة .

٢٠ — **البترول :** في سنة ١٢٨٠ هـ ١٨٦٣ م دخل البترول « الكاز » الى حلب ، فامتنع الناس عن استعماله في اول الامر ، لاعتقادهم ان رائحته تؤذي الصدر ، وأن نوره يضرُّ العيون . ثم بدأوا باستعماله للانارة بالمصابيح « اللمبات » المعدّة له . ولغلاء ثمنه ، كانوا يستضيئون به بالاعياد .

٢١ — **بلدية حلب :** أنشئت بلدية حلب في عام ١٨٦٣ .

٢٢ — **غدير الفرات** : أوّل جريدة صدرت في حلب عام ١٨٦٧م كان عنوانها « غدير الفرات » وكانت الصحيفة الرسمية لولاية حلب . وبعد ان عاشت عامين خلفتها في سنة ١٨٦٩ « جريدة الفرات » التي كانت تُطبع في اوائل عهدها باللغات : العربية والتركية والأرمنية . ثم اقتصرت على العربية والتركية ، الى ان احتجبت سنة ١٩١٨ . وهي من جملة الصحف التي كتب لها ان تحتفل بعيدها الخمسيني ١٨٦٧ - ١٩١٨ . وكان قد أسسها جودت باشا والي حلب .

٢٣ — **محلة العزيزية** : اسست محلة العزيزية سنة ١٢٨٦هـ ١٨٦٩م . ومحلة التلل عام ١٣١٠ هـ ١٨٩٢ م . وكانت مطرحاً للزبل ، وتابعة لوقف الحكومة . اما حديقة السبيل فقد انشئت عام ١٣١٤ هـ ١٨٩٦ م وكان اسمه من قبل « سبيل الدراويش » .

٢٤ — **مريانا مراش** : أول أديبة سورية كتبت في الصحف مقالات نقدية وجعلت بيتها منتدى أدبياً هي مريانا مرّاش المولودة في حلب عام ١٨٤٨ والمتوفاة عام ١٩١٩ وهي شقيقة الأديبين الشهيرين فرنسيس وعبدالله مرّاش .

٢٥ — **جادة الخندق** : كانت الجادة المعروفة اليوم بشارع الخندق ، مجموعةً من البساتين الحافلة بألوفٍ من الاشجار المثمرة والأزهار العطرة . وفي عام ١٣١١ هـ ١٨٩٣ م . قررت الحكومة العثمانية أنْ تجعل تلك البساتين شارعاً عاماً ، فقطعت منها جميع الأشجار ، ثمّ عمدت الى طمْ المنخفضات وتمهيد الارض ، واذنت للناس ان يشيدوا على طرفي الشارع ، البناياتِ السكنية ، والخانات والدكاكين التي مازال كثير منها قائماً حتى الآن .

٢٦ — **أول محام في حلب**: أول مَنْ تعاطى صناعة المحاماة أمام

الحاكم في حلب ، هو فتح الله انطاكي ، والد الأديب عبد المسيح انطاكي المولود في الشهباء سنة ١٨٧٤ والمتوفى في مصر عام ١٩٢٣ . وعبد المسيح هذا . كان قد أنشأ في ١ كانون الثاني ١٨٩٧ مجلة « الشذور » بحلب . ثم أصدر في القاهرة جريدة سماها « العمران » ، ثم ما لبث أن حولها الى مجلة شهرية .

٢٧ — **جمعية القديس منصور الخيرية** : تأسست هذه الجمعية في حلب عام ١٨٩٨ .

٢٨ — **الكنافة في حلب** : أول من صنع الكنافة البلورية « البصمة » في حلب هو السيد فريج . وكانت دكانه قبـــل حمام البرم وامام مخفر الجديدة القديم . وكان ذلك في آخر القرن التاسع عشر .

٢٩ — **أول دراجة في حلب** : في عام ١٩٠٢ عرفت حلب الدراجة العادية « البسكليت » وكان يركبها احد أبناء كبار الموظفين في الحكومة العثمانية . وفي عام ١٩٠٤ جلب السيد طوبجيان دراجة اخذ يعلم بواسطتها ابناء الاغنياء والميسورين ركوب الدراجات . أما الدراجة النارية «الموتوسيكل» فقد وصلت الى حلب في سنة ١٩١٣ ، وقد احضرها وقتئذٍ والي حلب « نزهت بك » لولده اكرم .

٣٠ — **الحاكي « الغراموفون »** : اول من جلب الحاكي « السماعة » الى حلب ، هو التاجر خجادور شـاهين . وكان ذلك عام ١٩٠٥ وكثير من الحلبيين يعرفون ذلك التاجر الذي كان محله في شارع حمام التل .

٣١ — **مد خط حديد حلب ـ حماة** : في سنة ١٣٢٣ هـ ١٩٠٥ م تمّ الاتفاق بين الحكومة العثمانية وبين شركة سـكة حديد حماة وحلب ، على مدّ خط حديدي من حمـاة الى حلب ، والمسـافة بين البلدين ١٤٣

كيلو متراً . واتخذت الشركة المذكورة محطة الانطلاق في غربي الشهباء أي في محلة السليمية ، المعروفة الآن بالجميلية .

٣٢ — **اول من احضر « اللوكس »** : « اللوكس مصباح كبير في اسفله خزان مملأ بالكاز وهو يشبه طباخ الكاز المعروف في زمننا» . وأول من جلب هذا المصباح الى حلب عام ١٩٠٥ كان السيد زكي ضاهر . وقد وضعه امام مقهاه الذي كان يُعرف الى عهدٍ قريب بقهوة السكلداني الكائنة بالسكة الجديدة ـ شارع القوتلي . وكان نور « اللوكس » ساطعاً يبهر الابصار ، وكان بعض الشبّان يسهرون في الصيف على نور مصباح السيد ضاهر .

٣٣ — **وصول أول قطار الى حلب** : في يوم الخميس ٢ جمادى الثانية ١٣٢٤ هـ ١٩٠٦ م وصل الى محطة حلب أول قطار حديدي يجرّ بضع عربات ، وكان القطار مزداناً بالأعلام والرايات . وكان الناس مزدحمين في المحطة ، وهم في دهشة بالغة لهذا الحدث العظيم . وكان يوركي عبدالله حلاق والد مؤلف هذا الكتاب من اوائل الموظفين في الشركة المذكورة ، وقد تسلّم إدارة مستودع البضائع التجارية في محطة حلب .

٣٤ — **اول مطحنة افرنجية كبيرة** : في سنة ١٣٢٥ هـ ١٩٠٧ م أحضرت الى حلب ووضعت في خان اقيول مطحنة كبيرة قوة محرّكها ٥٨ حصاناً ، تنقي الحبوب وتغسلها وتطحنها وتنخلها ، وهي تعمل بغاز يتولد من الفحم الحجري . وهي اول مطحنة من هذا النوع عرفتها حلب .

٣٥ — **جريدة التقدم** : أنشأ شكري كنيدر جريدة « التقدم » في ١٥ تشرين الأول ١٩٠٨ وكان يحررها بمفرده . ثمّ أصدر هو واخوته « كنيدر اخوان » الجريدة نفسها . وكانوا يتعاونون ، شكري وأشقاؤه

في عام ١٩٠٩ ، على تحريرها وتنضيد حروفها وطبعها وتوزيع قسم من اعدادها. اما القسم الباقي ، فكان يباع او يرسل بالبريد .

٣٦ - **أول من أدخل المتر الى حلب** : أول من أدخل المتر إلى حلب ، هو عبد الكريم شلحت ، والد العلامة المطران جرجس شلحت وباسيل شلحت شقيق عبد الكريم المذكور . وكانت حلب تستعمل قبل ذلك الذراع . وعبد الكريم هو الذي صنع الخشب المعاكس في حلب .

٣٧ — **اول سيارة في حلب** : في سنة ١٩٠٩ شاهدت حلب اول سيارة . وكان يركبها وقتئذٍ المشير زكي باشا الحلبي المرافق الفخري لأمبراطور المانيا ويلهلم . وقد زار المشير المذكور اهله في حي اقيول ، وهو ابن المرحوم علي افندي الذي كان مديراً للمستشفى العسكري في الرمضانية . وفي أثناء الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ - ١٩١٨ بدأ يقتنيها الوزراء وكبار قادة الجيش. وبعد انتهاء تلك الحرب ، وجدت عند جورج عزيزة سيارة (دودج) المانية تركها له قائد الماني في خان بباب الفرج (قرب محل المستت سابقاً) ولهذا اطلق على ذلك الخان « كراج عزيزة » .

٣٨ — **اول سائق سيارة في حلب واول مرآب فيها** : أول من تعلم قيادة السيارة من بعض الجنود الانكليز في اثناء وجودهم بحلب ، هو جورج الاشوص - لأنه كان احول العين - أما اول مرآب « كراج » لاصلاح السيارات في حلب فكان « كراج مودرن » لاصحابه « بابيللو وجلينو وميتالينو » وهم ايطاليون ، ثم تبعهم مواطنهم « دنجلو » .

٣٩ — **اول معمل جليد** : أول من جلبَ معملاً للجليد « البوظ » الى حلب ، كان السيد أميده جيراردي ، وتبعه بعد ذلك السادة خواتمي

ثم السادة شبارق وغيرهم .

٤٠ — **أول معمل الكازوز** : أول من أدخل « الكازوز » الى حلب هو السيد فوتي كركجيدس وكان يونانياً من أهالي أثينا . و « فوتي » المذكور هو زوج شقيقة السيد زكي كنيدر « أبو صالح » صاحب محطة بنزين « عالية » في المرقوب، ووالد المرحومة الكسندرا عوض أم الآنسة فيفان عوض التي انتخبت عام ١٩٦٠ ملكة لجمال القطن وقد تزوجها السيد صالح كنيدر والزوجان يعيشان الآن في نيويورك . وكان معمل كازوز المعلم « فوتي » كما كان يعرف في مطلع القرن الحالي ، امام التكية المولوية التي كانت تعرف « بالملخانة » ثم عمل مع المعلم فوتي رجل اسمه حسن خرّاط . ثمّ تأسس محل ثانٍ لأصحابه « طحان وابو حلقة » ثم تكاثرت معامل الكازوز في الشهباء حتى غدت تُعَدُّ بالعشرات . وكانت تسدُّ رأس القنينة كرةٌ زجاجية بحجم البندقة ،وتفتح القنينة بالضغط على الكرة بواسطة عود من الخشب صُنِعَ خصيصاً لذلك .

٤١ — **أول طيارة في حلب** : في شهر ربيع الاول ١٣٣٣ هـ الموافق لشهر نيسان ١٩١٤ م حلقّت في سماء حلب أول طيارة عثمانية يقودها طياران شابان اسم الاول صادق واسم الثاني فتحي وقد مهدت لطيارتهما قطعة من الارض قرب السبيل تجاه جبل البختي فاستقبلها الحلبيون بحفاوة واعجابٍ كبيرين .

٤٢ — **جر مياه عين التل الى حلب** : أول من فكر في جرّ مياه عين التل الى حلب ، هو أبو حنا الاورفلي الذي كان في عام ١٩١٥ يساعد المهندسين الالمان على مدّ الخط الحديدي بين استانبول وحلب ، فقد لفت أبو حنا ، نظر بشير معين رئيس ديوان الاشغال العامة في اثناء

الحرب العالمية الاولى ، الى ان مياه عين التل التي تذهب هدراً يمكن جلبها الى حلب بواسطة الانابيب الحديدية المتروكة في جهات نفق (ايران) في الاراضي التركية ، وقد أعجب السيد مبين بهذا الاقتراح ، واطلع عليه مدير الاشغال العامة فأيدهُ وأوصله الى عبدالخالق بك والي حلب في ذلك الحين . وبعد ثلاثة أشهر ، مدّدت الانابيب ، ووصلت مياه عين التل الى حلب .

٤٣ — **أول من جلب آلة الخياطة** : أول من جلب آلة خياطة الى حلب ، كان السيد يوسف شقال ، وكان وكيلاً لشركة « نويمن » الالمانية . ثم أصبح وكيلاً لشركة « ماكينات غريتز » ومنذ حوالي سبعين سنة فتحت شركة « سنجر » محلاً لها في حلب فعمَّ استعمال آلات الخياطة عندنا .

٤٤ — **آلات صنع الصدريات والجرابات** : أول من أدخل آلات « ماكينات » صنع الصدريات والجرابات الى حلب ، كان السيد سامي صائم الدهر ، والسيد محمود والي . فقد اشترى كل واحد منهما آلة ميكانيكية ألمانية من « لجنة الاموال المتروكة » وهي لجنة عربية عسكرية ، تشكلت في دمشق ، بعد جلاء الجيوش العثمانية عن سورية .

٤٥ — **معهد زراعي** : في ١٦ كانون الاول ١٩٢٠ تقرَّر إنشاء معهد زراعي في قرية السلمية ، وعُيِّن مديراً له السيد أحمد لطفي .

٤٦ — **المحكمة التجارية المختلطة** : بتاريخ ٢٧ أيار ١٩٢١ تمَّ تشكيل المحكمة التجارية المختلطة بحلب .

٤٧ — **الميتم الاسلامي** : تأسس الميتم الاسلامي في حلب عام ١٩٢١ .

٤٨ — **اولنقابة للصحافة في حلب** : بتاريخ ١٧ أيار ١٩٢١ أنشئت أول نقابة للصحافة في حلب وانتُخِب الاستاذ شكري كنيدر صاحب جريدة « التقدّم » رئيساً للنقابة ، والسيد منير المدوّر أميناً للسر . وفي خلال ذلك العام صـــدرت عدة صحفٍ أهمها : ١ - جريدة اسبوعية عنوانها « الآمال » أصدرها السيد صديق صندوق في ١٩٢١/٤/٥ . وفي ١٠ من الشهر نفسه أصدر السيد نجيب كنيدر صاحب مطبعة المعارف جريدة فكاهية انتقادية اسمهـا « المرسح » وبعد يومٍ واحد ، أي في ١١ نيسان اصدر السيد انطون يوسفاكي شمراوي جريدة « سورية الشمالية » وكانت تصدر مرتين في الاسبوع .

٤٩ — **اللاسـلـكي في حلب** : في سنة ١٩٢١ نصب الفرنسيون عموداً عالياً من الحديد جهزوه بالاتصالات اللاسلكية بين حلب ودير الزور وتل ابيض والقامشلي حيث وضعوا هناك اجهزة مماثلة لتأمين الاتصال . وكان موضع هذا العمود في حي السليمانية قرب موقع سلوم . ولهذا سمي هذا الموقع بحي « التلفون الهوائي » .

٥٠ — **أول معرض في حلب** : في عام ١٩٢١ افتتـح في مقهى النافعة بباب الفرج ، اول معرض لمصنوعات طـــلاب مدرسة الصناعة ، وكانت المعروضات تشتمل على أدوات خشبية وآلات تسوية حديدية .

٥١ - **القبر الانكليزي** : في ٢٩ حزيران ١٩٢٢ احتُفل بتدشين الأثر التذكاري الذي أقيم على بُعد سبعة كيلو مترات من طريق حلب - اعزاز ، تذكاراً للجنود الانكليز الذين سقطوا في معركـة نشبت هناك يوم ٢٦ / ١٠ / ١٩١٨ ، بين فـلول الجيش العثماني وبين الانكليز الذين دخلوا حلب في ذلك اليوم . وما زال الأثر يُعرف حتى الآن باسم « القبر الانكليزي » .

٥٢ - **انشاء مشاريع الكلمة الخيرية** : في شهر حزيران ١٩٢٤، أنشأ الأب بولس قوشاقجي جمعية مشاريع الكلمة الخيرية ، وفي ١٦ آذار ١٩٢٩، عندما اضطرَّ الأب بولس الى أن يغادر حلب ، سلَّم مقاليد مشاريعه كلها ، إلى المحامي الاستاذ فتح الله الصقال ، وإلى هيئة ادارية تضمُّ فئةً مختارة من رجالات الشهباء .

٥٣ - **أول منزل في شارع السبيل** : أول منزل للسكن بُني في شارع السبيل كلِّه ، هو منزل المحامي الانساني الكبير الاستاذ فتح الله الصقال . بدىء ببنائه عام ١٩٢٦ وسكنه مع أسرته عام ١٩٢٩ .

٥٤ - **الهاتف** : كان في العهد العثماني خاصاً باستعمال الجيش وبعض الدوائر الحكومية ، ثم آل امره الى الجيوش العربية التي دخلت سورية بعد جلاء العثمانيين . وفي عام ١٩٢٦ انشئت في حلب (مصلحة الهاتف) وتم الاتصال الهاتفي بين التجار وأرباب المصالح وبقية الناس . وكان الهاتف يدوياً يطلب الشخص المقصود التكلم معه بواسطة موظفة المركز (السنترال) .

٥٥ - **تأسيس شركة الكهرباء** : تأسست شركة الكهرباء في حلب . وبين عامي ١٩٢٧ - ١٩٢٨ ، بدأت بنصب الاعمدة الحديدية ، وربط الاسلاك الكهربائية ، وتمديد الخطوط الحديدية في الشوارع الرئيسية ، لسير حافلات « الترام » عليها . وفي سنة ١٩٢٩ اخذت الشركة المذكورة ، توزع الطاقة الكهربائية على المنازل والمعامل ، كما اخذت الحافلات تنقل الناس على خطين رئيسيين : الأول يبتدىء من حي الجميلية - قرب محطة الشام وينتهي في جب القبة ، ثم أضيف اليه خط يصل الى دار الحكومة « السراي » . أما الخط الثاني فكان يبتدىء من الرمضانية الى باب الجنان او « باب الجنين » كما يقول العامة ، ثم يتفرع الى خطين : احدهما

عن طريق باب انطـــاكية ـ الكلاسة ، والآخر عن طريق المصابن ـ خان الحرير (١) .

٥٦ ـ **سيارات الرش والاطفاء:** كانت الشوارع الرئيسية في حلب ترش في فصل الصيف بواسطة قرب يحملها عمال على ظهورهم . ثم استعيض عنها ببراميل تحملها عربات . وكانت تركب على صنبور البرميل اسطوانة ذات ثقوب يندفع منها الماء ويرش الطرقات . وفي سنة ١٩٢٨ جلبت بلدية حلب سيارات خاصة بعضها للرش وبعضها الآخر لاطفاء الحريق .

٥٧ ـ **أول مطار في حلب :** في عام ١٩٢٨ أنشأ الفرنسيون بقرب النيرب في حلب أول مطار . وفي عام ١٩٤٢ أنشأوا مطارين : أحدهما في دير الزور والثاني في القامشلي . وفي عام ١٩٤٦ وبعد جلاء الفرنسيين عن سورية ، أفتتحت أول مدرسة عسكرية للطيران في مطار النيرب لتعليم الشبان السوريين وتدريبهم على قيادة الطائرات وانتدب النقيب محمد حازم أول مدير لهذه المدرسة .

٥٨ ـ **أول معمل للمسامير في حلب :** أول معمل للمسامير الافرنجية انشأه السيد يوسف مشخص في حي براكات السريان بحلب ، وبدأ بانتاج ما يسده حاجة حلب والجزيرة معاً . وكان قبل ذلك قد انشأ معملين للمسامير : الأول في دمشق والثاني في حمص .

٥٩ ـ **الراديو :** أول من جلب جهاز الراديو الى حلب عام ١٩٣٠ كان السيد نعيم جنبرت . وقد عرضه للبيع في محله الكائن في شارع بارون . وأول من افتتح محلاً لتصليح الراديوات بحلب كان السيد سركيس

---

(١) طرأت على خطوط الحافلات عدة تغييرات ، بسبب ضيق بعض الشوارع وازدحامها بالناس .

بلابانيان العنتابي ، وكان ذلك سنة ١٩٣١ .

٦٠ - **صناعة « الزنكوغراف »** : أول من اشتغل في فن « الزنكوغراف » بطريقة حديثة ، كان المعلم « هراد » فقد انشأ معملاً له في بناية الاوقاف بالسكة الجديدة ، أمام قهوة « طبخ نفخ » وقد صنع « كليشيهات » مجلتي الضاد والكلمة منذ مطلع عام ١٩٣١ إلى أن ترك العمل وسافر إلى الولايات المتحدة الاميركية .

٦١ - **جمعية العاديات** : في شهر كانون الثاني ١٩٣١ ، أنشئت « جمعية العاديات » بحلب ، من نخبة مختارة من كبار العلماء والمؤرخين ، منهم الشيخ كامل الغزي ، والشيخ محمد راغب الطباخ ، والخوري جبرائيل رباط ، وبلوا دو روترو ، وغليوم بوخه ، وروودواف بوخه ، واسعد عينتابي ، وعبدالوهاب طلس وصبحي الصواف .

٦٢ - **مجلة العاديات** : صدرت مجلة « العاديات » في شهر أيار ١٩٣١ ، وكانت لسان حال جمعية العاديات .

٦٣ - **مجلة الضاد** : أول عدد صدر من مجلة « الضاد » في شهر كانون الثاني ١٩٣١ .

٦٤ - **أول فيلم ناطق** : في عام ١٩٣١ عرض في قاعة سينما رويال - سينما حلب الآن - أول فيلم ناطق .

٦٥ - **بناء دار عجائز الكلمة** : في الساعة الثانية من بعد ظهر يوم الاحد ١٨ تشرين الاول ١٩٣١ احتفلت جمعية مشاريع الكلمة في حلب ، بوضع الحجر الاول لبناء دار العجائز في حي السبيل ، في مهرجان رسمي وشعبي كبير .

٦٦ - **اشعة رونتكن** : اشعة رونتكن او اشعة إكس التي تستعمل في التصوير الطبي ، عرفتها حلب في عام ١٩٣٢ . وأول من استوردها ، الطبيب الجرّاح الكبير المرحوم الدكتور اوهانيس ألتونيان مؤسس مستشفى ألتونيان ، الذي أصبح اليوم مدرسة الحكمة ، وأول من قام بالتصوير الطبي بحلب كان آكوب دوكمهجي الاورفلي .

٦٧ - **تدشين دار الحكومة**: بعد ظهر يوم السبت ١٥ نيسان ١٩٣٣ احتُفِل بتدشين دار الحكومة « السراي » الجديدة الكائنة أمام قلعة حلب . وكان رئيس الوزراء يومئذٍ السيد حقي العظم وقد قص الشريط الحريري الموضوع على باب « السراي » بمقصٍ ذهبي ودخلها يتبعه المفوض السامي للدولة المنتدبة ، فوالي حلب السيد نبيه المارتيني فجموع المدعوين . وبعد اسبوعٍ واحد ، انتقلت دوائر الحكومة إلى تلك الدار الواسعة . وكان متعهد البناء السيد فتح‌الله مراد .

٦٨ - في يوم الاثنين ١٧ نيسان ١٩٣٣ وصل إلى حلب بالسيارة ملك وملكة بلجيكا فاستقبلا بناءً على رغبتهما استقبالاً بسيطاً . وفي اليوم التالي طاف الملك مشياً على الأقدام في العزيزية والسكة الجديدة ونزل الى قهوة « الدب » - وكان موقعها أمام دار البريد الجديدة - فشرب فيها فنجاناً من القهوة . ثم زار مع الملكة قلعة حلب والاسواق القديمة ووقف في سوق الاحذية الحمر فابتاع بعضاً منها كما ابتاع عدداً من القبعات التي يلبسها الفلاحون . وبعد ظهر ذلك اليوم قصد قلعة سمعان للتفرّج على آثارها التاريخية . ثم زار دار السيد بوخه قنصل البلجيك في حلب فتناول الشاي وشاهد ما تحويه تلك الدار من تحف ثمينة . وقد عبّر الملك والملكة عن سرورهما العميق بهذه الزيارة ، وقالا إنّ مدينة حلب من أقدم المدن وأجملها وأغناها بالآثار التاريخية الرائعة ، وأنها تُعدُّ مُتحفاً

قائماً بذاته ، ومن واجب علماء الآثار ان يزوروا الشهباء وينعموا بما تحويه من روائع الفن القديم ، ومن هندسة معاربة تتمثّل ، في قلعة حلب وأبراجها وأسوارها ، وخصوصاً في ما بقي من أبواب مدينتنا ومعالمها وأوابدها .

٦٩ - **تأسيس النادي الكاثوليكي** : في يوم الأحد ٣٠ نيسان ١٩٣٣ احتفلت إدارة المشاريع الكاثوليكية بتدشين « النادي الكاثوليكي » الذي شيّدته في محلة العزيزية .

٧٠ - **تمثال المطران فرحات** : في شهر أيار ١٩٣٤ احتُفِل في حلب بازاحة الستار عن تمثال المطران جرمانوس فرحات .

٧١ - **أول قاطرة « اوتومتريس »** : في أواخر عام ١٩٣٤ سيَّرت شركة سكة حديد شام - حماه وتمديداتها المعروفة بشركة D. H. P. على خطوطها بالاتفاق مع شركة سيارات طرق الشرق ، قاطرات « ديتريش » أو اوتومتريس ، تستطيع كل قاطرة أن تسير من حلب الى بيروت ، أو من بيروت الى حلب ، بسبع ساعات ونصف الساعة . أما المسافة بين حلب وطرابلس فتجتازها تلك القاطرة بخمس ساعات فقط ، في حين ان القطار كان لا يجتازها بأقلّ من عشر ساعات .

٧٢ - **شركة الغزل والنسيج** : تأسست هذه الشركة في سنة ١٩٣٦ وكان مؤسّسوها السادة : علي خضير ونوري الحكيم ونديم وفائي والدكتور عبدالرحمن الكيالي وادمون حمصي ومحمد خليل المدرس وشقيقه أحمد خليل المدرس وتوفيق ميسر ومصطفى شبارق . وقد ساعدهم عدد من كبار التجار ورجال الاعمال والزراعة . ولم يكن في حلب عام ١٩٢٢ سوى نولين آليين فقط .

٧٣ ـ **أول « باص » في حلب** : في عـــام ١٩٣٧ توسع حيّ الانصاري وكثر سكانه وبسبب بعده عن قلب المدينة ، جلب أحد الاهلين سيارة « اتوبوس » وأخذ ينقل بواسطتها الركاب من حي قسطل الحجارين إلى حي الانصاري باجرة مقطوعة قدرها ١٠ قروش سورية ذهاباً وإياباً . وأول مدرسة نقلت تلاميذها بالسيارة هي مـدرسة الاميركان المعروفة بـ « معهد حلب العلمي » الكائن في الانصاري . وكان ذلك في عهـد المستر كارلتون عام ١٩٣٠ .

٧٤ ـ **ضريح الزعيم ابراهيم هنانو** : بعـد ظهر ٣٠ حزيران ١٩٣٨ ، نقلت رفات المغفور له ابراهيم هنانو من مثواه القـــديم ، الى الضريح الجديد الذي شيّدته له الحكومة الوطنية في محلة الفيض .

٧٥ ـ **اعتداء الاتراك على لواء اسكندرونة** : في يوم الاربعـاء ٦ تموز ١٩٣٨ دخلت فرق من الجيوش التركية الى اسكندرونة وانطاكية وملحقاتها ، وفي اليوم التالي أضربت حلب احتجاجاً على هذا الاعتداء .

٧٦ ـ **سيارات الاتوبوس** : في النصف الثاني من شـــهر تموز ١٩٣٨ بدأت سيارات الاتوبوس بالسير على خط : قسطل الحجارين ـ باب الفرج ـ مدرسة التجهيز ـ محلة الانصاري . وكان السيد سعدالدين الجابري أحد نوّاب حلب ، وأحد القاطنين في تلك المحلة ، قد استحصل على مرسوم جمهوري بتأسيس خط نقل بالاتوبوس .

٧٧ ـ **مدّ خط « الترام » حتى دار الحكومة** : في منتصف عام ١٩٣٨ قرّرت شركة كهرباء حلب أنْ تمدّ خط حافلات « الترام » حتى دار الحكومة ، وأن تنير محلة الانصاري .

٧٨ ـ **أول من صنع الخزائن الحديدية في حلب** : أول منْ صنع

الخزائن الحديدية « السكاصات » في حلب ، هو يوركي حــلاق ، والد صاحب مجلة الضاد . وقد صنع في أثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) وبعدها عشرات منها . كما صنع أول مصفاة للماء « فلتر » في حلب .

٧٩ - **نقل اللحوم** : كانت اللحوم تنقل قــديماً من المسلخ إلى حوانيت الجزارين ، بواسطة خشبة تعلق بها الذبيحة ، ويحملها رجلان على كتفيهما . وكثيراً ما كانت تنقل اللحوم بواسطة الحمير مما كان يسبب تلوث الذبائح بالجراثيم والغبار . وفي عام ١٩٤٠ قرّر المجلس البلدي في حلب، شراء سيارات خاصة لنقل اللحوم ، وبــذلك قضى على ما كانت تسببه اللحوم الملوثة من أمراض وأوبئة فتاكة .

٨٠ - **أول من أحضر مطبعة اوفست** : أول من أحضر مطبعة اوفست لحلب هو السيد روطوس ترجنيان صاحب مطبعة روطوس بجانب الشهبندر وذلك عام ١٩٤٢ .

٨١ - **بناء مستشفى الكلمة** : بعد ظهر يوم الاحــد ٢٦ آذار ١٩٤٤ ، احتفلت جمعية الكلمــة بإرساء الحجر الأول في بناء مستشفى الكلمة بحضور السيد شكري القوتلي ، رئيس الجمهورية السورية وقتئذٍ ، وحشد كبير من رجال الدين والدنيا . وبعد ظهر يوم الاحد ١٧ حزيران ١٩٥١ تم تدشين بنائه في حفلة رسمية وشعبية رائعة .

٨٢ - **دار الكتب الوطنية** : بعد ظهر يوم الثلاثاء ٤ كانون الأول ١٩٤٥ ، احتُفل بافتتاح دار الكتب الوطنية في باب الفرج ، وبتدشين قاعة المحاضرات تحت رعاية محافظ حلب الدكتور احسان الشريف ، وبحضور الامير مصطفى الشهابي - وكان يـومئذٍ مديراً عاماً لغرفة رئاسة الوزارة السورية . وإليه يعود الفضل الأول في بناء تلك الدار يوم كان محافظاً

لحلب ـ أما مدير الدار المذكورة فكان الشاعر الملهم الاستاذ عمر أبو ريشة .

٨٣ ـ **أول تقويم** : أول من طبع تقويماً سنوياً « روزنامة » بالألوان هو عبدالله يوركي حلاق في مطبعة « الضاد » عام ١٩٤٦ وقد رسم على لوحة التقويم صورة ملونة لقلعة حلب وعليها العلم السوري . كما طبع تقويماً ثانياً على لوحته صورة للممثلة العالمية « ماريا مونتس » بالألوان .

٨٤ ـ **الحديقة العامة** : في مطلع عام ١٩٤٦ بُدىء بانشاء عدد من أهم المشاريع العمرانية في حلب ، بهمة ثلاثة من خيرة ابنائها وهم : المهندس مجدالدين الجابري رئيس بلديتها يومئذٍ ، والمهندس بهجت المدرس أحد كبار أركان بلديتنا ، والاستاذ سامي الكيالي مفتشها العام . وفي طليعة تلك المشاريع كان مشروع الحديقة العامة الكائنة على ضفة نهر قويق بين شركة الكهرباء وشارع محطة بغداد . وقد دفعت بلديتنا إلى وقف العثمانية ثمن الارض التي أنشئت عليها تلك الحديقة ـ ومساحتها ثلاثة عشر هكتاراً ـ ثلاثة ملايين وسبعمائة ألف ليرة سورية ، أدت منها مليون ليرة سورية نقداً ، ودفعت الباقي بأقساطٍ سنوية متساوية . باعتبار كل قسط / ٣٠٠٠٠٠ / ليرة سورية . وفي أوائل عام ١٩٤٨ عمدت البلدية إلى تنفيذ الخريطة التي وقع عليها اختيار لجنة فنية شُكلت لهذا الغرض . وقد فازت خريطة المهندسين الاستاذين **ماكس كرافلو واوكتاف بونه** من الجنسية الفرنسية بالجائزة الاولى وقدرها خمسة آلاف ليرة سورية .

٨٥ ـ **تحويل المدافن القديمة إلى شوارع رئيسية** : منذ تسلم المهندس مجدالدين الجابري زمامَ العمل في رئاسة بلدية حلب ، أنشأ في عام ١٩٤٦ شارعين يخترقان المدافنَ القديمة التي كانت بين التلل والسليمانية وجبل النهر ، يمتد الشارع الأول ، من ساحة بوابة الحلّ إلى الموقع الذي كان معروفاً بأرض المشنقة بالعزيزية ، أما الثاني فانه يمتدّ من أمام

كنيسة السـلاتين ، إلى شارعي النيال والسليمانية . ٢ً - الشارع الجميل المعروف بشارع فيصل والممتد من قرب مقرّ شركة الكهرباء ، إلى قلب مرتفع السبيل . وفي وسط هذا الشارع سلسلة متلاصقة من أحـواض الزهور . ٣ً - شارع رئيسي يمتدُّ من قرب الجسر الجديد إلى شركة الكهرباء ، وطرق فرعية ممتدة من « السكة الجديدة » إلى بعض الشوارع والطرق المجاورة . ٤ً - بضع ساحات عامة زُينت ببرك واحواض تحفُّ بها الاشجار والازهار والرياحين ، وبُنيت جدران على مقربة من بعض جسور نهر قويق .

٨٦ - **الملعب البلدي** : في ذلك الوقت بُنيَ الملعب البلدي في حي الفيض ، تجاه مستودع للنفط كان هناكَ ، وعلى مقربـة من معهد حلب العلمي ، وكان الملعب المذكور يعتبر في ذلك الحين ، أبدع وأوسع الملاعب الرياضية في سورية ولبنان ومعظم البلاد العربية .

٨٧ - **حديقة السبيل الجديدة** : قبل ظهر يوم الاثنين ٢٤ شباط ١٩٤٧ افتتح الأمير مصطفى الشهابي محافظ حلب ، حديقة السبيل الجديدة التي ضمت الى الحديقة القديمة فأصبحت الحديقتان واسعتي الارجاء ومنسقتين تنسيقاً جميلاً .

٨٨ - **عيد الشجرة** : أولُ عيد أقيم للشجرة في حلب وفي بقية محافظات القطر العربي السوري ، كان في اليوم الأول من شهر آذار ١٩٤٧ .

٨٩ - **إلغاء البغاء الرسمي** : في منتصف عام ١٩٤٧ ، بُـدىء بتنفيذ الغاء البغاء في حلب ، وفي سورية كلهـا ، صيانة للاخلاق ودعماً للفضيلة .

٩٠ - **خدمة العلَم** : في أواخر سنة ١٩٤٧ ، اقرّ المجلس النيابي

السوري ، قانون التجنيد الاجباري ، وأنهت وزارة الدفاع تنظيم العمل لتنفيذ هذا القانون ابتداءً من مطلع عام ١٩٤٨ .

٩١ - **اطلاق اسماء عظماء العرب على شوارع حلب** : منذ مدة وبلدية حلب تطلق أسماء نخبة من أبطالنا وعلمائنا ومؤرخينا وأدبائنا العرب ، على عدد كبير من شوارع الشهباء . وزادت على ذلك فوضعت في عام ١٩٤٨ ، على معظم البيوت والحوانيت أرقاماً تسهّل معرفة العناوين .

٩٢ - **نهر الفرات** : في عام ١٩٤٨ أنجز مهندسو شركة جيب الانكليزية ، أعمالَ مسح الاراضي من الجوّ في منطقة نهر الفرات ، ووضعوا تقريرهم عن مشروع جر مياهه الى حلب . وفي ٢١ ايار ١٩٤٩ أصدر مجلس الوزراء ، بناءً على اقتراح الاستاذ فتحالله الصقال الذي كان وزيراً للاشغال العامة والمواصلات في حكومة الزعيم حسني الزعيم ، مرسوماً (١) بانشاء خزان مياه الفرات بحلب . وفي مطلع شهر آب ١٩٤٩ أرسل الوزير المتقدم الذكر ، الى جميع الجرائد السورية والى كبريات الجرائد المصرية واللبنانية ، الاعلان المتعلق بوضع أعمال بناء الخزان في المناقصة العلنية .

٩٣ - **طائرة حلب** : أول طائرة للجيش السوري الباسل أطليقَ عليها اسم (حلب) ، دُفِعَ ثمنها من ريع حفلة كبرى أقيمت في الشهباء مساء السبت ٩ تشرين الأول ١٩٤٨ .

٩٤ - **حق المرأة السورية بالتصويت** : في ربيع عام ١٩٤٩ اعطيت المرأة السورية حقها بالتصويت في الانتخابات . وفي ١٠ تموز

---

(١) نشر المرسوم المذكور في العدد ٢٨ الصادر من الجريدة الرسمية في ٢ / ٦ / ١٩٤٩ ص ١٥٤٥ .

١٩٥٣ أعطيت حقّ انتخابها لعضوية البرلمان . ولكن بعد الانقلاب الثاني الذي وقع ضد حكم أديب الشيشكلي في الصباح الباكر من يوم الخميس ٢٥ شباط ١٩٥٤ أعيدت حقوق المرأة الى ما كانت عليه في عام ١٩٤٩ . وفي عام ١٩٥٨ في عهد الوحدة بين سورية ومصر نالت المرأة في الاقليمين : الشمالي والجنوبي حقها الانتخابي كاملاً ودخلت مجلس الأمة الاتحادي وظلت متمتعةً بهذا الحقّ بعد ثورة الثامن من آذار ١٩٦٣ الى اليـوم . وفي مجلس شعبنا بدمشق عدد من السيدات والأوانس .

٩٥ ـ **نصب الكرة الأرضية :** في يوم الثلاثاء ٢٩ آب ١٩٥٠ ، وبمناسبة زيارة جمهرة من مغتربينا العرب لمـــدينة حلب ، فقد أقيم أمام المعهد العلمي العربي « الكليـة الاميركية » نصب تذكاري يمثّل الكرةَ الأرضية . وقد أزاح الستار عن هذا النصب رئيس مؤتمر الاحلاف الذي كان في طليعة المغتربين الوافدين الى الشهباء .

٩٦ ـ **تأميم الماء والكهرباء وحصر الدخان والنقل المشترك :** في يوم الاثنين أول كانون الثاني عام ١٩٥١ أقرّ مجلسُ الوزراء في سورية ، مشروع تأميم شركات الماء والكهرباء وحصر الدخان والنقل المشترك .

٩٧ ـ **استعمال الهاتف الآلي :** في يوم الخميس ٢٦ نيسان ١٩٥١ ، بدأ استعمال الهاتف الآلي في حلب . وقد زاد يومئذٍ عددُ المشتركين فيه على الأربعة آلاف .

٩٨ ـ **افتتاح بناية البرق والبريد :** في يوم الجمعة ١١ أيار ١٩٥١ دشّنت بنايةُ دائرة البرق والبريد الكائنة في شارع القوتلي والمطلة على ساحة سعد الله الجابري . وقد تمّ في اليوم نفسه ، حفل افتتاح مقاسم الهاتف الآلي ، تحت رعاية الاستاذ فؤاد الحلبي محافظ حلب . وكان مؤلف

هذا الكتاب بين زملائه الصحفيين الذين شهدوا ذلك الحفل .

٩٩ - **سيارات « الباص »** : في آذار ١٩٥٢ ، عمدت شركة الكهرباء الى استخدام سيارات الباص لنقل الناس ، وقد لجأت الشركة في أول الامر ، الى استئجار بعض السيارات الكبيرة . وفي عام ١٩٥٤ اشترت عدداً من تلك السيارات .

١٠٠ - **مصرف سورية المركزي**: في يوم السبت ٢٨ آذار ١٩٥٣، أصدرت الحكومة السورية المرسوم التشريعي رقم ٨٧ المتضمّن نظام النقد السوري واحداث مصرف سورية المركزي . ولم يمضِ وقت طويل حتى أنشيء في حلب فرع للمصرف المذكور .

١٠١ - **تجميل حلب** : في منتصف عام ١٩٥٣ أنجزت وزارة الأشغال العامة ، دراسة المخطط العمراني الذي وضعه السيد كوتون عن مدينة حلب وتجميلها وتنسيق شوارعها .

١٠٢- **ماء الفرات في حلب** : في يوم الأحد ١٠ نيسان ١٩٥٥ ، تحقق الحلمُ الذهبي ، الذي طالما صبَتْ اليه الشهباء . ففي ذلك اليوم المبارك وصلت مياه الفرات الى حلب ، وبدأ الحلبيون يشربون من حنفيات بيوتهم ذلك الماء العذْب .

١٠٣- **ساحة ابراهيم هنانو** : في ربيع عام ١٩٥٥ ، أطلق المجلس البلدي ، على الساحة التي أحدثت بالقرب من محلة الكتاب ، اسم الزعيم الخالد ابراهيم هنانو . كما قامت بلدية حلب ، بحركة عمرانية واسعة .

١٠٤- **كهرباء النيون في حلب** : في صيف ١٩٥٦ أنارت بلدية حلب شوارع الشهباء بأضواء « النيون » .

١٠٥ - **نظام الفتوة :** في عام ١٩٥٦ ، أقرّ مجلس الوزراء تطبيق نظام الفتوة في المدارس السورية . وكانت مدارس حلب سبّاقةً الى تنفيذ هذا القرار المفيد .

١٠٦ - **استثمار الخطوط الحديدية :** في عام ١٩٥٦ ، انتقل حق استثمار الخطوط الحديدية : شام حماه وتمديداتها ، من الشركة الفرنسية صاحبة الامتياز الى الحكومة السورية . وقد احتفلت حلب بهذا الحدث احتفالاً رائعاً .

١٠٧ - **إلغاء الطنابر :** في عام ١٩٥٦ ألغيت تدريجياً « طنابر » عربات الاحمال التي تجرها الدواب ، لعرقلتها حركة المرور ، ولتشويهها جمال الشوارع ، ولعدم ملاءمتها التطور الحديث .

١٠٨ - **سرداب سرّي :** في العام نفسه أُكتُشِفَ في حلب ، سرداب سرّي يمتد من محلة المعادي وباب المقام ، مخترقاً القصيلة إلى سوق النحاسين . وقد عُلِمَ أن هذا النفق يعود الى عهد الرومانيين ، ويقع تحت الأرض بعمق ٣٠ متراً .

١٠٩ - **قاعة العرش في قلعة حلب :** في عام ١٩٥٧ بدأت مديرية الآثار ببناء قاعة العرش في قلعة حلب .

١١٠ - **اعلان الوحدة بين سورية ومصر :** في يوم السبت أوّل شباط (فبراير) ١٩٥٨ أعلنت الوحدةُ الكاملة الشاملة بين سورية ومصر ، ووقّع في القاهرة كلٌّ من الرئيس جمال عبد الناصر ، والرئيس شكري القوتلي ، على ميثاق هذه الوحدة . ومنذ ذلك اليوم أصبح القطرانِ العربيان الشقيقان ، بلداً واحداً .

١١١ - **رئيس الجمهورية العربية المتحدة :** في يوم الجمعة ٢١

شباط ١٩٥٨ ، أجمعت كلمة الشعبين : السوري والمصري على انتخاب الرئيس جمال عبد الناصر ، رئيساً للجمهورية العربية المتحدة .

١١٢ – إعلان الدستور الموقت : في يوم الاربعاء ٥ آذار ١٩٥٨ ، أعلِنَ الدستور الموقت للجمهورية العربية المتحدة ويشتمل على ٧٣ مادة . وفي اليوم التالي ٦ / ٣ ألفت أول وزارة اتحادية مع مجلسين تنفيذيين : الاول للاقليم الشمالي ، والثاني للاقليم الجنوبي .

١١٣ – انضمام المملكة المتوكلية اليمنية الى الوحدة : في يوم السبت ٨ آذار ١٩٥٨ انضمت المملكة المتوكلية اليمنية الى هذه الوحدة الرائدة .

١١٤ – وصول الرئيس جمال عبد الناصر الى حلب : بعد ظهر يوم السبت ١٥ آذار ١٩٥٨ ، وصل بالطائرة الى حلب ، الرئيس جمال عبدالناصر ، يصحبه الرئيس شكري القوتلي ، ورهطٌ من كبار المسئولين ، فاستقبلتهم الشهباء أروع استقبال . وكان محافظ حلب الاستاذ اسماعيل قولي .

١١٥ – علَمُ الوحدة : في يوم الخميس ١٠ نيسان ١٩٥٨ ، احتُفِلَ رسمياً في الاقليمين : الشمالي والجنوبي من الجمهورية العربية المتحدة ، برفع علمها الجديد فوق مباني الوزارات والدوائر الرسمية والمؤسسات الحكومية كلها . وكان العلم الجديد مستطيلَ الشكل ، عرضه ثلثا طوله ، وهو مؤلف من ثلاثة مستطيلات متساوية الابعاد ، لون الأعلى منها أحمر ، والأسفل أسود ، والأوسط أبيض فيه نجمتان خضراوان .

١١٦ – سوق الانتاج : في عهد الوحدة ، أقيم في شارع المحافظة بحلب ، أول معرض لسوق الانتاج الصناعي الزراعي . امتدَّ المعرض ما بين ١٠ / ١٠ / ١٩٥٨ و ١٥ / ١١ / ١٩٥٨ .

١١٧ ـ **معمل التوليد الكهربائي الجديد** : في ٢٨ / ١١ / ١٩٥٨ ، احتُفِلَ بتدشين معمل التوليد الكهربائي الجديد بالعنفات البخارية في منطقة عين التل .

١١٨ ـ **أول خط جوي بين حلب والاسكندرية** : في ١٥ أيار ١٩٥٩ دُشِّنَ أوّلُ خطٍّ جوي بين حلب والاسكندرية .

١١٩ ـ **استعمال اللغة العربية رسمياً** : صدر قرار جمهوري يقضي بأن يبدأ بقانون استعمال اللغة العربية في المكاتبات واللافتات في الجمهورية العربية المتحدة ، اعتباراً من أول تموز ١٩٥٩ .

١٢٠ ـ **الاتحاد القومي** : في يوم الاربعاء ٨ تموز ١٩٥٩ ، جرت في حلب وفي الاقليمين الشمالي والجنوبي معاً انتخابات الاتحاد القومي . وكان مؤلف هذا الكتاب في جملة الفائزين .

١٢١ ـ **سوق الهال** : عندما كان سعيد بصمه‌جي رئيساً لبلدية حلب ، تمَّ استملاك أراضي سوق الهال . وفي عام ١٩٥٩ حين كان الاستاذ محمد يحيى الكيالي رئيساً لبلديتنا بوشر في البناء . وفي سنة ١٩٦٢ على عهد الاستاذ صلاح برمدا بُدِىءَ بتوزيع الدكاكين .

١٢٢ ـ **دير الكرمل** : في صباح يوم الخميس ١٨ شباط ١٩٦٠ وضع الرئيس جمال عبدالناصر الحجر الأول في دير الكرمل بحلب .

١٢٣ ـ **تدشين خط حديد حلب ـ اللاذقية** : قبل ظهر يوم الخميس ١٨ شباط ١٩٦٠ افتتح الرئيس جمال عبدالناصر في محطة الوضيحي ، أعمال انشاء خط حديدي يمتدُّ بين حلب واللاذقية .

١٢٤ ـ **بناء قصر العدل** : في الثلث الأخير من شهر شباط

١٩٦١ وبمناسبة عيد الوحدة ، وضع السيد جادو عزالدين وزير الأشغال العامة ، الحجر الاساسي الاول لبناء قصر العدل بحلب .

١٢٥ ـ **بناء متحف حلب** : في الفترة نفسها من شباط ١٩٦١ ، احتُفِل بوضع الحجر الأول في أساس متحف حلب الحالي برئاسة وزير الاشغال العامة ، وحضور محافظ حلب وأعضاء مجلس الأمة عن محافظتنا .

١٢٦ ـ **خط حديد القامشلي ـ حلب ـ اللاذقية** : بعد ظهر يوم السبت ٢٩ تموز ١٩٦١ احتُفِلَ في موقع السكري في حلب ، بافتتاح اعمال القسم الثالث من مشروع خط حديد القامشلي ـ حلب ـ اللاذقية .

١٢٧ ـ **الانفصال عن مصر** : في صباح يوم الخميس ٢٨ ايلول ١٩٦١ قامت في دمشق ، فئةٌ من المأجورين بجريمة الانفصال عن مصر . فقاومهم الشعب السوري الباسل ، ولكنَّ أسلحةَ الانفصاليين تغلبت على المقاومة الشعبية ، وألف مأمون الكزبري أولَ وزارة انفصالية .

١٢٨ **صدور قانون الانتخابات** : ألغى قانون الانتخابات الجديد « البالوتاج » وأعطى المرأة حقَّ ترشيح نفسها لعضوية المجلس النيابي .

١٢٩ ـ **مركز انطلاق الباصات** : في أواخر عام ١٩٦٢ على عهد العميد عادل المسيري محافظ حلب ، أنشىء مركز انطلاق « الباصات » سيارات نقل الركاب الى جميع محافظات القطر .

١٣٠ ـ **ثورة الثامن من آذار** : في الصباح الباكر من يوم الجمعة ٨ آذار ١٩٦٣ ، أشرقت شمسُ الحرية بعد ليل الانفصال ، ومحا الجيشُ السوري الباسل بقيادة حزب البعث والوحدويين الاحرار ، محوا عن جبين سورية العربية ، وصمةَ الرجعية والشعوبية ، وأقبل الشعب

السوري الأبي ، يؤيد الثورة بقلبه ولسانه ويده ، وبسيول لا تنقطع من برقيات التأييد والفرحة العارمة بهذه الوثبة الجبارة المظفرة .

١٣١ ـ **تمثال أبي فراس الحمداني** : بمناسبة اقامة مهرجان الشعر الدوري الرابع على مدرج جامعة حلب ، ابتداءً من ١ ـ ٥ تشرين الثاني ١٩٦٣ فقد كرّمَ في المهرجان نفسه الشاعر الخالد أبو فراس الحمداني . وأقيم له أمام المدخل الشرقي الكبير من الحديقة العامة تمثال بديع صنعه المثال السوري النابغ جاك وردة من أهالي دمشق ، ودفعت نفقاته لجنة الشعر التابعة للمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية . وكان مؤلف هذا الكتاب أحد أعضاء تلك اللجنة .

١٣٢ ـ **تجميل حلب** : في نهاية عام ١٩٦٣ ، أُسنِدَت رئاسة بلدية حلب ، الى المهندس القدير السيد عبدالغني السعداوي ، فبدأ على الفور ، بتجميل شوارع مدينته ، وتوسيع مجال العمران فيها ، والاكثار من انشاء الساحات والحدائق العامة في أربعة أطرافها . وفي اواخر ١٩٦٥ عيّن المهندس عبدالغني محافظاً لحلب ، فأبدى نحوها كثيراً من الجهود الرامية الى تحسينها ورفع مستواها الصحي والعمراني .

١٣٣ ـ **الاحياء الشعبية** : اتجهت نية محافظة حلب وبلديتها الى تحسين الاحياء الشعبية الفقيرة ، التي كانت بعيدةً عن المرافق الصحية والحيوية ، فشُقت فيها الطرقات ومُدّت أنابيب المياه وأسلاك الكهرباء .

١٣٤ ـ **تلطيف مناخ حلب** : ابتداءً من عام ١٩٦٤ أعادت محافظة حلب ، وبلديتها النظر في مخطط المدينة . ولما كان مناخها جافاً ، فقد أنشىءَ فيها كثير من الحدائق والمقاصف والساحات المزدانة بأحواض تتدفق من نوافيرها المياه وتحيط بها الازهار والرياحين .

١٣٥ ـ **المنطقة الصناعية** : في عام ١٩٦٥ أنشئت في موقع الشيخ سعيد بجنوبي حلب ، منطقة صناعية تستوعب دكاكين النجارة والحدادة والميكانيك ومرائب السيارات وعدداً من الصناعات الاخرى المقلقة للراحة العامة .

١٣٦ ـ **مسلخ آلي** : في أول سنة ١٩٦٦ بُدِىء في المنطقة الصناعية المذكورة ، بانشاء مسلخ آلي تتوفر فيه جميع المستلزمات الصحية لذبح المواشي بأحدث الطرائق الفنية المتبعة في أرقى بلاد العالم .

١٣٧ ـ **كورنيش المدينة** : في عام ١٩٦٦ أُنجِزَ كورنيش المدينة وطريق الاوتستراد المؤدي الى مطار النيرب . وعرض الطريق المذكور / ٨٠ / متراً .

١٣٨ ـ **مدخل حلب الغربي** : في عام ١٩٦٦ أنشىء مدخل حلب الغربي المعروف بطريق الشام والمزدان بالاشجار الباسقة . وفي السنوات الاربع التالية أصبح امتداده خمسة كيلو مترات وصار مدخل الشهباء ، من أجمل وأروع مداخل المدن العربية .

١٣٩ ـ **تدشين العمل في سد الفرات** : جرى تدشين العمل في مشروع سد الفرات في مدينة الثورة « الطبقة » بتاريخ ٦ / ٣ / ١٩٦٨ .

١٤٠ ـ **استملاك كثير من الدور القديمة** : في سنة ١٩٦٩ اختير السيد شتيوي سيفو محافظاً لحلب ، خلفاً للمهندس عبدالغني السعداوي ، ومنذ عام ١٩٦٦ الى عام ١٩٧٦ استملكت بلدية حلب ، كثيراً من الدور القديمة ، وفتحت العديد من الشوارع ، وأحدثت بضعَ حدائقَ عامة ، وبدأت ببناء ثلاث مجموعات سكنية ، تتألف من مائة منزل في أرض المجور ، وأنارت ما شقته من الشوارع الرئيسية كشارع المطار ، وشارع الجامعة ، والانصاري .

١٤١ - **مخططات مشروع باب الفرج** : في عام ١٩٦٩ انتهى وضع مخططات مشروع باب الفرج ، وبوشر بوضع التصاميم التنفيذية .

١٤٢ - **الحركة التصحيحية** : في اليوم السادس عشر من شهر تشرين الثاني ١٩٧٠ قام البطل المناضل الفريق حافظ الأسد بحركته التصحيحية المباركة التي وضعت الامور في نصابها . وقد استقبلها الشعب السوري بمنتهى الفرح والتأييد . وعقب تلك الحركة قامت في قطرنا نهضة عمرانيـة واقتصادية زاهرة وشاملة ، وسادته روح الأمن والعدالة والاستقرار . وتم سدّ الفرات العظيم في مدينة الثورة ، كما تمت شبكة الخطوط الحديدية الممتدة من شرق سورية وشمالها الى البحر الابيض المتوسط .

١٤٣ - **تمثال العلامة قسطاكي الحمصي** : في يوم الاثنين أول آذار ١٩٧١ قرّر المجلس البلدي في حلب ، الموافقة على اقامـة تمثال نصفي للعلامة الكبير قسطاكي الحمصي . وقد صنع التمثال من البرونز المثّال الحلبي النابغ وحيد اسطنبولي . ونُصِبَ على قاعدة جميـلة في وسط حوض مستدير مليء بالازهار ، وكائن في ساحة الحرية القريبة من شارع قسطاكي الحمصي نفسه .

١٤٤ - **شارع فتح‌الله الصقال** : في ١ / ٣ / ١٩٧١ قرر المجلسُ البلدي تسمية الشـارع الممتدّ من مدخل دار المجانْ الى مدرسـة الفرنسيسكان « مدرسة السيدة مريم الآن » باسم المحسن والقانوني الكبير « فتح‌الله الصقال » .

١٤٥ - **فرع اتحاد الكتاب العرب** : في مسـاء يوم الخميس ٣

حزيران ١٩٧١ ، احتُفِلَ بافتتاح فرع اتحاد الكتاب العرب بحلب . وقد أقيم الاحتفال في المتحف الوطني في مهرجان رسمي تلته مأدبة عشاء . وكان رئيس الفرع الاستاذ وليد اخلاصي .

١٤٦ - **محافظ حلب الجديد** : في النصف الثاني من عام ١٩٧١ أُسنِدَ منصب محافظة حلب ، الى الاستاذ احمد اسماعيل ، خلفاً للاستاذ شتيوي سيفو . وقد لمست مجلة الضاد ، من الاستاذ احمد أوفر العون والتشجيع .

١٤٧ - **تكريم شهداء حرب التحرير** : في يوم الجمعة ٧ كانون الاول ١٩٧٣ احتفلت حلب وجميع محافظات القطر ، بتكريم شهداء حرب التحرير ، والاشادة ببطولاتهم النادرة وتضحياتهم الغالية . وكانت قد تألفت في محافظة حلب لجنة التعبئة الشعبية وانتخب عبدالله يوركي حلاق مقرراً لها .

١٤٨ - **مشفى حلب الجامعي** : ارتفع بناء مشفى حلب الجامعي في عهد الوحدة بين سورية ومصر . وتمّ تجهيزه والعمل فيه ، في مطلع عام ١٩٧٥ .

١٤٩ - **ندوة الشعلة الثقافية** : بمناسبة تدشين مقرّ الشعلة الثقافية بعد أن تمّ تجهيزه بـ « الديكور » الحديث ، أقيم في مساء يوم الجمعة ٩ / ١ / ١٩٧٦ حفل « كوكتيل » برعاية مار ديونوسيوس جرجس بهنام .

١٥٠ - **فيلم تلفزيوني عن حلب** : في مساء يوم الخميس ٢٩ / ١ / ١٩٧٦ عرضت مديرية الآثار والمتاحف في المنطقة الشمالية ، فيلماً ملوّناً عن مدينة حلب ، صوّرَه وأنتجه تلفزيون ميونيخ في المانيا الاتحادية .

١٥١ - **معهد التراث العلمي العربي** : بمناسبة افتتاح معهد التراث

العلمي العربي التابع لجامعة حلب ، عُقِدَ بين ٥ و ١٢ نيسان ١٩٧٦ أول ندوة عالمية بحثت في تاريخ العلوم عند العرب ، واشترك فيها نحو ٧٠ عالماً من أشهر علماء الشرق والغرب .

١٥٢ - « **المونوتيب** » و « **الينوتيب** » : في عام ١٩٧٦ أنشِئت مطبعة جامعة حلب وركبت معداتها في الطبقة الارضية من كلية الآداب . ولأول مرة دخل الى حلب جهازا المرصفة « المونوتيب » و « اللينوتيب » . وكان مؤلف هذا الكتاب، قد اقترح على صديقه الدكتور أحمد يوسف الحسن رئيس جامعة حلب وقتئذٍ ، إنشاء مطبعة حديثة في جامعتنا ، ووصف له الآلات الاوتوماتيكية الجديدة اللازمة لتلك المطبعة ، فعمل الدكتور الحسن بهذا الاقتراح مشكوراً . وتُعتبر مطبعة جامعة حلب أحدثَ وأهمَّ مطبعة في الشهباء .

١٥٣ - **أول خط تلكس** : في شهر أيار ١٩٧٧ ، جلب التاجر السيد نذير حنا أول جهاز تلكس ووضعه في خدمة المواطنين .

١٥٤ - **المشروع الثالث لجر مياه الفرات** : اعتبر تاريخ ١ /٤/ ١٩٧٨ موعداً رسمياً للمباشرة بتنفيذ المشروع الثالث لجرْ مياه الفرات الى حلب ، ويُعدُّ هذا المشروع من أضخم المشاريع الاروائية في المنطقة العربية كلها .

١٥٥ - **الاسقف المناضل ايلاريون كبوجي** : في يوم الجمعة ٩ شباط ١٩٧٩ استقبلت حلب أروعَ استقبال ، ابنها الاسقف المناضل المطران ايلاريون كبوجي . ورغم هطولِ الأمطار يومئذٍ ، هرعت أفواج من محبيه والمعجبين ببطولته ، يتقدمهم السيد حسين البطاح محافظ حلب في ذلك الوقت للقائه والترحيب بقدمه في ظاهر المدينة ، وقد أقيمت له في مسقط رأسه ، سلسلة من حفلات التكريم .

١٥٦ - **البدء بمشروع باب الفرج** : فـي عام ١٩٨٠ بُدِىء بتنفيذ مشروع باب الفرج بحلب على عهد محافظها السيد حسين البطاح ووضع حجر الاسـاس برعاية السيد محمد عـلي الحلبي رئيس مجلس الوزراء . وسيغدو هذا المشروع من أعظم المشاريع العمرانية في القطر .

١٥٧ - **تغطية نهر قويق** : في عام ١٩٨١ على عهد الاستاذ نهاد القاضي محافظ حلب ، ورئيس بلديتها القدير السيد المهندس محمـد ناجي المطري ، تمّ تغطية نهر قويق في حيّ محطة بغداد بغطاء من الاسمنت المسلح زُيِّن بسلسلة رائعة من أحواض الزهور ، وبرك المياه ذات النوافير الخلاّبة التي تتدفّق منها مئات ومئات من الحبال المائيـة المنعكسة عليهـا أضواء ملوّنة زاهية تسرّ العيون ، وتشرح الصدور ، وتذكرنا بحدائق قصر فرساي بباريس .

١٥٨ - **تكريم المبدعين** : رصدت بلديـة حلب ، جوائزَ ماديةً رمزية لتكريم المبدعين من أبنائها ، في ميادين العـلم والأدب والفنّ والقصة . ويعود الفضلُ الاول في ابراز هذه الظاهرة الحضارية التقدمية ، الى المهندس المحبوب الاستاذ محمد ناجي المطري رئيس بلديتنا الهمام . وقد نال جائزة بلديتنا لعام ١٩٨٢ ثلاثة من أبناء الشهباء وهم : القاص الاستاذ أديب النحوي ، والفنان فاتح المدرس ، والمربي علي رضا .

١٥٩ - **أول خط تلكس الكتروني** : في شهر نيسان ١٩٨٢ جلبت مديرية البرق في حلب أول تلكس الكتروني يتحـكم بعمـله « كومبيوتر » حديث .

١٦٠ - **تكريم المعمرين المبدعين** : في مساء يوم الاربعاء ٢٥ أيار ١٩٨٣ ، أقامت مديرية المركز الثقافي العربي بحلب ، حفـلاً كبيراً رعاهُ

سيادة الاستاذ محمد نور موالدي محـافظ حلب ، وكرّمَ فيه اثنا عشرَ معمراً من العلماء والأدباء والفنانين والصحافيين أبدع كلٌ منهم في مجال اختصاصه ، وأدّى لوطنه خدمات جليلة ، وهم الاساتذة : بشير عباسي ، مظفّر سلطان ، عبدالله يوركي حلاق ، عبدالرحمن ابو قوس ، نديمـة المنقاري ، نديم الدرويش ، حزقيال طوروس ، المهندس صالح بساطة ، الصيدلي كمال شحادة ، الدكتور توفيق ضاشوالي ، هاشم فنصـة وعلي الزيبق . وقد قُدّمت الى كل واحد من هؤلاء « براءة تقدير » مذهّبة وموقع عليها بامضاء الدكتورة نجاح العطار وزيرة الثقافة والارشاد القومي ، وبامضاء سيادة محمد موالدي محافظ حلب ، وبامضاء الاستاذ محمد صادق العبسي مدير المركز الثقافي العربي بحلب ، واهديت اليهم باقات من الزهر الجميل ، ومجموعة من الهدايا الثمينة .

١٦١ - بعد ظهر يوم الجمعة ١٤ تشرين الأول ١٩٨٣ احتفـل تحت رعاية الاستاذ محمد نور مـوالدي محافظ حلب ، بتدشين الطبقات الاضافية الثلاث في مستشفى الكلمة التابع لمشاريع الكلمة الخيرية .

وما زالت يدُ الاصلاح تعمل ليلَ نهار ، على كل ما يعود على على قطرنا السوري المفدّى ، بأجزل الفوائد العلمية والأدبية والعمرانيـة والاقتصادية والصحية .



جامعة حلب



الدكتور احمد يوسف الحسن
رئيس جامعة حلب السابق

تعدّ جامعة حلب ، من أحدث الجامعات في الوطن العربي ، ومن أجملها هندسةً ، وأفخمها بناءً ، وأحسنها موقعاً .
تطل من مرتفعاتها على جميع أطراف الشهباء ، فتبدو في النهار ، بأبنيتها البيض ، وحدائقها الخضر ، ومدينتها الجامعية الشامخة ، صروحاً علميةً متشحة بأروع حلل الفنّ العمراني ، وتظهر في الليل متلألئةً بأنوار الكهرباء بتناسق يثير الاعجاب ويخلب الألباب .

وجامعتنا لا تمتاز بهذا المظهر الأنيق الأخاذ فحسب ، ولكنها تمتاز قبل كل شيء ، برقيّها في مجالات العلم والبحث والأدب ، فهي تضمّ سبع كليات كبيرة وهي : كلية للطب البشري ، وكلية للهندسة بجميع فروعها ، وكلية للعلوم على مختلف أنواعها ، ورابعة للآداب العربية والاجنبية ، وخامسة للحقوق ، وسادسة للزراعة ، وسابعة للاقتصاد والتجارة ، فضلاً عن مشفى حلب التابع لكلية الطب ، وعن معهد التراث العلمي العربي التابع للجامعة نفسها ، وعن كلية الطبّ البيطري التابع لجامعتنا أيضاً .



الدكتور محمد علي حورية
رئيس جامعة حلب



الدكتور خالد ماغوط
رئيس معهد التراث العلمي العربي

والجدير بالتنويه ، أنّ سورية كانت أولَ قطرٍ عربي درّس في جامعاته الطبّ والهندسة والحقوق والعلوم الأخرى بلغة الضاد ، ليبقى الطلاب وثيقي الصلة بلسان آبائهم وأجدادهم ، دون أن يمنعهم ذلك من دراسة ما يشاءون من لغات الامم الحية .

مع بزوغ فجر الاستقلال ، كانت الجامعة السورية في دمشق ، هي المؤسسة العلمية العليا الوحيدة في القطر العربي السوري كله . وكانت تقتصر على كليتي الطبّ والحقوق فقط . وفي عام ١٩٤٦ أحدثت في حلب كلية الهندسة المدنية ، وأصبحت تابعةً للجامعة السورية بدمشق .

وما كادت تُعلن الوحدة بين سورية ومصر ، حتى صدر في عام

١٩٥٨ القانون ١٨٤ القاضي باحداث جامعة حلب ، وتبعه قرار جمهوري رقم ١٧٧٣ يقضي بالحاق كلية الهندسة بجامعتنا . ثم انشئت فيها كلية الزراعة . ولذلك تعتبر جامعة حلب ، وليدة تلك الوحدة ، كما يُعتبر ما تمّ فيها بعد ذلك من انجازات جبّارة ، من مآثر عهد الثورة ، وعهد الحركة التصحيحية المجيدة . وها نحن نذكر بايجاز أهمّ تطوّرات جامعة حلب منذ قيامها الى الآن .

١ - في العام الدراسي ١٩٦١ - ١٩٦٢ وبموجب المرسوم رقم ١٨ أنشئت كلية الحقوق .

٢ - وفي العام الدراسي ١٩٦٣ - ١٩٦٤ وبالمرسوم ٨٤ تمّ تحويل المعهد العالي للتجارة الى كليةٍ للتجارة .

٣ - وفي عام ١٩٦٥ وبالمرسوم الجمهوري رقم ١٧٤٠ أحدثت كليةٌ للطبّ البشري وبدأ التدريس فيها في العام الدراسي ١٩٦٧ - ١٩٦٨ .

٤ - وفي عام ١٩٦٦ صدرالمرسوم التشريعي/١٢٢٠/القاضي بانشاء كلية اللغات وتضمّ خمسة أقسام وهي : اللغة العربية ، اللغة الانكليزية ، اللغة الفرنسية ، اللغة الروسية ، واللغة الالمانية . وقد افتُتحَ قسم اللغة العربية في العام الدراسي ١٩٦٦ - ١٩٦٧ وتبعه قسم اللغة الفرنسية في العام الدراسي التالي ، كما افتتح قسم اللغة الانكليزية في العام الدراسي ١٩٦٨ - ١٩٦٩ ، وابتداءً من العام الدراسي ١٩٧١ - ١٩٧٢ تغيّر اسم هذه الكلية ، فأصبح « كلية الآداب » .

٥ - وفي عام ١٩٦٧ أحدثت كلية العلوم الاقتصادية التي تضمّ

الفروع الخمسة التالية : (الاقتصاد ، التخطيط ، الاحصاء ، التجارة ، المالية) . أما كليتا الحقوق والتجارة ، فقد أوقف القبول فيها في العام الدراسي ١٩٦٧ - ١٩٦٨ . واعتباراً من العام الدراسي ١٩٧٧ - ١٩٧٨ أصبح اسم هذه الكلية « كلية الاقتصاد والتجارة » .

٦ - وفي العام الدراسي ١٩٦٧ - ١٩٦٨ أحدثت كلية العلوم في جامعة حلب ، وبدأت تدرّس العلوم الرياضية والفيزيائية ، والعلوم الفيزيائية والكيميائية . وفي العام الدراسي ١٩٧٦ - ١٩٧٧ تمّ افتتاح فرع العلوم الطبيعية .

٧ - وفي العام الدراسي ١٩٦٩ - ١٩٧٠ تمت في مدينة حماه كلية الطبّ البيطري والحقت بجامعة حلب .

ومن أجل إعداد الأُطر الفنية المتوسطة المزودة بالمهارات والمعلومات النظرية والعملية التي تمكنها من تنمية الانتاج وتحسينه وتطويره ، فقد تمّ في جامعتنا احداث المعاهد المتوسطة الآتية :

١ - المعهد المتوسط الهندسي : الملحق بكلية الهندسة - افتتح في العام الدراسي ١٩٧٠ - ١٩٧١ .

٢ - المعهد المتوسّط الطبي : الملحق بكلية الطبّ - تمّ افتتاحه في العام الدراسي ١٩٧١ - ١٩٧٢ .

٣ - المعهد المتوسط الزراعي : الملحق بكلية الزراعة - تمّ افتتاحه في العام الدراسي ١٩٧١ - ١٩٧٢ .

٤ - المعهد المتوسط التجاري : الملحق بكلية التجارة - تمّ افتتاحه في العام الدراسي ١٩٧٧ - ١٩٧٨ .

٥ - المعهد المتوسط للهندسة الصحية ، وقد أحدث مؤخراً وسيفتتح في العام الدراسي ١٩٨٣ - ١٩٨٤ .

وكان من نعم الله على بلدنا ، ان اختار المسئولون لجامعتنا منذ افتتاحها الى الآن ، رؤساء يتازون بسمة العلم ، ووفرة النشاط ، وروعة الاخلاص نذكر منهم الدكتور احمد يوسف الحسن الرئيس السابق ، والدكتور محمد علي حورية الرئيس الحالي ، والدكتور خالد ماغوط رئيس معهد التراث العلمي العربي ، يعاونهم مساعدون يتحلّون بأجمل المناقب الوطنية والانسانية والثقافية ، ويسهرون على النظام التام في مؤسسة علمية تضم نحو ثلاثين ألف طالبة وطالب . أما أمين الجامعة فهو الأستاذ محمد الامام شقيق صديقنا الشاعر القدير الاستاذ أنور الامام وهو ، أي الاستاذ محمد ، من خيرة العاملين على خدمة جامعتنا والسهر على طلابنا وطالباتنا فيها .

وقد استطاعت جامعة حلب ، بفضل رعاية الرئيس حافظ الأسد ، أن تلحق بأحدث الجامعات العالمية ، بتجهيزاتها الفنية ، ومختبراتها العلمية ، وعمدائها وأساتذتها وموظفيها المشهود لهم بالكفاءة وصدق العمل والاعتصام بحبل الله والعروبة والواجب الوطني والمسلكي .



الحياة الاجتماعية في حلب

تتقارب وجوه الحياة الاجتماعية في مختلف المدن السورية وتتشابه في كثير من العادات والتقاليد ، كما تتقارب هذه الحياة نفسها في أنحاء الوطن العربي . ولا بدع ، فالشعب العربي على تعدد مواطنه ، ذو أصل واحد ، ولغة واحدة ، وله تراث مجيد واحد ، يعتز به ويفاخر .

ولقد درس كثير من المستشرقين هذه الحياة دراسة عميقة مستفيضة ، لمسوا فيها هذا التقارب ، واثبتوا أن العرب كلهم متصفون بالشجاعة والاقدام ، ومجبولون على الكرم والشمم وحب الضيافة واغاثة الملهوف وحماية كل من يستجير بهم ، ويلوذ بأكنافهم .

ولن نحاول هنا ، أن نعدد اقوال علماء الاستشراق في هذا الصدد ، ولا أن نأتي بأمثلة مما قالوه عن عاداتنا ، وعن تقاليدنا الشعبية الموروثة ، ولكننا نحصر بحثنا ، في الحياة الاجتماعية في هـــذه المدينة العريقة في عروبتها ، والمحافظة حتى الآن ، على كثير من عادات الاجداد والآباء .

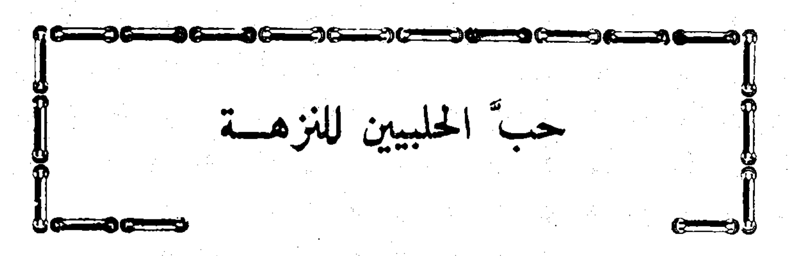
والحق ، أن الشهباء ، التي عاش تحت سمائها الامـير سيف الدولة الحمداني ، والتي أنشد فيها شاعره أبو الطيب المتنبي أروع خرائده ، بلدٌ يتحلى ابناؤه البررة بروح عربية أصيلة ، لم يستطع الحكم العثماني ، الذي سيطر على بلادنا اكثر من أربعة قرون ، ان يغيرها ، ولا تمكنت العادات الاجنبية الدخيلة من افسادها ، بل بقيت جذور تلك الروح الحرة الكريمة متأصلة في اعماق كياننا راسخة في بيئتنا وتاريخنا وأعرافنا .

ونحن عندما نتحــــدث عـن الحياة الاجتماعية في حلب ، فاننا نتحدث عنها بأمانة وصدق واخلاص ، ونصورها على حقيقتها كما عرفناها ونحن في عهد الفتوة وميعة الصبا ، وبعبارة أصح وأوضح فاننا نبين الحياة الاجتماعية في بلدنا الطيب ، في النصف الأول من هذا القرن .

وإذا كان قد طرأ بعض التغيير على هذه الحياة عند بعض سكان الشهباء ، فان معظم الحلبيين لا يزالون متمسكين بها ، حريصين عليها حرصهم على تراثهم القومي ، ومعتقداتهم المقدسة .

والمعروف ، أن أعـداداً كبيرة من الحلبيــــين ، قد نزحـوا الى الامريكيتين : الشمالية والجنوبية ، والى انحاء نائية اخرى من هذا العالم الواسع الشاسع . وبالرغم من هجرتهم وبعدهم عن الوطـن الأم ، وعن الأهـل والخلان والجــــيران ، فانهم ظلوا على كثير من عاداتهم العربية وتقاليدهم العائلية ، حتى أنك لتجد كثيراً من اخواننا النازحين إلى فنزويلا والبرازيل والارجنتين ، وإلى الولايات المتحدة الامريكية ، على ما كان عليه آباؤهم في الأخـــذ والعطاء ، والبيع والشراء ، وفي المــــأكل والمشرب ، وفي الأفراح والاتراح .





حبّ الحلبيين للنزهة

الحلبيون منذ القِدَم ، محبّون للنزهة ، مولعون بالماء والخضرة والشكل الحسَن . وقد كانوا قبل نصف قرن ، يقصدون المتنزّهات زرافات ووحداناً ، فيجلسون على العشب الاخضر بجوار ساقية رقراقة ، أو بقرب عين ماء يتجاذبون أطراف الحديث وينثرون النكات والنوادر ، ويتناولون ما يحملونه من أطعمة ونقل ، وهم يكحلون عيونهم بمناظر الطبيعة الوادعة .

وعندما كان نهر قويق لا يزال يجري في وسط الشهباء ، كان يجذب الى شاطئيه جموع الحلبيين ، فمنهم من كان يقضي الوقت بلعب النرد « الطاولة » ، أو بلعبة « البرجيس » وبالأحاديث السياسية التي كانوا يسمّونها « التلّ فشار » ، ومنهم من كان يلقي شباكه في الماء ليصطاد السمك النهري الصغير الحجم واللذيذ الطعم ، حتى إذا حصل الصياد على بغيته ، عمد هو ومَن صحبَهُ من أعضاء أسرته ، فنظفوا السمك وشووه أو قلوه وتناولوه على البساط السندسي الممتدّ على طرفي النهر .

والجدير بالذكر ، أنّ هذا النهر الذي كان ألعوبة الشعراء والمشنّعين وأصحاب النكتة ، كان يفيض في أواخر الشتاء وأوائل الربيع ، فيغمر بمياهه كلّ ما كان يجاوره من بساتين وحقول ، وقد تتسرّب المياه أحياناً الى الدور القريبة منه . وقد فاض يوماً حتى أحاط بقصر سيف الدولة في سفح جبل الجيوش أو « الجوشن » ، كما يسميّه عامتنا . وقد

وصف الشاعر قويق[١] بقوله :

قويقُ إذا شمَّ ريحَ الشتاءِ	أظهرَ تيهاً وكبراً عجيبا
وإنْ أقبل الصيفُ أبصرتَهُ	ذليلاً حقيراً حزيناً كئيبا
إذا ما الضفادعُ ناديتَهُ	قويقُ قويقُ أبى أن يجيبا
تفوصُ البعوضةُ في قعرِهِ	فتأبى قوائمها أنْ تغيبا[٢]

وبسبب قلّة الأمن في العهد العثماني ، وصعوبة السفر الى الارياف والجبال ، كان ذوو النعمة والثراء من الحلبيين « يستنون » في كل سنة مرةً أو بضعَ مرات ، وكان أكثر ما يفعلون ذلك في فصل الصيف ، فيقصدون بساتين المدينة طلباً للراحة ، وترويحاً للنفس من عناء العمل وحرّ الشمس .

وكانت أشهر أماكن النزهة عندهم ، جنينة « التاقي » وبساتين الوضيحي والمسلمية[٣] وحيلان وبستان الفرخة وبساتين « باب الله »[٤] كبستان الجانكية والساعاتي والباشا وتقع في شمال المدينة ، وبساتين « وجه قبلة » وتقع في جنوبها . وفي هذه البساتين كلها بيوت ، في كل بيت غرف عديدة كان يستأجرها المصطافون .

---

(١) قال ابن شداد : إن « قويق تصغير قاق » وقال سواه غير ذلك . وسنعود الى هذا الموضوع إن قدر المولى ويسر .

(٢) ويروى البيت الأخير على الشكل التالي :

وتمشي الجرادة فيه فلا — تكاد قوائمها أن تغيبا

(٣) أصلها المثل مئة ، أي أن المثل الواحد من البذار كان يعطي مئة مثل ، بسبب خصب التربة وكثرة الماء .

(٤) أو « بابلي » نسبة الى قرية بهذا الاسم تقع البساتين بجوارها .

أما في الليالي المقمرة من شهور تموز وآب وايلول ، فكان سُراةُ القوم يقصدون كروم الفستق ، فيجلسون تحت أشجاره ويحسُّون بنشوة الطرب وهم يسمعونه يتشقّق تشقّقاً تخاله زقزقةَ عصافير صغيرة تهمّ بمغادرة أعشاشها .

والمشهور ، أنَّ الفستق لا تحمرُّ وجناته ولا تتشقّق حبّاته ، إلا في ضوء القمر . ويكثر تشققه وتفتّحه حين يصير القمر بدراً .

ولبعض شعراء حلب في وصف هذه الظاهرة الغريبة أبيات جميلة نذكر منها ما قاله شاعر الشباب عادل الغضبان :

الفستقُ الميرانُ أطبقَ جفنَهُ غيظاً ولاح بوجنةٍ صفراءِ
يرنو الى الصيفِ الجميلِ فإنّهُ يزدانُ فيهِ بقرمزيِّ رداءِ
يا حسنَه متلألئاً ، يا لحنَهُ متشقّقاً في الليلةِ القمراءِ

ولصاحب هذا الكتاب ثلاث قصائد في وصف الفستق الحلبي يقول في إحداها :

أحبُّ ثرى الشهباءِ أهوى رياحَها ولو صوَّحت روضي، وأهوى بها الصبا
وفستقها فوقَ الربى الخضرِ إنّهُ عناقيدُ مرجانٍ تتيهُ على الرُّبى
وللفستقِ الولهانِ سرٌّ محجَّبٌ وإني لأخشى أن يكونَ تسرّبا
يزقزقُ كالعصفورِ والبدرُ باسمٌ ويسكتُ إن ألفى جبيناً مقطّبا
ويدنو إليهِ البدرُ يكشفُ صدرَهُ فتبصرُ قلباً كان قبلُ محجّبا

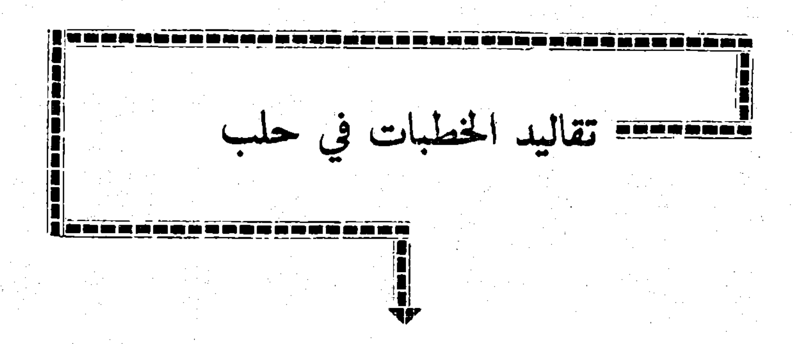
ولشدة ولع الحلبيين بالخضرة والماء والجمال ، كان سراتهم يبالغون في تجميل دورهم وزخرفة قاعاتها بقطع القيشاني وبالخشب المخرّم والملوّن وبالآيات والأبيات الجميلة المكتوبة بأبدع الخطوط والمموّهة بماء الذهب . وكانوا يجعلون لكلّ دارٍ ايواناً يسمّونه « الليوان » وبركة من المرمر

الأبيض أو من الحجر الأصفر المصقول في وسطها فسقية تعلوهـا نافورة تتصاعد منها خيوط الماء فتجلو النواظر وتشرح الصدور .

وقد التفتَ الحلبيون الى تركيز مياه الامطار في صهاريج وأقبية تحت الأرض ، كانوا يشربون منها وهي عذبة باردة ، ولا يزال بعضهم يفضّل ماء الصهريج على ماء الفرات .

وفي أيام الصيف والايام الدافئة من فصلي الربيع والخريف ، كان الحلبيون يصبّون الماء أمام بيوتهم ويجلسون بعد العصر فيتحدّثون ويتنادرون ويشربون القهوة وبعضهم يدخّن النارجيلة غير آبهين للمارة . وهذه العادة نفسها متّبعة حتى اليوم في بعض مدن اسبانيا وايطاليا . ولعلّ الاسبانيين والايطاليين أخذوا هذه العادة من أسلافنا العرب الذين حكموا الاندلس نحو ثمانمائة سنة .

وكان لبيوت حلب أسطحة اعتاد الناس أن يناموا عليها طيلة ليالي الصيف دون أن يخافوا البرد أو الرطوبة لأن هواءنا جاف غير مؤذٍ . والنصارى من أهالي الشهباء كانوا يفعلون ذلك ابتداءً من عيد العنصرة الذي يقع غالباً في شهر أيار أو حزيران ، ويعودون فيبيتون داخل غرف بيوتهم في عيد الصليب الذي يقع دائماً في اليوم الرابع عشر من ايلول ، وهناك مثل حلبي يقول : « عَنْصِرْ وِطْلاعْ وصلّيب وادخُلْ » . ومعظم أسطحة الدور القديمة في حلب ، كان يتصل بعضها ببعضها الآخر ، بحيث يُستطاع التجوّل فوقها الى مسافة بعيدة . وكثيراً ما كان يتسامر الجيران على تلك الاسطحة ويتبادلون الزيارات الليلية بدون أن يكلّفوا أنفسهم مشقّة طرق الابواب وصعود السلالم ، فالسير فوق الاسطحة المتعانقة سهلٌ ومأمون .



تقاليد الخطبات في حلب

التقاليد عند المسلمين :

إذا أراد الشابُ الزواج ، راحت والدته وشقيقاته يبحثن له عن فتاة تليق به . وقبل انتشار الحمامات في البيوت ، كنَّ يذهبن الى الحمّام العام ، يتفحصنَ الفتيات كما خلقهنَّ الله ، ويتقرَّبن اليهنَّ ليسمعنَ أحاديثهنَّ ، فاذا أعجبتهنَّ واحدة توددن اليها وسألنها عن اسمها وكنيتها وعن اسم أبيها وأمها وعن عنوان بيتهم .

وتبدأ الخطوة الثانية بالسؤال عن أصل الفتاة ، وعن صنعة أبيها ، وعن سمعة أمها وعماتها وخالاتها ، فاذا كانت خالية من كل شائبة توجهن الى منزلها ليشاهدنها مرة ثانية في لباسها واناقتها وفي قيامها وقعودها ، وينظرن كيف تقدّم القهوة وكيف تبتسم وتتكلم .

فاذا اجتازت هذه الامتحانات بنجاح ، تُطلب الفتاة من والديها أو من ولي أمرها ، ويتفق على المهر . والاغنياء يغالون بالمهور . أما متوسطو الحال والفقراء فيتساهلون به ، ويكون معجلاً ومؤجلاً كما هو معروف .

والزوجة الغنية ، تضيف الى المهر من مال أبيها قدره ، وربما زادت عليه ، وتشتري به وبما أضافته اليه أثاث المنزل .

التقاليد عند المسيحيين :

إذا رغب الشاب في دخول القفص الذهبي كما يقول الشعراء ، أكثر من الذهاب الى الكنائس في أيام الآحاد والأعياد ، والى الاندية والمجتمعات العامة ، واستعرض الفتيات . فاذا أعجب بواحدة منهن سأل عن اسمها واسم والديها ، وعن وضع اسرتها الاجتماعي . فاذا ارتاح الى ذلك ، أرسل والدته وبعض شقيقاته أو بعض المقربين من أهله الى رؤيتها في بيتها ، بعد ان يتفق على موعد هذه الزيارة التي تسمى « التقليب » فيقال سنذهب لنقلب فلانة بنت فلان .

وعندما تحرز الفتاة اعجاب والدة الشاب ، تعود هذه مع زوجها ، الى زيارة أهل الفتاة ، وكثيراً ما يصحبها الشاب الراغب في الخطبة .

ومن عادة الخطية ، ان تتجمّل وتلبس أحسن ما عندها من ثياب وحلي ، وتجلس أمام « المقلبين » وعليها علامات الخفر والحياء . واذا كان لها شقيقات أجمل منها ، فمن عادة الاهل ، ان يمنعوهن عن الظهور أمام الشاب وأهله .

ثم على الفتاة ان تقدم إليهم القهوة ، أو كؤوس شراب البرتقال أو شراب الورد ، وان تكثر من الترحيب بهم ، وأن تجيب على أسئلتهم بهدوء وبصوت منخفض . وتدور هذه الاسئلة غالباً عن الصحة وعن المدرسة التي درست فيها الفتاة وعما تجيده من أعمال يدوية .

وعندما تجمع عليها الكلمة ، يتفق مع أبويها أو مع وليها على يوم الخطبة وعلى شروط الزواج . وكثيراً ما يتم ذلك ، بواسطة كاهن من طائفة العريس . فاذا تحدّدت الشروط سجّلت في ورقة تحفظ عادة عند ذلك الكاهن نفسه .

وتنطوي هذه الشروط على أمور أهمها :

١ ـ مدة الخطبة .

٢ ـ موعد الزواج .

٣ ـ نوع الحلي التي سيقدمها الخطيب الى خطيبته والاثاث الذي سيفرش به بيته .

٤ ـ مقدار البائنة « الدوطة » التي ستدفعها العروس للعريس إن كان أهلها من أرباب الثراء . وإن لم تكن ذات بائنة ، يُذكر نوع الجهاز الذي ستجلبه الزوجة الى بيت زوجها .

أما إذا كانت الفتاة رقيقة الحال عديمة المال ، فالخطيب يتكفّل بالجهاز الضروري ، ويقال في هذا الصدد : « أخذناها ـ يعني البنت ـ بالقميص اللي عليها (أو) أخذناها من جنب جرن الحمّام » .

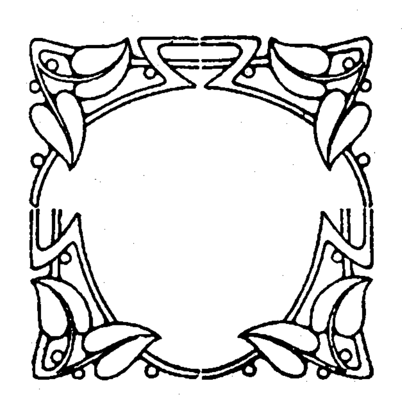
وكانت الخطبة قديماً تتم في الغالب ، بواسطة الكاهن ، أو بواسطة سمسارة تدعى « شبّاكة » . ومن ذلك المثل الحلبي القائل (لولا السمسارة ما نفقت بنات الحارة) . وكان بعض الشبّكات يحملن صور فئة من الصبايا والشباب الراغبين في الزواج .

غير ان هذه الحال قد تبدلت الآن بسبب انتشار العلم وكثرة اختلاط الجنسين . فاذا أحبّ الشاب فتاة صارحها بحبه ، فإن لقي منها تجاوباً اتفقا على الخطبة ، ثم أعلما الاهل والاقارب . وكثيراً ما يكون الرأي الاول والاخير في هذا الشأن للشاب والفتاة ، وممانعة الاهل لا تجدي إلاّ نادراً ، عند بعض الطبقات المتأخرة اجتماعياً أو فكرياً . فللفتاة البالغة الراشدة ، وخصوصاً إذا كانت متعلمة ، أن تختار من تريد .

وليس لأهلها إلاّ أن يسدوا اليها النصحَ، اذا كان في طالب يدهـا ما يؤاخذ عليه .

وفي اليوم المحدَّد للخطبة يجيء الكاهن ويضع في بنصر كل من الخطيبين خاتماً يُعرَف باسم « محبس » ويكون من الذهب الخالص ، أو من البلاتين المحلّى بالالماس .

وعلى اثر ذلك ، تبدأ الخطيبة بتجهيز نفسها ، ويسرع الخطيب بفرش بيته ، كما يشرع بزيارة بيت خطيبته . وكانوا سابقاً يضعون لهـذه الزيارة حدّاً لا يستطيع الشاب ان يتعدّاه ، كأن يزور خطيبته مرة واحدة في الاسبوع بحضور أبويها واخوتها . أما الآن فقد امّحى هذا التقليـد عند معظم الحلبيين ، وصار بامكان الخطيب ان يزور خطيبته في كل ساعـة ، وان يصحبها معه الى حيث يشاء .



تقاليد الأعراس في حلب

فقدت الاعراس كثيراً من وجوه البهجة وأفانين الجبور ، وأصبحت عند الطبقات الراقية من المسلمين والمسيحيين بسيطة تنتهي مراسم كل عرس في نحو ساعة من الزمن وتقتصر عند الفئة الاولى على كتب الكتاب ، وعلى تقديم شراب اللوز وقطع الراحة الملوءة بقلب الفستق الحلبي، وربما قام أحد المقرّبين من أهل العروسين فألقى قصيدة في مدحهما وتهنئتهما .

أما عند النصارى ، فقد صارت مراسم الاكليل تُعقد في الكنيسة بعد ان كانت تُعقد في بيت العريس وتأتي العروس من بيت أهلها إلى الكنيسة في سيارة فخمة مزدانة بالسفائف البيض « الربـــان » وبأنواع من الزهور الجميلة ، وبيدها باقـــة من الورد الابيض أو من الياسمين البحري . وإذا كان الوقت شتاءً والورد مفقوداً تحمل باقـــة من الورد الاصطناعي .

ويتبع سيارة العروس ، رتل من السيارات تقلّ الاهل والخلاّن وهي تطلق أصوات أبواقها باستمرار ، وتطوف بأهم شوارع المدينة .

أما العريس فينتظر عروسه في باحة الكنيسة وعندما تجتاز الباب الخارجي مصحوبة بأبيها أو بوليها ، يقترب منها العريس فتتأبط ساعـده الايمن ، ويدخلان الكنيسة ويقفان أمام طاولة مجلّلة بالبياض وعليها إناء من النبيذ وشمعتان مضاءتان وتاجان من الفضة المموّهة بماء الذهب ويقف

بجانبهما عرّابان يعرفان بـ « الاشبينين » (١) فيتلو الكاهن أو عدد من الكهنة صلاة خاصة ويُقرأ فصلاً من الانجيل يرد فيه ذكر عرس قانا الجليل الذي صنع فيه السيد المسيح معجزته الاولى فحوّل الماء الى خمر ، ثم يضع الكاهن التاج الاول على رأس العريس والتاج الثاني على رأس العروس ثمّ ينقلهما من رأس هذا الى رأس تلك . وبعد ذلك ، يدور الجميع حول الطاولة ثلاث مرات ثم يرفع إناء النبيذ ويقدّمه الى العروسين فيشرب كل منهما جرعة ، كما يشرب العرّابان ثم يوقّع العروسان والعرّابان امضاداتهم على سجل خاص تدوّن فيه الزواجات .

وعلى أثر ذلك ، يتوجّه العروسان والعرّابان وجميع المدعوين الى صالة تابعة للكنيسة ، وأحياناً الى باحة الكنيسة ، فيتقدّم أهل العروسين والمقربون من أصدقائهما ويقدّمون اليهما المصوغات ويطبعون على وجهيهما القُبَل ثم يتقبّلان تهاني الأقارب والمدعون الذين يُقدّم الى كل منهم عند انصرافه علبة من الزجاج أو من المعدن فيها ملبّس افرنجي ، وكثيراً ما ينقش على تلك العلبة الحرفان الأولان من اسمَي العروسين .

هذه صورة صادقة عن أعراسنا اليوم .

أما قبل الحرب العالمية الثانية ، فكانت الاعراس الحلبية تتّسم بالروعة ، وتحفل بألوان الطرب والمسرّات .

وكانت تسبق هذه الاعراس حفلات عديدة منها حفلة تلبيس الخاتم ، وحفلة نقل الجهاز الى منزل العريس . وكانت العادة المتبعة في بعض الاحياء القديمة بحلب ، أن يكون طعام الغداء يوم تركيز الجهاز في بيت الزوجة « بجدرة الرز » مع أنواع من المخللات أو السلطة .

---

(١) المفرد « شبين » وهي كلمة سريانية معناها كفيل .

وكان الزواج عند المسلمين يُعقد في بيت الزوجة ، بينما يُعقد عند المسيحيين في منزل الزوج . وكان يحتفل بهذا العقد عند الحلبيين ، احتفالاً رائعاً يحضره المطربون والعازفون على الآلات الموسيقية ، ويطاف على المدعوين بكؤوس المرطبات وأنواع الحلويات وأهمها الراحة . وصاروا الآن يقدمون الغريبة الاسطنبولية أيضاً .

وعندما كان يصل موكب العريس أو موكب العروس إلى مكان الاحتفال ، كان يُستقبل بمنتهى الحفاوة ، فيخرج الاهل والمقرّبون إلى ملاقاته ومعهم فرقة موسيقية – تُعرف بـ « النوبة » – تعزف وتنشد :

زارني المحبـــوب   في ريـاض الآس
روق المشـــروب   وملا لي الـكأس

وكان على من يُستقبلون بهذا النشيد ، ان يكرموا الفرقة الموسيقية بمبلغ من المال يعلن طبّال الفرقة عن مقداره بقوله : « شابات شابات[1] من فلان أبو فلان عشر ليرات » وربما تراوح المبلغ بين خمس ليرات وخمس وعشرين ليرة في الحالة المتوسطة . وكان بعضهم يـدفع مائة ليرة تصنّعاً للكرم وطلباً للشهرة ، ولكن هذا المبلغ لا يلبث ان يُعاد إلى صاحبه بعد أن يُحسم منه ما يتفق عليه ، وتسمى هذه العملية « فكاك » المبلغ . وهناك أناشيد وشدّيات ينشدها رفاق العريس ومنها :

والله الاعزب لا دله   ما في حـــدا يغسله

---

(١) يقول أهل الموصل « شوباش شادباش » جملة تعني : أرجو أن تكونوا سعداء جداً . يقولها الراقصون والمغنون للحاضرين بعد أن يرمي اليهم أحدهم بشيء من المال أو الهدايا .

صابونته في كمـــه   دايرِ على الجيران [١]

ثم ينبري جماعة من المستقبلين ، فيضمون أيديهم على أكتاف بعضهم ويطلقون أصواتهم معاً بالهتاف التالي :

« وِلك الله يساوي . دص دص . بروك منيح ها بيبا ها » تتبعه الملهلة وبعض الزغاريد التي تطلقها غالباً حناجر بعض النساء والصبايا .

ومما لا شك فيه ، ان هذا الهتاف ، هو بيت من الشعر السرياني المنظوم [٢] ومعناه بالعربية :

فليوفقك إلهي ، افرح وابتهج ، فانه نعم القران يا أحباء هللوا .

ولا بدَّ في مثل هذه الافراح من أن تطلق النساء « الهنهونات » المناسبة وتتبع كل هنهونة زغاريد وصيحات : « الله يساوى » .

واليك مثالين من الهنهونات التي تُقال في أعراسنا :

اي ها ـ دقت الطبـول والزمر غنـــالهـا

اي ها ـ يا محلا عروستنا ويا مكوس دلالهـا

اي ها ـ يا ست الحسن اجـت من إكاليلهـا

وعشـرين من الصبـــايا شاقليلهـــا ديالهـــا

---

(١) الموسوعة الموسيقية للاستاذ مجدي العقيلي وهي لا تزال مخطوطة .

(٢) يقول المطران جرجس شلحت في كتابــه « لغة حلب السريانية ص ١٢١ الهتاف المذكور « هنهونة سريانية محضـــة وهي : « الله يساوى ، دوص دوص ، جمي بوشنا دْ يورُخ منيـح ، دوص دوص حبيبا هل » ، ومعناها : ليوفقك إلهي ، افرح وابتهج . اصرخوا بقوة قائلين : ليكن زواجـــك مباركـــاً . ألا افرح وابتهج . وأنتم يا أحباء هللوا .

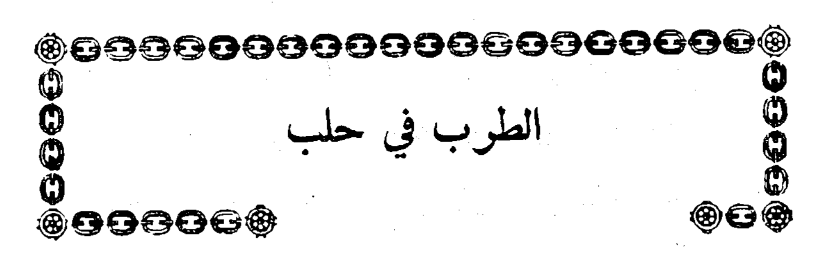
اي ها ـ يا نهر حلب حاجـــة تمتلي وتزيـد
أي ها ـ عـدّو عليك الصبايا بلباس العيـد
اي ها ـ خشخشتلن بالدهب قالوا الدهب ما نريد
رعبون غـيرك سبق وان كنت عاشق زيـــد

وبعد أن تنتهي الاعراس وما فيها من مباهج وأفراح ، تبدأ حفلات اخرى يرد فيها العروسان الزيارات لمن حضر عرسهما من الاهل والخلاّن. وهذه الحفلات تُعرف عند مسيحي حلب باسم « العَبْرات » والمفرد « عبْرة » .

ومن المعتاد ، أن تبدأ الزيارة الاولى لآل العروس ، فيقيم هؤلاء لابنتهم وصهرهم « عَبْرة » ربما فاقت العرس بـذخاً وبهجة وجمالاً . وفي الغالب الاعم . كانت تدوم السهرة من أول مساء إلى صباح اليوم التالي . وعند بزوغ الفجر يرسل المطربون أغانيهم على لحن الصبا وأشهر هذه الاغاني « ما أسعدك صبحية » ثم تبدأ الجلوة الحلبية ، فيندفع سرب من الصبـايا ورهط من الشباب إلى حلبة الرقـص ، فتمايل القدود ، وتصدح الاوتار وتشدو النايات ، وتجود الحناجر وتصفق الا كف ، ويشترك الحاضرون نساءً ورجالاً في الغناء والمرح الوداع البريء .

وقبل أن ينصرف المدعـوون ، يُقـدّم إلى كل منهم طعام افطار مؤلف من قرص من السميد المعجـون بالسمن الحديدي ـ ويُعرف باسم « قراص » ـ وقطعة من « المرتديلا » أو من هبر الديك الهندي المنسول العظام ، وقليل من المخلل وقطعتين من الكنافة البلّورية « البصمة » . أما اليوم ، وبعد ان كثرت تـكاليف الحياة ، فلم يعد يتمسك بهذه التقاليد ، إلاّ القليل من أبناء الشهباء .





الطرب في حلب

ايليا أبو ماضي ، شاعرٌ مهجريٌ مجدّد كبير ، أبدع في الفكرة والصورة والخيال ، وابتكرَ أروعَ المعاني وأسماها ، وصبَّها في قوالب الفصحى ، وحافظ على سلامة اللغة ، وجمال اللفظ ، ورهافة الحسّ ، وقدسية الفن والمنطق (١) .

هذا الشاعر ، خالط ـ الرعيل الأول من مغتربينا الحلبيين في بروكلين ـ نيويورك ، وشهد بعضَ سهراتهم ، ولمس عن كثب حبّهم العظيم للموسيقى والطرب والأدب فقال كلمته الصادقة :

« حيثما لقيتَ رجلاً حلبياً ، فأنتَ إمَّا مع فنَّان ، وإمَّا مع روحٍ تطربُ للفنّ » .

والحقيقة أن الحلبيين فنَّانون بطبعهم ، وقد اشتهروا منذ أقدم الأزمنة ، بشغفهم بالموسيقى ، وبهيامهم بالأصوات الجميلة ، وبميلهم الشديد الى الادب العربي ، الذي ازدهر هو والموسيقى في عهد الامير سيف الدولة الحمداني ، ازدهاراً كان وما زال مضربَ الامثال .

جاء في كتاب « خطط الشام »(٢) لمحمد كرد علي ما نصّه :

---

(١) انظر ما كتبناه عنه في مؤلفنا « من أعلام العرب في القومية والأدب » ص ٦٩ ـ ٧٦ .

(٢) يقع الكتاب في ستة اجزاء من القطع الكبير ، طبعت بدمشق بين عام ١٣٤٣ هـ ١٩٢٥م وبين عام ١٣٤٧ هـ ١٩٢٨م . والكتاب المذكور محفوظ في مكتبة صاحب هذا المؤلف .

« إنَّ حلب مشهورة منذ القديم بغرام أبنائها في الموسيقى منذ عهد سيف الدولة بن حمدان ، ودَع الموسيقيات والمغنيّات ممن غفل المؤرخون عن ذكرهم أمثال (علوة) محبوبة البحتري في حلب ، التي ذكرها كثيراً في شعره » .

والمعروف ، أن حلب أنجبت عدداً كبيراً من أقطاب الموسيقيين والملحنين والمطربين ، يأتي في مقدّمتهم « مصطفى البَشْنَك » وكان صاحب نادٍ موسيقي يُعرف بـ « قاعة بيت مشمشان » كان يقصده طلاب هذا الفن ، وتقام فيه حفلات الرقص والغناء . وكان البَشْنَك يدقّ النقرظان وهو المسمّى بالنقارات ، وكان إذا أنشد أطرب ، وكثيراً ما بكى الناس لسحر صوته ، وروعة تلحينه ، وعلوّ فنّه (١) .

وحسبُ حلب فخراً في مجالي الموسيقى والطرب ، أنّ كثيراً من أبنائها نبغوا فيها نبوغاً يدعو الى أوفر الاعجاب ، وغدا بعضهم ذا شهرةٍ عالية بعيدة المدى ، كعازفي الكمان انطون الشوا وابنه سامي الشوا ، وكالأخوين الشقيقين ضيا ونجمي السكري ، وكانا في عداد تلاميذنا يوم كنا ندرّس اللغة العربية في المعهد العلماني ـ اللاييك بحلب ، ويُعدّانِ اليومَ بحقٍ ، من أقدر وأشهر العازفين على الكمان في العالم (٢) .

ولن نحاول هنا ان نعدّد أسماء أعلام الموسيقى والغناء في الشهباء ، فهم كثيرون جداً ، وقد أفردنا لبعضهم مقالاً خاصاً ، ولكننا نذكر ما قاله صديقنا الفاضل الاستاذ ممدوح الجابري ، وهو من خيرة المطّلعين على اسرار الموسيقى العربية ، والملمّين إلماماً واسعاً بتاريخها وتطوّرها وأسماء النابغين فيها . قال الاستاذ ممدوح : « ما من بلدٍ عربي نال من الشهرة وبُعد

---

(١) ولد البشنك في محلة قلعة الشريف بحلب عام ١١٨٤ هـ ـ ١٧٦٥ م وهو ابن الشيخ أبي بكر الحريري الرفاعي نسباً وطريقة .

(٢) انظر مجلة « الضاد » العدد المزدوج ١ و ٢ / ١٩٥٠ ص ١٦٩ و ١٧٠ .

الصيت في فنّ الموسيقى ما نالته مدينة حلب ، وما من بلدٍ عربيّ أخرج عدداً كبيراً من الفنانين خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، والربع الاول من القرن العشـــرين ، كما أخرجت هذه المدينة العربية ، وما من فنّان كان يحضر الى مسارح حلب مغنياً أو عازفاً ، قبل ان تعمّ السينما وتنتشر آلات الراديو والتلفزيون ، إلاّ وكان يهتزّ قلبه من لقـاء سكان هذه المدينة التي لاترحم من يُسمِعُها فنّاً رخيصاً ، مهما كان شأن هذا الفنّان في الشهرة والمجد »[1] .

في أواخر العشرينات ، وكنتُ فتىً غضّ الاهاب ، جاء الى حلب المطرب المصري الكبير الاستاذ صالح عبدالحي ، تصحبه فرقته الموسيقية ، وأحيا بضعَ حفلات في سينما الشرقي ، وقد أُتيح لي ان اشهد احدى تلك الحفلات . وما كادت ترتفع الستارة ، حتى ظهر ذلك المطرب الذائع الصيت جالساً على أريكة تحيط به فرقته وخمسة من المردّدين الرخيمي الأصوات ، وفي عين كل واحد منهم حَوَل .

وبادر صـالحُ الحضور بالتحية وقال : « أنا اليوم في حلب مدينة الطرب ، وعندما يكون رجل الفنّ في هذه المدينة العربية العريقة ، يجب ان يتهيّب الموقف ، لأن أبناء الشهباء ذوو آذانٍ موسيقية لاتخطىء ، وأذواق سليمة تفرّق بالبداهة بين الدخيل « النشاز » وبين الأصيل الجميل . وسنحاول ان نسمعكم ما يرضيكم » .

بهذه الـكلمة الطيبة ، شدّ صالح عبدالحي القلوب اليه ، فدوّتِ القاعةُ بالتصفيق الحاد . ولما عاد الهدوء ، عزفت الفرقةُ وصلةً صغيرة ، ثمّ أخذ صالح ينشد بصوته الحلوّ القوي « لياليَ » أتبعها بموشح من مقام

---

(١) مجلة « العمران » عدد خاص عن مدينة حلب . ص ٢٨٠ .

« حجاز كار » ثم طفق يغني دور « يا ما انتَ واحشني وروحي فيك » من ألحان محمد عثمان . فكان غناؤه يصل الى خارج قاعة السينما ، فتسمعه الجماهير المحتشدة هناك ، مأخوذةً برخامة الصوت ، وروعة الفن ، وجمال اللحن والأداء .

واستبدَّت نشوة الطرب بالسامعين ، وكلهم من خيرة القوم ، وعشاق الأصالة الفنية ، وأصحاب الأحاسيس المرهفة ، فشرع بعضهم يقذفون عمائمَهُم وطرابيشَهُم الى أعلى الصالة ، وهم يصيحون بملءِ افواههم : اللهُ أكبر ، الله أكبر .

وأصاب طربوشُ أحدهم مصباحاً كان يُملأ بالكاز ويعرف بـ « اللوكس » فانكسرت زجاجة المصباح ، والتهب الطربوش ، وكاد يشبُّ حريق ، لولا أن يسرعَ الناس الى اطفائه[1] .

وهكذا كان يتهيبُ كبار المغنين والعازفين الأذنَ الحلبية ، وكان يفاخر بعضهم بأنه ظفر برضى أبناء الشهباء واستحسانهم .

ومن الثابت ، أن عدداً من أقطاب المطربين المصريين ، تأثروا بالموسيقى الحلبية واقتبسوا منها أنغاماً كانوا يجهلونها . ففي عام ١٩٠٨ زار الشيخ سلامة حجازي حلب ، وشاهد فيها رقصةَ السماح ، فأعجبَ بها وبما أُنشِدَ في خلالها من موشحات ، وأخذ عنها وصلةً من مقام العجم .

وفي أوائل العقد الثاني من هذا القرن ، زار السيد درويش حلب ، واستمع الى أغاني أهلها وأناشيدهم . ويقول بعضُ من كتبَ عنه ، إنه

---

(١) حتى عام ١٩٢٨ ، كانت المقاهي ودور السينما تضاء بمصابيح الكاز . وفي سنة ١٩٢٩ بدأت شركة كهرباء حلب ، توزع الطاقة الكهربائية على المنازل والمعامل والمقاهي.

تأثرَ بالموسيقى الحلبية والسورية معاً ، وانه تتلمذ ونفسه على أيدي موسيقيين حلبيين .

ولا شك أن مصر مدينةٌ لموسيقانا ، فقد ورد في كتاب « الموسيقى الشرقية والغناء العربي » لقسطندي رزق ، أن عبدُه الحمولي استمرَّ يغني على الطريقة الحلبية .

والجدير بالذكر ، أن رجلاً من حلب يُدعى شاكر أفندي ، سافر الى مصر ومعه موشحات وقدود وأغانٍ ذات طابع حلبي أعجبَ به أبناء وادي النيل . والى هذا يشير المؤرخ جرجي زيدان والدكتور محمود الحفني قائلين : « إن شاكر أفندي قدِم إلى مصر عام ١٨٢٠ وهو يحمل محصولاً طريفاً من الموشحات » .

ويرجّح بعض العارفين بتاريخ الموسيقى ، أنَّ عازف الكمان الشهير انطون الشوا الحلبي ، أدخل هذه الآلة الموسيقية إلى القاهرة ، وكانت تُسمى في ذلك الوقت ، أي في الثلث الاخير من القرن التاسع عشر « كمنجة الأروام » .

ويذكر قسطندي رزق في كتابه المشار اليه « أنَّ نخلة المطرجي كان من أكبر عازفي القانون في مصر ، وكان يعمل في فرقة عبدُه الحمولي . وكان المطرجي من مدينة حلب الشهباء » .

ويُضيف الاستاذ رزق الى ذلك قوله : « إن المستشرقين حين كان يغمض عليهم شيء في الموسيقى ، كانوا يلجأون الى محترفيها في حلب ، للاستفهام منهم عما خفيَ عليهم منها » .

وكانت حلب في نظر بعض علماء الموسيقى تُسمّى « فيننّا الشرق »

لكثرة مَن أنجبت مِنْ أفذاذ الوسيقيين أولاً ، ولما يمتاز به الحلبيون من حبٍّ عظيم للغناء والطرب ثانياً . فالطرب في الحيـاة الاجتماعية بحلب ، يحتـلّ المكانَ الاول ، حتى ان كثيراً من الاسر الحلبية ، كانت تؤلف من أعضائها عازفين يطربون الاهلَ والاصدقاء في السهرات العائلية .

وكان من أبرز خصائص المجتمع الحلبي حبّه الوافر لفصل « إسقِ العِطاش » (١) وشغفه بالموشحات والقدود (٢) التي صاغها آباؤنا وأجدادنا في حلقاتِ سمرهم ، ومجالس أُنسهم ، وسهرات أفراحهم ، وأعياد أوليائهم وأحبـــائهم .

وكانت بيوتات العزّ والجاه عندنا ، تهتمّ بشؤون الطرب ، وتشيّد في قاعاتها ورحبات دورها ، أمكنـــةً مرتفعة خاصة ، تجلس فيها فرق المطربين ، وتنبسط أمامها فسحات تستوعب الراقصات والراقصين . وكان الرقص الحلبي ذا طابع عربي شرقي لا خلاعةَ فيه ولا مجون . وكان أشهر أنواع الرقص عندنا ، رقصة « السـماح » وتشتمل على ضروبٍ كثـيرة مختلفة من الخطوات الفنيّة والموشحات الغنائية الخلابة .

وبالرغم من هذا العصر المادي الذي نعيش فيه ، فقد بقيَ الحلبيون القدامى على شغفهم العظيم بـ « إسقِ العِطاش ورقص السماح والقـــدود

---

(١) قائل فصل « إسق العطاش » هو الشيخ عبد الغني النابلسي ، وملحنه هو الشيخ محمد الصيداوي . وقد وضع لهذا الفصل طريقة سير ايقاعه بالأرجل الشيخ محمد المنبجي عام ١١٩٢ هـ ١٧٧٨ م .

(٢) القدود مفردها (القد) بكسر القاف ، ومعناه الفرقة من الناس هوى كل واحدٍ على حدته. ج قدد وأقدّة . ومنه « وكنا طرائق قدداً » أي فرقاً مختلفة الأهواء . ويقول بعضهم (قد) بفتح القاف ، ويصبح المعنى عندئذٍ المماثلة كقولك : « هذا على قد ذاك » أي على مقداره .

الحلبية ، وفيها من نشوة الماضي مايحملهم الى عوالم روحية كلها صفوٌ وانشراح .

إنَّ فصل « إسق العطاش » قد اتسم بطابع الشهباء ، لأنه نشأ فيها ، وانتشر في أرجائها إثرَ جَدْبٍ أصاب المدينة ، فراح رجال الدين يستنجدون بالله ، ويبتهلون اليه أن يغيثهم ، وأن يمطرهم ماءً ليرووا به عطشهم ويسقوا أرضهم الظمأى .

وقد عرفنا عيالاً كريمة كعائلة نصرة وقسطون وقلاّوص وسمان وكبابة ، تتقن هذا الفصل وتتبارى في ميدانـــــه وفي ميدان السماح ، فتجيدهما وتبدع فيهما وتؤديهما أحسن أداء في أعراس الأهل وأفراحهم ، وفي السهرات العائلية التي كانت تُقام في الأعياد والمناسبات السعيدة . وقد أتيح لنا أن نسمع « إسق العِطاش » بكامله ، وأن نشهد حلقات السماح بروعتها ، وسنظل نذكرهما بمنتهى الاعجاب ، لأن الأول يتضمَّن مقطوعات شعرية بديعة ، وأنغاماً رقيقة شجية ، ولأن في الثاني فناً أصيلاً من تراثنا العربي الحلبي البعيد كلَّ البعد عما نراه في الرقص الافرنجي الجديد من عبثٍ ومجون وخلاعة تكاد تكون فجوراً سافراً .

ولم تكن حفلاتنـــا في النصف الاول من هـذا القـــرن ، تقتصر على هذا الفصل المحبَّب المفضَّل ، ولا على السماح والقـــدود ، ولكنَّ المطربين كانوا يجودون بالادوار القديمة وبالغناء الشعبي . وقبيل الفجر كانت تُختم الحفلة بالجلوة الحلبية ، وهي ألوان من الموشحات الخفيفة، والمقطوعات العذبة الاخّاذة .

ومما يدعو إلى أشد الاسف ، أن أبناء الجيل الجديد ، لم يعودوا يستسيغون روعةَ أنغامنا القديمة ، بعد أن اعتادوا سماعَ ضجيج الايقاعات الصاخبة ، ودويَّ الجيتار الكهربائي ، وقرع الطبول ، وضرب الصنوج التي تمزّق الآذان وترهق الاعصاب .

إسقِ العطــاش

كانت حلب ، منذ زمنٍ بعيد ، موطن الأدب ، ومباءة الطرب . وكان قصر سيف الدولة الحمداني ، منتدى كبار الكتاب الشعراء ، وملتقى نوابغ المطربين والموسيقيين .

في ذلك القصر الكبير الفخم ، كانت تُقام أروع الحفلات الأدبية والموسيقية ، وكانت تدور حلقات الرقص العربي الرزين ، في قاعات واسعة رحبة ، انتشرت فيها أعمدة طويلة ، انعقدت فوقها حنايا وقناطر وقباب ، تستأثر بالأبصار ، وتأخذ بمجامع الأفئدة .

ومنذ عهد سيف الدولة ، الى القرن العشرين ، والأدب في حلب ، يماشي موسيقانا القومية ، في أكثر مراحل التطور والتقهقر . وليس هذا بالامر الغريب ، فقد أجمعت كلمة المؤرخين والباحثين ، على ان الانبعاث الفني ، يرافق الانبعاث الادبي ويسايره ، فينمو بنموه ، ويضعف ويتقلص ، بضعفه وتقلصه .

وفي القرن السابع عشر ، عندما نامت اللغة العربية ، على عتبة الخمول والانحطاط في سائر بلاد العرب ، استيقظت في الشهباء ، نخبة من حملة الاقلام ، شرعت تدافع عن كيان لغة الضاد ، دفاعاً مجيداً ، خلق في هذه الربوع ، روحاً أدبية وثابة ، ما لبثت ان امتدت الى قمم لبنان وسفوحه ووديانه ، فأوجدت فيه تلك الجمهرة الحرة النابغة ، التي أنشأت

في وادي النيل ، ولا سيما في عاصمته القاهرة ، دولةً صحفية ، كان لها الفضل الاول والاكبر ، في رقيّ الآداب العربية ، وانعاش الفنون الجميلة ، في مثوى الفراعنة ، ومدينة الماديات .

وحلب ، كما لا يستطيع أحد أن ينكر ، مدينة كبيرة ، أنجبت رهطاً من الادباء ، تعتزّ بهم العروبة ، واطلعت لفيفاً من الموسيقيين ، يفاخر بنبوغهم الفن العاطفي الصادق ، والايقاع الدقيق الموزون .

وكلْ من ألمّ بتاريخ اللحن والوتر ، يجاهر بأن الشهباء ، كانت في طليعة المدن العربية ، التي أولت الموسيقى عنايتها القصوى ، والتي ارسلت الى عالم الفن ، جماعة من العازفين والملحنين ، انطبعت أسماؤهم في سجلات الخلود .

وكان اصحابُ الذوق والجاه ، يطربون كثيراً للمواويل والقدود والموشحات الغنائية الحافلة بالغزل البريء ، والمعاني الشريفة الخلّابة .

ولقد كانت هذه الموشحات ، تنقسم الى قسمين ، الاول فصيح موزون مقفى ، والثاني عاميّ لا يمتْ الى الفصاحة ، ولا الى الوزن والقافية ، بصلة متينة ، ولكنه لا يخلو من التشابيه المستحسنة ، والصور العاطفية المستحبة . وكان الشعب الحلبي ، يُقبل على سماع هذه الموشحات الفصيحة والعامية ، بكثير من الشوق واللذة ، وكان فصل « إسق العطاش » في طليعة الفصول المطربة ، التي احلها الحلبيون ، مقاماً عالياً ، في عالم الفن والموسيقى .

و « إسقِ العطاش » ، مجموعة بديعة نادرة ، من الاناشيد والقصائد والموشحات والتحميلات والادوار المتنوّعة الاوزان والقوافي ، والمتعددة النغمات والاصول والتقاسيم .

فانت لا تـكاد تسمع لحن الصبا ، حتى يُسكرك النغم الرهاوي الرفيق ، ثم يتلاعب باحساساتك نغم الحجاز الوداع ، ولحن السيكاه الجذاب ، فتنتقل من سكرة فكرية ، الى سكرة روحية ، ومن نشوة حلوة ، الى نشوة احلى .

وقد اختلفت الآراء ، في اصل تسمية هذا الفصل بـ « إسق العطاش » ، حتى ان اشهر الموسيقيين الحلبيين المعاصرين ، كالشيخ علي الدرويش ، والاساتذة سامي الشوا وتوفيق الصباغ واحمد الاوبري ، لم يقعوا على السبب المقنع ، ولم يوفّقوا الى حادثة تاريخية ، تلقي ضوءاً على حلكة هذا الامر .

وعندما تصدّى صديقنا الموسيقار النابغ ، احمد الاوبري ، الى كتابة لمحته الفنية التاريخية ، التي صدّر بها ، ما طبع من فصل « إسق العطاش » ، قال في جملة ما قاله : « ليس بين ايدينا من الوثائق والمراجع ، ما يوضح لنا الغاية التي من اجلها سُمّي هذا الفصل باسق العطاش . فالكتب المبعثرة هنا وهناك ، والمخطوطات الحلبية في المكاتب ، حتى القديمة منها ، لاتذكر شيئاً عن هذا الفصل » .

« والاقوال فيه مختلفة ، فمن قائل ان قحطاً اصاب مصر ذات سنة ، فقلّت فيها مياه النيل ، وجاع الناس وتضرعوا الى الله ، ان يسقي عطاشهم بقولهم : ياذا العطا ، ياذا الوفا ، ياذا الرضا ، ياذا السخاء إسق العطاش تكرّما » .

« ومن مدعٍ بان الحادثة انما وقعت في حلب . ودليله العادة المتبعة في هذا البلد ، حيث يجتمع رؤساء الاديان المختلفة عند حدوث القحط الى استمطار غيث الرحمة ، من لدن القويّ العزيز ، فيذهب الاذى عن الناس » .

« ومن ظان بأن « إسق العطاش » ، رمز تصوفي الى قول غزلي وُجّه الى الذات العلية مجازاً ، وانه بمثابة دور يتلى في الاذكار والمقامات الدينية » .

ثم يقارن الاستاذ الاوبري ، بين هذه الاقوال والآراء ، حتى يتخلص الى ما يفيد ، ان منظومة إسق العطاش ، وما يتخللها من الحان وادوار وتواشيح وتهاليل وتجاويد ، تشــير الى انها حجازية الاصل ، سورية المنبت ، حلبية اللهجة والاسلوب والطور ، فضلاً عن انها تمتاز بطابعها الحلبي الخاص .

ونحبّ الآن ، ان نستعرض بعضاً من مقاطع فصلنا القومي الشهير ، ليقف القراء الافاضل ، على ما تتضمنه من المعاني الشعرية اللطيفة ، والمباني الفنية الطريفة .

فقد كان المغني ، يفتتح الفصل المذكور ، بالانشاد التمهيدي التالي وهو من البحر الكامل :

مولايَ اجفاني جفاهنَّ الكرى	والشـوقُ لاعجهُ بقلبي خيّما
مولايَ لي عملٌ ولكنْ موجبٌ	لعقوبتي فاحننْ عليَّ تكرّما
مولايَ قد طالتْ مسافاتُ النوى	فانظرْ بعينِ اللطفِ صباً مغرما
واجلُ(١) صدى قلبي بصفوِ محبّةٍ	ياصاحبَ الورْدِ الذي احيا الحمى
يا ربّ إني قد مددت يد الرجا	يا خير من أعطى الجزاء وأنعما
يا ذا العطا ، ياذا الوفا ، يا ذا الرضى	يا ذا السخا ، اسق العطاش تكرما

وانك لترى ، ان هذا الانشاد ، الفصيح ، المقفى ، الموزون ، يحوي اطيب الفاظ التضرّع والاستعطاف ، التي اعتاد الحلبيون الاقدمون ان يستهلّوا بها معظم حفلاتهم الخاصة والعامة .

---

(١) اشبعت اللام في اجلُ ، فانكسر صدر البيت الرابع .

ويتلو ذلك الانشاد التمهيدي ، مقطع منظوم ، فيه الوان زاهية من الرجاء والابتهال ، فاسمع المنشدين يهتفون باصوات رخيمة ، ترافقها رنات الاوتار ، ونقرات الدفوف والمزاهر :

اسقِ العطاشَ تكرُّما   فالعقلُ طاشَ من الظما
يا صاحبَ الوِرْدِ الذي احيا الحمى
امــلا لي الــكاســاتْ   يا ساقيَ الاجــوادْ
وانعش مَنْ قــد مــاتْ   ظمــآنَ الأكبــادْ
مضناكَ المأسورْ   العاني المهجورْ   العبدُ المكسورْ
كئيب الفؤادِ فتى   غريبٌ اليك أتى   يروم الوفا فمتى
تنظر بعينِ اللطفِ صبًّا مغرما
في بابِ الحانْ   قدْ نزلَ الضيفانْ   املا لي الأدنانْ   ياأملَ الخلاّنْ
ضيوفٌ اتوا فقرا   مساكين هم عشرَهْ   يرومون منك قرى   ياسيّدَ الامرا
فارْوِهم منْ كاسِكَ العذب الظمى (١)

وبعد نغمات ومخمّسات وتحميلات ، تنطوي على أروع المقاطع العامية أو الشبيهة بالعامية ، تستمع الى هذه المقطوعة الفصيحة البديعة :

اخا الانسِ عجْ بي لخودِ رداحْ   الى ذاتِ عجبي جلتْ كأسَ راحْ

---

(١) نقلنا هذه المقطوعة حرفياً من كتاب « مجموعة الفنون » ، وهو مخطوط يعود تاريخه الى اكثر من مئة سنة . كتبه بخطٍّ نسخي جيل ، وبالحبرين الأسود والأحمر ، فتح‌الله ميخائيل الصقال المتوفى سنة ١٨٩٨ ، جد المحامي المحسان الكبير المغفور له فتح‌الله الصقال الذي أهدى الينا ذلك المخطوط الثمين ، وكتب عليه كلمة الاهداء ووقعها بامضائه . (أنظر ما كتبناه عن المخطوط وصاحبه في مجلة الكلمة عام ١٩٤٢ ص ٢٦١ ـ ٢٦٦) .

رأتْ ظَبْيَ سِرْبي يومُ المراحْ فناديتُ حِبّي اقمْ للصباحْ
اينَ تغدو ، اين تشدو اينَ تمدو اينْ
انتَ بدري ، انت فجري انتَ نورُ العينْ

★ ★ ★

تجلّتْ علينا فطابَ السماعْ ومنّتْ علينا بكشفِ القناعْ
ولما اهتدينا بنور الشعاعْ تدانتْ الينا ترومُ الوداعْ
يا سميري ، كنْ عذيري حانَ مني الحينْ
ما احتيالي ، ما احتمالي هدَّ صبري البينْ

وهنا ، ينتقل المرء ، إلى مقطع آخر ، هو اشهر مقاطع ذلك الفصل ، واكثرها رقة وشاعرية ، حتى أنه ليدور على السنة معظم الحلبيين ، في حفلات لهوهم وانشراحهم ، كأنما هو نشيد وطني ، أو أغنية شعبية قومية ، لها تاريخها المجيد ، وذكراها الطيبة :

ملكتمْ فؤادي بشرعِ الهوى وعليكمْ رقيبْ
فلا تقتلوني كذا عامداً لأني غريبْ
وإنْ كانَ لا بدَّ من قتلتي فأمرٌ (١) عجيب

★ ★ ★

ومن عجبي انَّ الصوارم والقنا تحيضُ بأيدي القومِ وهي ذكورْ
وأعجبُ منها انها في اكفهم تؤججُ ناراً والاكفُّ بحور
واعجبُ من هذينِ انكَ قادرٌ على حسنِ انصافي وانتَ تجور
واعجب من هذا وهذا وذا وذا غزالٌ يصيدُ الاسدَ وهو نفور
واعجبُ من هذي العجائب كلها مزاري قريب والبعيد تزور

ثم تماوج ابيات رصينة الديباجة ، عذبة المبنى ، كلها فتون ولطف

(١) ويقال : ذا أمرٌ عجيب . ولعلَّ ما ذكرناه هو الأصح .

وصفاء وتفنن في الصناعة الشعرية ، تخلع عليها اللحون المبهجة ، ثوباً قشيباً فضفاضاً من الروعة والابداع . واليك شيئاً من هذه الابيات ، العريقة في الفصاحة وحسن السبك وروعة الغزل :

هيّمتني تيّمتني عن سواها اشغلتني
اختُ شمس ، ذاتُ انسٍ دونَ كأسٍ ، اسكرتني
لستُ اسلوها ولو في نارِ هجرانٍ كوتني

وتظل تستمرض امثال هذه المعاني الصحيحة الحية ، في جوٍّ حبيب ، عقد عليه الطرب الشرقيّ الصميم ، ظله الظليل ، حتى تنتهي الى هذا الدور ، المفعم بالصياغة الصوفية :

هيفاء ما مثلها ، في عالمِ الانسِ لما زها حسنها ، اخفى سنا الشمسِ
قم واغتنم وصلها ، في حضرةالقدسِ واستجلِ من كأسها ، آياتِ بارينا
اصبحتُ من لوعتي قيس الهوى‌الثاني والدمعُ من مقلتي ، يجري كغدرانِ
ناديتُ يا منيتي ، رقي لاشجاني وعاملي بالتي ، فالاثم يكفينا

وانت لا تكاد تصحو من سكرة النغمة الحجازية السائغة ، التي ترافق الدور السابق ، حتى تدور عليك كأس خمرةٍ فنية ، تهزّ اعطافك هزاً رشيقاً ليناً ، وتهيمن على مشاعرك ، هيمنة فيها كنه الطرب ، وخلاصة الصبابة :

ما ضرَّ يا سؤلي لو جدتَ بالوصلِ
خلِّ الجفا خلِّ فالصبرُ اضنانا
هندية‌ُ اللحظِ دريّة اللفظ
منها غدا حظي صداً وهجرانا

سبحانَ من أبدى ... من ثغرِها الشهدا
والخدُّ لي اهـــدى ... ورداً وريحـــانـــا

وكم يفيض بك العجب ، وتتلاعب بين جوانحك نسائم الزهو ، وانت تسمع ابيات المقطع التالي ، تتمشى على لحن السيكاه :

بدا يختـــال ميّاسا ... غزالٌ يملأُ الكاسا
وقد أثنى لنـــا جيداً ... حكى بالحسن الماسا
بدا من ثغرِهِ يُهدي ... طلاً احلى من الشهدِ
وفي الصدغينِ والخدِّ ... حوى النسرين والآسا

ويظلُّ لحن السيكاه متماوجاً على الاوتار ، متغلغلاً في المسامع والنفوس حتى ينتقلَ بك الى الابيات التالية :

خيزرانُ القدِّ امْ اغصانُ بانْ ... اطلعتْ بدراً بليلِ الشَّعرِ بانْ
فيه قلّتْ حيلتي والصبرُ بان ... وكساني البعدُ اثوابَ الضنـا
غنِّ لي يا ايُها الشادي الرخيم ... باسمِ مَن اهوى على الراحِ القديم
واسقني الصهباءَ صِرْفاً يا نديم ... مع حبيبٍ ليس لي عنهُ غنى

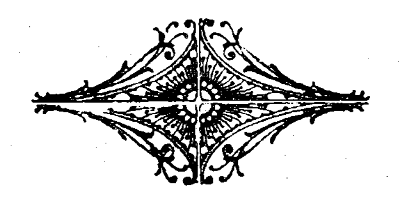
ولا تقف بك روعة المعاني ، عند هذا الحدّ ، بل تتعداه الى آفاق شاسعة ، يتعانق فيها البهاء والهناء ، وتطل منها مهابة الفن الشرقي الكامل . وانك لتؤمن بهذه الحقيقـــة الصارخة ، عندما تردّد اوتارُ العازفين ، وحناجر المطربين ، هذا القصيد الفريد :

يا بدراً يحلو ناسوتُهْ ... في خـدٍّ يزهـو ياقوتُه
بـدرٌ للشمسِ كسا نورا ... وسبا بمحيّـــاهُ الحورا
والساحرُ اضحى مسحوراً ... من لحظٍ يُنفثُ هاروتُهْ

اقسمتُ برمّانِ النهدِ وبعطر شـــذا وردِ الخدّ
لولا تعليلُ رجا الوعدِ ما لذّ لمشـــتاقٍ قوتـــه

ولعل المقاطع والموشحات والادوار العامية ، التي تضاف الى ماذكرناه من الاشعار الفصحى ، المنتشرة في « فصل إسق العطاش » ، نقول إن هذه المنظومات العامية ، لا تقـــل في جودة معناها ، عن المنظومات الفصيحة الموزونة . وفي دور « جاني حبيبي ابو الحلقة » و « مذ بدا زاهي الخدين » وفي غيرهما ، سلسلة من الآيات الشعرية الصادقة ، تحليها النغمات الشجية الوداعة ، والتواقيع المرهفة الساحرة .

وانه لجدير بكل حلبي صميم ، ان يفـاخر بهذا الفصل البديع ، وبما يحويه من معانٍ مشرقة ، والحان مبتكرة ، تستهوي النفوس ، وتفتن الالباب ، وان يساعد نخبة الموسيقيين والمطربين ، وخصوصاً الحلبيين منهم ، على نشره وتعميمه في هذه الربوع العزيزة ، المتمسكة بكل ثمين رصين ، من آثارها التاريخية ، ومخلفاتها الادبية والفنية .



رقص السماح

ليس في الوطن العربيّ كلّه ، منْ لم يسمع برقص السماح المتّسم بالحشمة والرّزانة وروعة الفنّ العربيّ الأصيل . فمن أينَ جاءَت هذه الكلمة « السماح » ؟ ومن اخترع هذا الرقص القائم على ضروبٍ كثيرة مختلفة من الخطوات الفنية ترافقها موشحات غنائيـة تنطوي على معانٍ شريفة مشرقة ، وعلى ألفاظ في غاية الرقة والجزالة والابداع ؟ .

لقد اختلفَ المؤرخونَ والباحثون والموسيقيـون في أصل السماح وتسميته ، فمنهم منْ قال : إنه سُمّي بالسماح ، لأنه الرقص الذي سُمح به لبعده عن الخلاعة والمجون . وقال غيره : إنـه مشتقّ من السماع - أي الموسيقى والغناء - وقال المعلم بطرس البستاني في قاموسه « محيط المحيط » : « ورقص السماح رقصة للمشايـخ يستعملونها في العبادات »[1] .

وقال سواه : إنه رقصٌ اندلسي . ولكنّ المصادر الانـدلسية لم تأتِ على ذكره . ولهـذا نؤكـد ان اسمهُ مشتقّ من السماح - أي الأذن بالقيام به - .

أما مبتكر رقص السماح ، فهو الشيـخ عقيل المنبجي المتوفى عام ٥٥٠ هـ . والمـدفون في منبج القريبة من حلب . ومن اشهر راقصي السماح عرفنا في الشهباء : عبدُه بن عبـده وعمـر البطاش ومحمد طيفور وعبد الوهاب سيفي وبكري الكردي - وكان موسيقياً ومطرباً ذا صوت

---

(١) قاموس « محيط المحيط » ج ١ ص ٩٩٢ (طبعة ١٨٦٧) .

رخيم - ومحمد جنيد والياس فنون وحسن بصّال .

ورقص السماح رقص إيقاعي تُستعمل فيه « النقارات » والناي ، وأحياناً بعض آلات الطرب المعروفة كالعود والقانون والكمان والطبلة ، وتصاحبه الموشحات والقدود ، وتؤدّيه مجموعةٌ من الرجال ، أو من الرجال والنساء معاً . ومن أكرم الأسر الحلبية التي كانت تعنى برقص السماح وتجيدُه وتقوم به في سهراتها العائلية الخاصة ، كان آل نصرة وآل سمان وآل قسطون . وفي الثلاثينات والاربعينات اشتركنا مع رهط من سيدات ورجال آل نصرة ، في بعض رقصات من السماح ، كنا درسنا اصولها على يد الاستاذ محمد طيفور ، وكان الصديق الطيب الذكر المرحوم نيقولا قلاوص ، يضبط الايقاع على نقاراته بمنتهى الدقة والبراعة والاتقان .

لقد أحببنا هذا الرقص منذ صغرنا ، وشاقنا أن نتعلم اصوله وموشحاته ، فلجأنا إلى الاستاذ محمد طيفور . ونذكر جيداً أنّ استاذنا طيفور رحمه الله ، علّمنا أربعةَ عشر أصولاً في النصف الأول من الثلاثينات (١) وكان يبدأ الاصول الاول بموشح :

إنّ الهوى قضى شرْعهُ ذلّةُ الاسودْ

ثمَّ كان يُتبِعُهُ بموشح بديع للشيخ صالح الجذبة من نغمة البياتي نوى وزنه (جفته) وهو :

جرّدَ العضْبَ المرهَفْ من مقلتيهْ
ظبيٌ فتّانٌ أهيَفْ روحي بيديهْ
منْ لمى ذاكَ العذْبِ صبى لي
يا ما يقاسي قلبي وجداً عليهْ

---

(١) كنا أربعة وهم : عبد الكريم كبريل وشقيقتاه السيدتان : ايفون وليندا وأنا .

السوالف كالمقرب   صدغٌ يلعب
يسطو على من ينهب   ورد خديه

وقد اشتهر هذا الموشح بين راقصي السماح ، بروعة لحنه وجمال معناه . وكثيراً ما كان الاستاذ محمد طيفور يؤكّدُ لنا ، أنَّ صالح الجذبة المولود في حلب(١) ، هو الذي دربَّ فرقة أبي خليل القباني بدمشق على اصول رقص السماح وعلمها عدداً من الموشحات المتعلقة بهذا الفصل . والمعروف أنَّ لكل رقصةٍ موشحاً خاصاً بها . فللاصول أو (الرقصة) الهادئة موشح خفيف رزين ، وللرقصة السريعة موشح تتسارع فيه الأصوات ، وتتلاحق فيه الكلمات ، وتعلو النقرات وتشتدُّ قوةً . وكان لضابط الايقاع أثره الفعّال في إدارة حلقة الرقص . وكان يُنشد فيه العديد من الموشحات منها :

يا صاحِ الصبرُ وهي مني   وحبيبُ الروح نأى عنّي

ثمَّ تسرَّبت الى (السماح) طائفةٌ من الموشحات الجديدة ، التي لم تكن فيها من قبل . وحاول بعضهم أن يضيف اليه أنواعاً من الرقص كالدبكة السورية واللبنانية . والذي نراه ان في هذا إساءة الى ذلك الرقص الأصيل الجميل الذي نعتز به ، لأنه تراث في خلّفه لنا السلف الصالح .

وكان راقصو السماح « يرتدون الألبسة الحلبية الشعبية (القنباز) الحلبي ، مع الصرماية الحلبية الحمراء » « وكان عمر البطش يرقص مع زملائه وتلاميذهِ بالبدلة المحكمجية ، أي الجاكيت الرمادي الطويل على

---

(١) ولد بحي البياضة في حلب سنة ١٢٦٧ هـ ـ ١٨٥٨ م . وتوفي سنة ١٣٤١ هـ ـ ١٩٢٢ م .



صورة تاريخية نادرة تمثل الحياة الفنية بحلب في أوائل القرن العشرين

الفرقة الموسيقية من اليمين : عازف الناي عبد اللطيف النبكي وبجانبه رحمو بشير العواد المشهور ثم يعقوب غزالة العازف بالقانون وبجانبه ولده سليم غزالة ، ثم الاستاذ سامي الشوا ، وبجانبه ضابط الايقاع مراد فرماية . وقد وقف وراءهم الموسيقار الحلبي المشهور الشيخ علي الدرويش . أما الراقصون فهم من اليمين : عمر البطش وصبحي الحريري وأحمد جنيد وشقيقه محمد جنيد والخامس « مجهول » .

صدرية مقفولة على بنطال عادي يُشبه السروال من لون الجاكيت (١) ، وكان غيرهم يلبسون غيرَ ذلك كما شاهدنا في عدد من رقصات السماح .

وعندما أنست حلب بزيارة شاعر الاقطار العربية خليل مطران وثابت ثابت وزوجته السيدة أليس زلزل ، أقامت لهم جمعيةُ الكلمة في مساء ١٩٣٨/٩/٢٦ في قاعة النادي الكاثوليكي ، حفلَ تكريم رائع تخلله رقص السماح . وقد قام به يومئذٍ اثنا عشر رجلاً هم الوحيدون الذين كانوا يجيدونه في الشرق العربي كله ، نذكر منهم : عبده بن عبده وعمر البطش ومحمد طيفور والياس فنون . وكان يضبط ألحان موشحات السماح ، نابغة الموسيقى العربية الشيخ علي الدرويش ، يعاونه الاساتذة : أحمد الابري وانطوان ظابيطا ونملبندیان وغيرهم من مشاهير الموسيقيين .

وكان سرور خليل مطران عظيماً جداً بتلك اللوحات الفنية التي عرضها راقصو السماح ، وبهاتيك الموشحات التي رغم ما في بعضها من اضطرابٍ عروضي ، لا تخلو من معانٍ في غاية الرقة والجمال والاشراق .

يقول أدهم الجندي في كتابه « أعلام الأدب والفن » إن السماح رقصة دينية « كان شيوخ الفرس يستعملونها في العبادات . ولا يزال بعض شيوخ الطرق يستعملونها في أذكارهم بشكل محدود الى الآن (٢) » .

ويقول مجدي العقيلي إنَّ رقص السماح متفرِّع من فاصل (إسق العطاش) . وفي هذين القولين بعد عن الواقع ، ومغايرة للحقيقة . فالسماح رقص سوري حلبي ، وضع أصوله كما قلنا الشيخ عقيل المنبجي ، وشُغِفَ

---

(١) معجم رقص السماح ــ عدنان بن ذريل ص٣٣ .

(٢) أعلام الأدب والفن ص٩٣ .

به الحلبيون ، وتناقلوه أباً عن جدّ ، ونقله صالح الجذبة ومن بعده عمر البطش الى دمشق ، وتعلم ابو خليل القباني أصوله من صالح المذكور ، ثم حمله الى مصر . ويذكر صديقنا المغفور له أدهم الجندي ، أن المطرب الكبير عبدُه الحمولي ، تعلّم رقص السماح أثناء عمله في حلب ، وقد أخذه عن أحمد عقيل أستاذ القباني وصديقه .

وكان صديقنا المجاهد السوري الكبير فخري البارودي ، اكثر الناس إعجاباً برقص السماح . وقد شاهدَه في دار الوجيه حسن الجابري فاستخفّهُ الطرب ، وفاض في نفسه الانشراح . وذكر البارودي أنه قد اشترك في الحلقة عشرون راقصاً ، أصغرهم سناً في الثانية والستين من عمره وهو عمر البطش ، وأكبرهم في الثالثة والتسعين ، وهو عبدُه بن عبده . وأذكر من أسماء الراقصين ـ يقول الاستاذ فخري ـ : الياس فنون وعلي الدرويش ومحمد طيفور وغيرهم (١) .

ويُعتبَرُ عمر البطش ملحن الموشحات الشهير في مقدّمة من خدموا السماح على الصعيدين : الرسمي والشعبي . وهناك كثير من كبار الفنانين ، يذكرون ما بذله البطش في سبيل نشر هذه الرقصة من جهود مبرورة خلدت اسمه في سجل الفن الغنائي العربي .

ولعمر البطش تلاميذ في رقص السماح وهم : مصطفى الصابوني وأحمد الصابوني ومصطفى البابا وأديب حبال وحسن بصّال وبهجة حسان . ثم انضم اليهم فاضل السراج وعبد القادر حجار واخوانه ومحمد نور عثمان .

من كل ما ذكرنا ، يتضح بجلاء أنّ (السماح) رقصة حلبية

---

(١) معجم رقص السماح لعدنان بن ذريل نقلاً عن (فجر الاندلس) جـ٤ ص٤ .

المنبت والطابع ، عرفها الحلبيون ومارسوها منذ أمد بعيد . ولا بدْعَ ، فقد كان أجدادنا وآباؤنا حتى منتصف هـذا القرن ، يهيمون بفاصل « إسق العطاش » . وكان يتبعه في أكثر الاحيان رقص السماح . فهو تابع له ، وليس مشتقاً منه ، كما يزعم بعضهم .

وما زال كبار السنّ منا ، يهيمون بالاصوات الجميلة ، والرقص العربي الرزين النائي عن الخلاعة والمجون . ولاشك ان الطرب في الحياة الاجتماعية بحلب ، يحتلّ المكان الاول في قلوبنا . وكل حلبي عريق ، يعود في سهراتنا العائلية المطربة ، على أجنحة الذكريات ، الى تلك الليالي الملاح ، التي كانت حافلة بالمباهج والمسرّات ، وبالاغاني الحلوة الخلاّبة .



من مشاهير الموسيقيين الحلبيين

في حلب مدينة الأدب والطرب ، وُلِدَ وترعرع وعزف ولحّنَ وأنشد ، أشهر مَنْ عرفهم التاريخ الموسيقي ، في النصف الثاني منَ القرن التاسع عشر ، وفي النصف الأوّلِ منَ القرن العشرين .

وإنّا لنذكر من أولئك العازفين والملحنين والمنشدين ، أبا قلاوص وباسيل حجار وسليم كبابه وكميل شمبير [١] والشيخ علي الدرويش وجميل عويس وزكي مراد والد الممثلةِ السينمائية الكبيرة ليلى مراد وفاضل قدحجي وعمر الفقش وعبدالله شاهين ومجدي العقيلي وعزيز غنام ومحمد النصار وجميل الجوخدار وغيرهم من قدامى المتفننين .

وهناك فئة من كبار المطربين والعازفين أشرنا اليهم ونوّهنا بفضلهم على فنّ الشدو والطرب . وكانت أسرةُ الشوّا أبعدَ الأسر العربية صيتاً في العزف والغناء . وكان عبود الشوّا ، رخيمَ الصوت ، رائعَ النغَم ، إنْ صاح : ياليل ، دغدغ المشاعر ، وخلبَ الالباب . أما أخوه انطون - والد سامي - فكان نابغاً في العزف على الكمان ، وكان يُدعى إلى عواصم البلاد العربية ، ليعزفَ في أعراس الملوك والامراء ، وفي ماكان يُقام في قصورهم من أفراح وحفلات . وها نحن نذكر نبذةً صغيرةً عن كل من :

---

(١) انظر ماكتبناه عن حياته وفنه في مجلة « الكلمة » العدد المزدوج ١١ و ١٢ لعام ١٩٣٤ ص ٥٠٣ - ٥١٢ .

أولاً - آل شوّا :

١ - **عبود بن الياس الشوّا :** ولد في حلب في النصف الثاني من القرن الماضي ، واشتهر بصوته الرخيم ، وعزفه البديع على العود . وكان يُدعى مع أخيه انطون ، إلى العزف والغناء في أفخم الحفلات وأجمل الاعراس . توفيَ عبود الشوّا في عام ١٨٩٢ وكتبت على ضريحه أبيات يذكر ابن عمنا عبدالله الياس حلاق منها هذين البيتين :

يا زائرينَ قفوا قليلاً وانظروا وتذكروا من حلَّ في هذا الضريحْ
إني استرحتُ الآنَ في دارِ البقا أنتمْ بدارٍ ما عليها مستريحْ

٢ - **انطون بن الياس الشوّا :** وُلد في حلب ، ونبَغَ بالعزف على الكمان حتى لُقِّب بـ « أمير الكمان » . ألَّف في عام ١٨٨٣ رسالةً في علم الالحان وتأليف الانغام وايقاعها ، تزوَّج لويزا شلحت . ولذيوع شهرته في عالم الفن ، دُعيَ إلى القاهرة ، وعزف في قصر الخديوي على كمانه عزفاً أثار إعجاب عاهل مصر ورجالات بلاطه ، فاتسعت شهرة انطون الشوّا في جميع أنحاء الوطن العربي ووجدَ له في عاصمةِ وادي النيل كثيراً من الاصدقاء والمريدين . ولهذا أحبَّ القاهرة وراح يمضّي فصلَ الشتاء فيها . وفي الصيف كان يعود إلى حلب ، ويعمل مع فرقته الموسيقية في قهوة الحرية بالجديدة ، وهي القهوة التي غدت فيما بعد مخفراً للشرطة . وكان حبيب بن جرجي زرقا زوج شقيقة انطون الشوّا ، يعمل معه ضارباً على الرقِّ . وفي النهار كان الزرقا يعمل على النول اليدوي صانع نسيج ، ثم عُيِّنَ حارساً في مطرانية الروم الكاثوليك التي غدت في عام ١٩١٤ كنيسة . أما الكنيسة الكبرى للروم الكاثوليك ، فقد

جعلها العثمانيون مستشفى خلال الحرب العالميـة الاولى ١٩١٤-١٩١٨[1]. توفي انطون بحلب سنة ١٩١٤ . وخلف أولاداً منهم ثلاثة موسيقيين وهم : سامي وعبدالكريم وفاضل . وقد ولدوا كلهم في حلب . وأمضينا معهم أوقاتاً طيبة . وفي دار المرحوم كامل هـلال بحارة « أبو عجوز » صورة تمثل الموسيقار انطون الشوّا وفرقته .

٣ ـ سامي بن انطون الشوّا [2] : ولد في شهر تموز سنة ١٨٨٥ ، في دار قريبة من جامع حي الهزازة بحلب ، ما زالت تُعرَف إلى اليوم بـ « حوش بيت الشوّا » وفي هذه الدار نفسها ، وفي الغرفة التي ولد فيها سامي ، أبصر صاحب الضاد نورَ الوجود . وكان بين آل الشوّا وبين عائلتنا ، أواصر ودّ وحب وثيقة العرى . فقد كان جدي لأبي واسمه عبدالله حلاق عرّاباً لانطون الشوا ولأخويه حبيب وعبود[3] . وشغف سامي منذ صغره بالموسيقى ومال إلى العزف على الكمان فأطاعته القوس وانقادت اليه الأوتار ، ولكنّه كان يطمح إلى الشهرة ، فصبا إلى القاهرة ، وتوجه اليها في عام ١٩٠٥ على أرجح الأقوال . وما هي إلا بضع سنوات ، حتى عمت شهرته جميع أنحاء القطر المصري ، وحتى أخـــذت شركات الاسطوانات تتسابق إلى تسجيل ما كان يبدعه من تقاسيم وبشارف وسماعيات . وفتحت أمامه أبواب القصور الملكية فانتزع اعجاب الملوك والامراء ، ليس في الوطن العربي وحده ، بل في مختلف أنحاء العالم . وحين كنت عضواً في مجلس الامة بالقاهرة ، بين سنتي ١٩٦٠ و ١٩٦١ كان سامي واسطة

---

(١) زودنا بهذه المعلومات القيمة ، ابن عمنا وعميد عائلتنا عبد الله الياس حلاق ، وهو من أوسع رجالنا علماً بتاريخ الموسيقى العربية .

(٢) انظر ما كتبناه عنه باسهاب في مجلة « الضاد » العدد المزدوج ٣ و ٤ لعام ١٩٦٦ ص ١١٩ ـ ١٢٤ .

(٣) العرّاب : عند النصارى ، كفيل المتزوج أو المتعمد ، ويسمى بالعامية « الاشبين ».

تعارف بين عدد من كبار الشعراء والمتفننين وبيني . توفي سامي الشوّا في عام ١٩٦٦ تاركاً ثروةً فنية خالدة ، أما ثروته المالية ، فقد تلاعبت بها أيدي الضياع .

٤ ـ عبد الكريم الشوّا : عرفناه في أول شبابه معرفةً وثيقةً ما لبثت أن أضحت صداقةً متينةً . وكان يعزف على القانون عزفاً بديعاً . وقد عزف عليه متطوّعاً في حفل مباركة خطبة مؤلف هذا الكتاب ، وكان ذلك في شهر حزيران ١٩٣٦ . وكان عبدالكريم رضيَ الخلُق ، حسنَ السمعة ، عرفنا أولاده يوم كنا في مصر ، ولمسنا منهم أزهى ألوان اللطف والظرف .

٥ ـ فاضل الشوّا : ولد في حلب في مطلع هذا القرن ، ولحق أخاه سامي إلى القاهرة حيث درس أصول العزف على الكمان فبرع فيها . وأحرز شهرة يغبط عليها . وعمل في أعظم الفرق الموسيقية هناك ، كما عمل في أكبر المحطات الاذاعية في العالم . وحين زرنا القاهرة في ربيع عام ١٩٧٤ ، انسنا مراراً عديدة بزيارة الموسيقار الفاضل ، وكان يتوق شوقاً إلى زيارةِ مسقط رأسه حلب . فدعوناه للنزول في بيتنا فقبل الدعوة وقال أمام الصديق السيد ادوار عارف مشحور : ان أمنيته الوحيدة في الحياة أن يكحل عينيه بمرأى حلب قبل أن يدركه الأجل . ولما سألناه لماذا ترك العزف على الكمان أشار إلى يديه وقال والدمعة تترقرق في مقلتيه : انهما ترتجفان . لفاضل الشوا ابنةٌ تدعى لويز وتُعرف باسم زيزي Zizi Chawa تعمل أمينة سرّ للأمين العام لهيئة الأمم المتحدة في نيويورك . وقد تعرّفنا بها في أثناء زيارتنا تلك المدينة . وتناولنا طعام الغداء معها ومع الصديقين جورج سبع ورزق الله اشخان فوجدناها آيةً في الرقة والذكاء وسمة العلم . فهي تجيد عدةَ لغات ، وتحسن الترجمةَ الفورية من

لغة إلى لغة ، وتحبُّ زيارة الشهباء وطن أبيها وأجدادها ، وقد وعدتنا بأن تقوم بهذه الزيارة فرحبنا بها وقلنا لها أن بيتها ينتظرها في الشهباء .

ثانياً - بعض من اشتهروا بجمال الصوت وبراعة العزف والتلحين:

٦ - **أحمد عقيل**(١) : ولد في حلب سنة ١٨١٣ ودخل الكتاب حيث تعلم تلاوةَ القرآن الكريم ومبادىء القراءة والكتابة والحساب . وكان أبوهُ حسنَ الصوت يتغنّى في بيته ببعض الاغاني ، فكان الطفل أحمد يطرب لغناء أبيه ويرافقه إلى الزوايا والتكايا ، ويستمع بملء أذنيه إلى ما يُنشَدُ فيها من قصائد دينية وموشحات صوفية . ولما بلغَ مرحلةَ الشباب ، بدأ يعمل منشداً في تلك الزوايا ويدرس الانغام . وكانت زوجة قنصل إيطاليا في حلب آنذاك من تلاميذهِ ، وقد قالت فيه : « إنَّ هذا الاستاذ المفنُّ قد يقلُّ نظيرُهُ في أوروبا » . والحقيقة أن أحمد عقيل قد احتلَّ مقاماً عالياً في عالم الانشاد ، وتتلمذ عليه كثيرٌ من مطربي ذلك العهد ، وقد عاش أحمد المذكور مائة سنة لأنه توفيَ عام ١٩١٣ .

٧ - **الشيخ علي الدرويش** : وُلدَ في حلب عام ١٨٨٤ (٢) ، وتلقّى دروسه الابتدائية في المدرسة الأشرفية ، ثم دخل المدرسة العثمانية لدراسة العلوم الدينية ، لأنَّ والدهُ كان منسوباً إلى الطريقة الصوفية في التكية المولوية . وكان لتلك التكايا الفضل الأول في إظهار التراث الموسيقي

---

(١) لخصنا النبذ التالية عن كتاب « السماع عند العرب » لصديقنا الاستاذ مجدي العقيـلي .

(٢) ذكر الاستاذ أدهم الجندي في كتابه « اعلام الأدب والفن » ج١ ص ٣٢٦ أن الشيخ علي ولد بحلب سنة ١٨٧٢ ونعتقد أن ما ذكرناه عن تاريخ مولده هو الأصح .

الشرقي . ولهذا انتسب إليها علي الدرويش ، ودرسَ علم تربية الأصوات على الناياتي عثمان بك الصغير ودرس على الناياتي شرف الدين بك ، قواعدَ النفخ في الناي وقواعد الملامات الموسيقية « النوطة » . أمّا الموشحات فقد تعلمها من الشيخ أحمد الشمّار . وفي عام ١٩١٢ سافر إلى استنبول وأكمل علومه الموسيقية في مدرسة دار الالحان وبرع فيها ، ثمّ ألّفَ كتاباً عنوانه « النظريات الحقيقية في علم القراءة الموسيقية » . وفي عام ١٩٢٢ عاد إلى حلب . وبعد ثلاث سنوات دعاه المعهد الموسيقي الملكي إلى القاهرة . وهناك دوّنَ كثيراً من الموشحات والأدوار المصرية القديمة ، وتعرّف بالمستشرق الانكليزي رودلف دي ارلنجر وسار معه إلى تونس حيث اختير للتدريس بمدرستي المطارين والرشيدية . وفي تونس عثر على بعض النوبات الأندلسية ودوّن قسماً منها . وفي أواخر ١٩٣٩ عاد إلى حلب . ثمَّ دُعيَ إلى بغداد لتدريس الموسيقى في معهد الفنون الجميلة ، كما درّس الموشحات وأنغامها وأوزانها لفرقة الاذاعة العراقية . وبعد ذلك رجع إلى حلب وعمل في إذاعتها . وفي مطلع عام ١٩٥٢ توفّاه الله ، بعد أن ألّفَ عدداً من الكتب الموسيقية القيّمة ، ودوّن كثيراً من الالحان قبل أن تندثر .

٨ ـ عمر البطش : وُلِدَ في حلب عام ١٨٨٥ . وكان والدهُ بناءً وكلاّساً . تعلّم عمر بعضَ الألحان من خالهِ بكري القصير ، وكان يصحبه إلى الحلقات الصوفية .

وسرعانَ ما أتقنَ عمرُ قواعدَ الموشحات وأنغامها وأصول سير السماح وبرع فيها كلها ، وفي عام ١٩٣٦ دعتهُ مدرسةُ دوحة الآداب في دمشق ، ليعلّم طالباتها أصولَ رقص السماح . وفي سنة ١٩٤٧ عندما أحدثت سورية داراً للاذاعة ، استقدمت عمر البطش ليدرّسَ في المعهد الموسيقي

التابع لها فنون السماح والموشحات العربية الاصيلة . وفي ١٩٤٩/١٢/١٤ تأسست إذاعة حلب فعاد إليها وأصبح مدرباً للفرقة الغنائية في إذاعتنا ، وبعد سنةٍ واحدة ، أي في ١٩٥٠/١٢/١١ توفيَ هذا الفنان الكبير الذي أخلص لتراثنا الموسيقي الرائع .

٩ - كميل شمبير : وُلِدَ في حيّ الشرعسوس بحلب ، في ٨ أيار سنة ١٨٩٢ ، وتجلّت موهبته الموسيقية منذ طفولته ، فكان إذا بكى لشيءٍ وسمع لحناً أو غناءً جميلاً كفَّ عن البكاء . وقد قويت فيه هذه الموهبة حين دخل مدرسة الفرنسيسكان وانتسبَ الى فرقتها الموسيقية . وأول ما اختاره من بين آلات الموسيقى البوق النحاسي « البيستون » . ثم سافر الى الارجنتين فساءت صحته فرجع الى حلب . ولما نشبت الحرب العالمية توجّهَ الى مصر واكبَّ على دراسة الفن الموسيقي ، فبرع في العزف على معظم آلات الطرب ، وخصوصاً في العزف على « البيانو » وتألق نجمه في سماء التلحين ، وأعجب به زعماء النهضة الموسيقية في مصر أمثال : الشيخ سيد الدرويش وكامل الخلعي ، وكثيراً ما قال له السيد درويش على مسمع من رفاقه : « أنتَ موسيقار من الطبقة الأولى ، وستكون أكبر ملحنٍ بعدي » . وصحت نبوءة ذلك الفنان الخالد ، فأبدع كميل شمبير أروع الالحان وأشجى النغمات ، وكان أوّلَ مَنْ ذلّلَ العزفَ « البيانو » الغربي وضبطَ أوزانه ، وأول من أخرج من « البيستون » أصواتاً لم تكن فيه كالربع مقام وغيره ، وأول من لحّن « اوبيريت » غنائية ، وله رواية « توسكا » وهي أول (اوبرا) عربية لحنها موسيقار عربي ، كما لحن مئات من القصائد والاناشيد والاغاني منها « شاهدتُ الشمسَ وقد بزغت » غنتها المطربة المبدعة فيروز الحلبية . توفي كميل يوم الجمعة ٩ تشرين الثاني ١٩٣٤ .

* * *

رأي بعض المشاهير في الطرب بحلب

لن نحاولَ هنا ، أنْ نذكر كلَّ أو معظمَ ما قاله كبار الموسيقيين والمفكرين ورجالات الأدب والفنّ ، عن الموسيقى والطرب في حلب ، لأنه يتطلب صفحات كثيرةً ليس موضعها في هذا الكتاب ، ولكن حسبنا أن ندوّنَ أحسنَ ما سمعناه من الثناء على الذوق الفني في الشهباء ، وعلى حبّ الحلبيين للعزف والغناء :



صورة تذكارية مع أم كلثوم في منزل سفير الباكستان بالقاهرة عام ١٩٦٠

قالت كوكب الشرق أمُّ كلثوم : « إنَّ أهلَ حلب ذوو آذان موسيقية سليمة تميّز النغمَ الصحيح عن النشاز . فهم فنيون بالفطرة يصغون اصغاءً تاماً للصوت الرخيم ، واللحن الجميل ، والأداء المتقَن . وقد أطلعت حلب نوابغ الموسيقيين من أمثال : كميل شمبير والشيخ علي الدرويش وسامي الشوّا . وقد رافقني سامي كثيراً بعزفه على كمانه المبدعة ، فكنتُ أظنّه أحياناً يردّد صوتي بواسطة قوسه وأوتاره ، فاعتزّ بمهارته ، وأشعر بموجةٍ من الخشوع تغمرني ، عندما كنتُ أسمعه يعزف الأذانَ الكريم : « اللهُ أكبر ، الله أكبر ، حيَّ على الفلاح » ، وإني لأذكر جيداً ، أنَّ كثيراً منَ الحلبيين ، كانوا يتكبّدون مشقّاتِ السفر ، ويأتون من الشهباء إلى هنا ، ليحضروا حفلاتي الشهرية . وكنتُ ألمح وأنا على المسرح ، أنَّ عيونهم وقلوبهم وأذهانهم معي ، وانهم أكثر الحاضرين تأثّراً بنشوة الصوت والموسيقى والايقاع » .

وقال المطرب الكبير صالح عبدالحي في حفلةٍ أحياها بحلب في أواخر العشرينات : « أنا اليوم في حلب مدينة الطرب . وعندما يكون رجلُ الفن في هذه المدينة العربية العريقة ، يجب أن يتهيّبَ الموقف ، لأنَّ أبناء الشهباء ذوو آذان موسيقية لا تخطىء ، وأذواقٍ سليمة تفرّق بالبداهة بين الدخيل « النشاز » وبينَ الاصيل الجميل » .

وقال شاعر الأقطار العربية خليل مطران : « زرتُ حلب مرتين ، وشاهدتُ فيها رجالاً يرقصون السماح وينشدون موشحاته ، وسمعتُ الموسيقى الحلبية ، فأثر كلُّ ذلك في نفسي تأثيراً جعلني أعتقد اعتقاداً راسخاً ، أن الحلبيين مطبوعون على الفن الموسيقي ، وملمّون إلماماً واسعاً باصول الأنغام . وقد عرفتُ هنا في القاهرة بعضاً من آل الشوّا ، كما عرفتُ كميل شمبير وغيره من المتفننين الحلبيين . وأشهد أنهم كانوا في أعلى ذُرى الفنّ ، وكانت شهرتهم تمتدُّ إلى أبعد الأقطار العربية ، وإلى العديد من

المواصم الاوروبية والاميركية . وقد قال امراء الشعر العربي في الوطن والمهجر بسامي الشوا وحده قصائدَ تملأ ديواناً كاملاً . ومن أولئك الشعراء أذكر : أحمد شوقي وإيليا ابا ماضي ونسيب عريضة ورشيد أيوب وعادل الغضبان وغيرهم » .

وقال أدم الجندي صاحب كتاب « أعلام الادب والفن » : « إسقِ العطاش من آثار فنون الشهباء مهبط الوحي والالهام في الموسيقى الشرقية العربية [1] » .

وقال ايليا ابو ماضي : « عاشرتُ عـــدداً من الحلبيينَ هنا في بروكلين ـ نيويورك ، فرأيتهُم ذوي فطرة موسيقية مدهشة . ولهذا قلت : حينما لقيت حلبياً ، فأنت إمَّا مع فنان ، وإمَّا مع روح تطرب للفن » .

وفي اعتقادنا أنَّ حلب ، بالنسبة لعدد سكانها في النصف الاول من القرن العشرين ، انجبت من عباقرة الموسيقيين والمطربين ، أكثر مما أنجبته أيَّة مدينة أخرى .

ومن أحسن الأسماء تألقاً اليوم في عالم الطرب : صباح فخري وشادي جميل والداية والشقيقتان ميَّادة وفاتن حناوي . وكان إلى وقتٍ قريب يصدح صوت مها الجابري وغيرها من ذوات الاصوات الحلوة .

وعندنا من كبار الموسيقيين الاخوان نديم وابراهيم الدرويش ابنا الشيخ علي الدرويش ، وهاشم فنصه مدير المعهد العربي للموسيقى ، وعبدالرحمن جبقجي المعروف بقدرته على التلحين البديع . وفي حلب ظهر أخيراً شاب يُدْعى عمر سرميني سمعناه في حفل تكريم المعمرين المبدعين ، فتوقعنا له ولمن رافقه من فتياتنا الناشئات مستقبلاً زاهراً . والذي نرجوه ، أن تبقى لحلب سمعتها الجميلة وشهرتها الواسعة في عوالم النغم والشدو والأدب .

---

(١) « اعلام الأدب والفن » ج ١ ص ٩٢ .

الحلبيون في المهجـر

كلُّ من يرجع بفكره إلى الثلث الأخير من القرن الماضي ، ويدرس بإنعام تاريخ الهجرة العربية إلى الاميركتين : الشمالية والجنوبية ، يتيقّن أنَّ أوائلَ المغتربين العرب ، كانوا جبابرةً حقاً ، لأنهم نزلوا بلاداً غريبةً نائية ، يجهلون لغات أهلها وعاداتهم وتقاليدهم . ولم يكن أحدٌ من أولئك النازحين ، يحمل أكثرَ من قوتِ يومه ، والضروري من كسائه ، وكان كلُّ رأس ماله ، رغبةً قويةً في العمل ، وعزيمةً شمّاء تستهون الصعاب ، وتذلل العثرات ، لتصلَ إلى ما تنشده من يُسْرٍ ونجاح . ومتى اجتمعت الرغبةُ الصادقة ، والهمّـة العالية على أمرٍ ، أدركتاهُ مهما كان صعباً بعيدَ المنالَ .

كان مغتربونا القُدامى ، وبينهم الكثيرُ الكثيرِ من أبناء حلب ، يهربون من ظلم العثمانيين ، إلى العالم الجديد ، وإلى بلاد العجم والهند ، حتى ضُرِبَ بهجرة الحلبيين المثل فقيل : « أمرجهم وصل الهند » .

وكانت الهجرة في ذلك الزمن مغامرةً حقيقيـــةً ، وكان يحشر المهاجرون في « عنابر » البواخر كما يحشر الاغنام ، والعديد منهم كانوا يموتون برداً وتعباً قبل أن يصلوا إلى حيث يقصدون ، ومن يسلم منهم كانوا ينزلون في الخانات القديمة ، أو يسكنون الاكواخ الحقيرة . وكان عـددٌ منهم يفترشون الارض ويلتحفون السماء ريثما يجدون مأوى يلتجئون اليه .

وكان أصعب ما يواجه مغتربينا ، أنهم كانوا ينزلون بين اقوامٍ لا يمتّون إليهم بأية صلةٍ من صلات التفاهم . وكثيراً ما كان يقذفهم الاميركيون بكلمات الاحتقار من أهونها كلمة (تركو) . ومع ذلك ، فقد كان اخواننا النازحون يصبرون ويجدون أنّ ما يقابلهم في ديار غربتهم أخفّ من خنق حرياتهم ، والضغط على أفكارهم ، ومكافحة عروبتهم في وطنهم الاول .

ولم يمضِ وقتٌ قصير ، حتى تعلّموا لغةَ كلّ قطرٍ قصدوه ، وبدأوا يتقدّمون الصفوف ، ويبارون سكان البلاد الاصليين في صناعاتهم ، وفي مختلف شؤون حياتهم .

والحلبيون مشهورون منذُ القِدَم ، بعلوِّ الهمة ، ووفرة المروءة ، وشدّةِ الاندفاع في سبيل العمل ، فهم - كما أجمع كثير من المؤرخين والباحثين والرحالة - شعب نشيط يطلبُ الرزق ولو كان في جبهة السبع ، ويأبى كلّ الاباء ، أنّ يقعدَ عن السعي ، أو يتوانى عن الجهاد ، أو يستسلم إلى ما يستسلم اليه الخاملون من يأسٍ وخيبةٍ وتخاذل .

وكلّ من عاشرَ الحلبيين أو طالعَ كتابَ نضالهم في ميدان الحياة ، يقرّ بهذهِ الحقيقة ، ويشهد بأنّ أبناء الشهباء مطبوعون على الجِدّ والإقدام ، وانهم يستهونون الصعاب ، ويستخفون بالشدائد ، في سبيل ما طبعوا عليه من حبّ العمل .

وللحلبيين فضلٌ بارز في عالم التجارة ، فقد كانوا قبل مئات السنين ، ورغمَ صعوبة المواصلات وبعد المسافات ، مرتبطين بأواصر التجارة الخارجية ، فكانت تجارتهم تمتدّ الى انكلترا وفرنسا وايطاليا ، والى الهند والصين واليابان وسواها . ولم تكن تلك الأقطار النائية لتخلو منَ

الحلبيين ، بل كان فريقٌ من أعضاء أسرنا يقيمون في تلك الجهات ، ليقوموا بمعاملات التبادل التجاري ، وليقدموا إلى اخوانهم والى عملائهم ووكلائهم في حلب ، كلَّ ما يطلبونه من منتوجات هاتيك الأمصار أو من مصنوعاتها .

والمعروف أنَّ الحلبيين المغتربين ، يسمون وراءَ الرزق ، وشمارهم : النزاهة في القصد ، والاخلاص في العمل ، والحرص على الكرامة الوطنية ، فكأنَّ اولئك الاخوان ، لم ينزحوا عن مسقط رؤوسهم ، إلاَّ بعد ان عاهدوه ، على أن يظلشوا أمناء له ، متمسكين بما زرعه في قلوبهم من بذور النجدة والولاء والوفاء .

ومما يدعو إلى الاعتزاز والمباهاة بهم ، أنهم كانوا فوق مستوى المسؤولية . فقد غادروا هذا الوطن ، وهم لا يحملون غيرَ الثقة بالنفس ، ولا يتكلون بعد الله تعالى ، إلاَّ على ذكائهم وقوة سواعدهم وشرف أهدافهم . وحين هبطوا تلك البلاد البعيدة ، وجدوا أنفسهم غرباء الايدي والوجوه والالسنة ، فلم يداخلهم القنوط ، ولا خارت منهم العزائم ، ولكنَّ الصغار منهم دخلوا مدارس البلدان التي نزلوها ، وكثيراً من الكبار كانوا يعملون في أثناء النهار ، ويقصدون بعد انصرافهم من عملهم المدارس الليلية . وبهذا تسنى للعديد من أبنائنا أن يقطفوا ثمار جهادهم ، وأن يتقدَّموا الصفوف ، فالمهاجرون الذين كانوا يبيعون السلعَ الصغيرة في الأحياء المهملة والأزقة الضيّقة ، أصبحوا في عداد أصحاب المتاجر الكبيرة الممتدة في أفخم الشوارع . والعمال الذين كانوا يكدحون في المناجم والمعامل وعلى الطرقات العامة ، غدا كثير منهم في جملة أصحاب المصانع الرحيبة الواسعة .

أما أولئك الذين افترشوا ، في أول أمرهم ، ترابَ الأرض ، والذين

لجأوا إلى الفنادق القذرة ، والذين حُشِروا في أماكن هي إلى مزاود البقر ومرابط الخيل أقرب منها إلى المنازل الصالحة للسكن ، فقد فتحَ الله عليهم ، وبدَّل عسرَهم يُسرا ، ونقلهم إلى دورٍ أنيقة ، وإلى قصور منيفة ، تشبه قصور الأمراء .

وحسبنا أن نشير إلى فئةٍ من مغتربينا الحلبيين ، تسنَّموا ذروةَ النفوذ الأدبي والمادي ، وأحرزوا أعلى درجات التوفيق والنجاح في عالمي الصناعة والتجارة ، وأصبح بعضهم من أشهر رجالات القضاء والسياسة وأساتذة أرقى الجامعات :

١ - **رزق الله جورج طحان** : وُلِدَ في ١٤ أيار سنة ١٨٦٧ بحي أقيول التحتاني في حارة بيت منَّاع بحلب ، وتوفيت والدته وردة ابنة يوسف الصائغ وله من العمر ثمانية أشهر ، فاحتضنته جدَّته لأمه . وكان والده جورج طحان يشتغل بصناعة سبك النحاس . ولما ترعرع رزق الله أخذ يتعلَّم هذه الصناعة . وبفضل ذكائه ونشاطه برع فيها ومال إلى تعلّم مبادىء القراءة والكتابة فدرسها على الشماس جرجي قصبجي . وبعد وفاة أبيه ، تزوج رزق الله في ١٤ آذار ١٨٩٥ زكية بنت ماردو النقاش . وبعد ستة أشهر ، قصد طرابلس الشام وأبحر منها إلى سان باولو البرازيل فكان أول حلبي يدخل أميركا الجنوبية . وفي عام ١٨٩٨ أسس أولَ وأكبر معمل للنحاس في تلك القارة كلها ، وشرع يجلب إليه أحدث الآلات الميكانيكية وأكثرها تطوراً في ذلك العهد . وحين بلغ بعمله قمةَ النجاح ، طفِقَ يشتري من أرباحه البنايات وقطعاً من الارض ما لبث أن غدت من أهم شوارع سان باولو . وكان رزق الله قد أحضر زوجته ورزقهما الله في البرازيل ثلاثةَ أنجال وهم : جورج ونجيب وسليم . يُعتبر رزق الله طحان في مقدمة المحسنين كرماً وجوداً ، فقد تبرع بملايين الدولارات في

سبيل الوطن والبرّ والرحمة ، فشيّد على نفقته في البرازيل وحلب ودمشق عدداً من المعابد والمشافي والمدارس والملاجىء ، وكان بحقٍّ انسانياً وعصامياً من الدرجة الاولى . وكانت زوجته وأنجاله مثله اريحيةً وحباً للخير والاحسان .

٢ - **شفيق خزام**[١] : يُعَدُّ شفيق خزّام ، باني صرح النهضة الصناعية في ليبيا كلها . وُلِدَ شفيق سنة ١٨٩٤ في حلب . وفي سنة ١٩١٤ نزح إلى أفريقيا الشمالية واستقرَّ في مدينة بنغازي وأنشأ فيها معامل للنسيج الآلي ، اعتبرَت في ذلك الحين ، أكبر وأشهر وأحدث معامل النسيج ، في ليبيا وتونس والجزائر ومراكش . وقبيل الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥ ، زار معامله ، كلٌّ من فيكتور عمانوئيل ملك ايطاليا يومئذٍ ، وموسوليني رئيس الحكومة الايطالية في ذلك العهد ، فكان اعجابهما عظيماً بعصامية وطنينا السيد خزام الذي بقيَ مخلصاً لعروبته ومحافظاً على عادات آبائه وأجداده ، ومتمسكاً هو وأنجاله بالجنسية السورية مع أنَّ أولئك الانجال ، لم يزوروا سورية ، ولا وُلدوا تحتَ سمائها . وإلى جانب شهرته الصناعية ، احرز السيد خزام شهرةً انسانية واسعة ، وله في مدينة بنغازي ، أعمال خيرية رائعة ، تشهد بأريحيته وتشير إلى ما فُطِرَ عليه من حميّةٍ ومروءةٍ وشمم .

٣ - **الدكتور باسيل دي وكيل** : حلبي أحبَّ العلمَ وأحرز بفضل ذكائه واجتهاده لقبَ « بروفسور » و « دكتور » وتسلم في جامعة فوردهام رئاسة فرع اللغات الحيّة كاللاتينية والفرنسية والاسبانية ، وأنشأ جريدة « فوردهام - فرانس » التي تصدرها تلك الجامعة باللغة الفرنسية

---

(١) انظر ما كتبناه عنه في مجلة « الكلمة » العدد المزدوج ٥ و ٦ سنة ١٩٥٤ ص ٢٠١ .

وتولى رئاسة تحريرها ، وألف عدة كتب بالفرنسية والاسبانية ، وعيّن في أثناء الحرب العالمية الثانية ، رئيساً لمجلس تدقيق شئون المجندين في نيويورك . وقد منحته الحكومة الفرنسية وسام جوقة الشرف ، وأهدت إليه جامعة فوردهام ، الوسام الذهبي لما قام به من خدمات جُلّى في حقول العلم والادب والانسانية الحقّة .

٤ ـ **نجيب الحلبي** : هو حلبيّ الاصل ، عُرف منذ حداثته ، بحدة الذكاء وشدة الاندفاع في مضامير العلم والعمل . وقد أحب الطيران وصار مهندساً طيّاراً . ولم يطل به الوقت حتى صار الرئيس الاعلى للطيران المدني الاميركي ، وكانت في الستينات تضم ثلاثة آلاف موظف . وكان الرئيس الاميركي الراحل جون كنيدي ، يفضّل أن يمتطي متن الطائرة التي يقودها نجيب الحلبي .

٥ ـ **ثابت ثابت**[1] : مثالٌ رائع من أمثلة الوطنية والانسانية معاً . ترك مسقط رأسه حلب ، وهو في عنفوان الشباب ، واتجه الى عاصمة وادي النيل ، فعمل بصدق واندفاع عظيمين ، وكان يحمل زاداً أدبياً طيباً فأصدر مجلة « الفلاح الاقتصادي » وأدخل السماد الكيماوي الى مصر ، وصار وكيلاً لاكبر معامل السماد الالمانية ، ولم تمض بضعُ سنوات ، حتى بسم له الحظّ ، وقبلته السعادة ، وتدفّقت عليه الثروة ، فراح يعطي ويواصل العطاء ويبذل مئات الوف الجنيهات في سبيل مساعدة المؤسسات الخيرية في مصر وسورية وفي موطنه حلب . وقد أعجب به شاعر الاقطار العربية خليل مطران فصادقه وغدا من أقرب الناس اليه وقال فيه كثيراً من قصائده العامرة نقتطف من احداها الابيات الثلاثة التالية :

---

(١) انظر ما كتبناه عنه في مجلة الكلمة العدد ١ ص ٧ سنة ١٩٣٨ .

مَنْ قالَ ثابت ثابتٌ سمّاكَ تسميةَ البصيرِ
أنتَ المثالُ لكلِّ ذي حزمٍ وذي عزمٍ خطيرِ
يبني التجارُ لما يدول وأنتَ تبني للدهور

وفي شهر ايلول ١٩٣٨ ، زار ثابت ثابت وزوجته السيدة اليس زلزل والشاعر خليل مطران مدينة حلب ، فأقام لهم المحامي فتح الله الصقال حفل تكريم رائع اشترك فيه رهط من مشاهير الخطباء والشعراء في ذلك الوقت ، بينهم الاستاذ أسعد الكوراني مدّ الله في حياته الغالية والشاعران باسيل فرّا وجورج سليم شاشاتي رحمهما المولى . وقد بلغ من سعة ثراء ثابت ثابت ، أن شيّد قبيل الحرب العالمية الثانية ، بنايةَ على شاطىء النيل ذات ثلاث وثلاثين طبقةً ، وتعدّ أعلى بناية في القاهرة . وقد استقبله في الثلاثينات ، عدد من الملوك ورؤساء الدول ، ومنحوه أرفع الأوسمة تقديراً لانسانيته واعجاباً بسموّ مروءته وشمول فضله .

٦ ـ المطران ايلاريون كبوجي : هو مفخرةٌ من مفاخر العروبة كلّها ، وعلمٌ من أعلام البطولةِ والوطنية والانسانية جمعاء . أبصَرَ نورَ الوجود سنة ١٩٢٢ في حيٍّ شعبيٍّ من أحياء حلب ، وكان اسمه جورج قبلَ أن يدخلَ الرهبانية الباسيلية في لبنان . وظهرت عليه علامات النجابة والذكاء والتقوى الممزوجة بقوة الشخصية والايمان بالله والوطن وبحق اخواننا الفلسطينيين بتقرير مصيرهم ، واستعادة أراضيهم السليبة . وعندما انتُخب مطراناً على القدس وتوابعها ، اتخذ اسم « ايلاريون » ومعناه في اليونانية : الفرح أو المبتهج ، وبدأ يعمل على مساعدة كلّ العرب المقيمين في الأرض المحتلة . وشاءت اسرائيل أن تستميله وتسترضيه ليكونَ بجانبها ، أو ليقفَ على الحياد ، فأبى إلاّ أن يكون بجانب الحق العربي . وعندما حُكِمَ عليه بتهمةٍ تشرّفه ولا

تدينه ، ودخل زنزانته الضيقة المظلمة الرطبة ، فتحَ التاريخ أمامه أوسع أبوابه ، ودوّنَ المجدُ ذكره بمداد الاعجاب . يقيم المطران كبوجي اليوم في منفاه بروما ، وفي قلب كلِ عربيٍّ نبيلٍ وأصيل .



الدكتور أنور حاتم وصاحب الضاد

٧ ـ الدكتور انور حاتم : عربيٌّ النفس والقلب والضمير . اشتهر منذ طفولته بحدّة ذكائه ، وسرعة خاطره ، وميله الشديد الى العلم والأدب ، فكان دائماً في مقدمة رفاقه الطلاب تفوّقاً وتألقاً . وكان يجيد الفرنسية كأحسن أبنائها ، فأرسل في بعثةٍ الى فرنسا ، لدراسة الدكتوراه فنالها بامتياز كبير ، ورجع الى سورية وعُيِّن أميناً عاماً لرئاسة مجلس الوزراء ، ثم انتقل الى السلك الدبلوماسي ، فعيِّن سفيراً لحكومتنا في الفاتيكان ، ثم سفيراً لنا في المكسيك ، ثم سفيراً لسورية في برن والنمسا والفاتيكان معاً . وكان أديباً بالفطرة يجول ويصول في ميداني الشعر والنثر معاً ، له بعض الدواوين الشعرية بالفرنسية ، ومجموعة من الكتب القيمة بالعربية وكلها مطبوعة باتقان ، فضلاً عن عددٍ من المؤلفات المخطوطة . بعد أن أحيل الى التقاعد ، عُيِّن استاذاً للغة الفرنسية في جامعة فريبورغ Fribourg بسويسرا . وانتُخِبَ رئيساً لاتحاد الكتاب فيها ، ولكنه تخلّى عن الرئاسة لنائبه في الاتحاد ، وقال إنّ ابن

فريبورغ أحقّ بالرئاسة مني ، ويسرني أن أكـون نائباً له . فقوبل عمله بكثير من الاستحسان . والدكتور أنور يحبُّ الاسلام ويؤكد أنّ القرآن الكريم هو الذي حفظ اللغة العربية وصان كنوزها . وفي ٢٣/٦/ ١٩٧٧ أرسل الينا كتاباً جاء في الفقرة الأخيرة منه : «... بطيّه كتابي الشعري ومحاضرة ألقيتها عن حقوق الانسان في الاسـلام ، علماً مني أنك تؤمن كما أؤمن ، أننا لن نكون مخلصين لعروبتنا ، إنْ لم نكن مخلصين لدين أكثرية قومنا الساحقة . وبفضل الاسلام أدّى العربُ أسمى الرسالات ، وبفضل الاسلام يخاطب اليوم / ٧٠٠ / مليون من البشر ربهم بلغتنا (١) ».



٨ ـ المخرج العالمي مصطفى العقاد :

رفـــعَ رأسَ مدينتــــهِ الشهباء عالياً في عالم الفنّ ، وخدَم أمّته العربية بمنتهى الجدّ والصـــدق والاخلاص ، وأظهر لمئات الملايين من الامـــيركيين والاوروبيـين والآســيويين ، أمجاد العروبـــة والاسلام ، وسار في طليعة عباقرة المخرجين السينمائيين العالميين ، بثقة واعتداد ، وأخرجَ أفلاماً في غاية الروعة والعظمة والابداع ، استوحي موضوعاتها من تاريخنا الحافل بالمفاخر والمآثر والبطولات ، كفيلم « الرسالة » الذي شاهدناه بأمّ عيننا في باريس عام ١٩٧٧ ، وقد عُرِض فيها باللغة العربيـة ، وببعض اللغات الاجنبيـة كالفرنسية والانكليزية بضعة أسابيع متواصلة . وقد تسنّى بعد ذلك ، لمعظم

---

(١) الضاد : العدد المزدوج ٧ و ٨ لعام ١٩٧٧ ص ١٣٤ .

سكان اوروبا وغيرها من أقطار الدنيا ، أن يروا سمو الرسالة التي قام بها النبي محمد (صلعم) وكيف حطم الأصنام ، وهدى الناس الى عبادة الله. ونشهد أننا أحسسنا بالخشوع والفخر والاعتزاز معاً ، حين علمنا أن منتج ومخرج هذا الفيلم الخالد ، عربي سوري من حلب ، وان بيت أبيه الرجل الطيب الفاضل السيد بكري العقاد ، لا يبعد عن بيتنا في حي المحافظة ، سوى مئة متر تقريباً . وكان فيلمه الثاني « عمر المختار »(١) معجزة السينما في العصر الحديث ، ورائعة النضال البطولي الخارق الذي قاده ذلك المجاهد العربي الليبي بوجه الاستعمار الايطالي الغاشم . وقد امتاز هـذا الفيلم ، بأشرف مقومات الاباء والفداء والتضحية ، بالاضافة إلى قوة الاخراج ، والتفنن المدهش بتمثيل المعارك الحربيـة الرهيبة ، التي تخالها مشاهد حية واقعية ، لا أشعة ملونة تعكسها آلة سينمائية على الشاشة البيضاء . فمصطفى من هذه الناحية ، استاذ كبير قدير ، ذو خبرة عجيبة بأخبار العرب ووقائعهم وبسالتهم المذهلة في القتال ، وصبرهم الطويل على مقارعة الأعداء .

أما مشاريع مصطفى القريبة القادمة : ١ - فيلم « عبدالرحمن الناصر » ، ويبرز فيه عصر العرب الذهبي في الأندلس . ٢ - فيلم « صلاح الدين الأيوبي » ، وسيكون باذن الله ، اعجوبة الافلام السينمائية في العالم ، من حيث الضخامة والتفنن في التصوير والتلوين ووفرة الممثلين وتفوقهم في أداء أدوارهم ، وخصوصاً من حيث التشابه بين ما تعانيه أمتنا الآن ، وبين ما كانت تعانيه في تلك الحقبة من التاريخ .

بقي أن نعرف أن هذا المخرج الفذ ، أبصر نور الوجود في حلب عام ١٩٣٠ ، ودرس فيها العلوم الابتدائية . وعندما أغلقت المدارس

---

(١) ولد في برقة وحارب الايطاليين الذين أسروه وأعدموه سنة ١٩٣٣ شنقاً رغم كبر سنه .

الفرنسية بعد الاستقلال ، انتقل الى الكلية الاميركية بحلب ونال شهادة « الصوفومور » ، ثم نال الشهادة الثانوية . وكان مولعاً منذ صغره بالفن ، وبالاخراج السينمائي بنوع خاص . وقد أخرج في الكلية المشار اليها مسرحية « شعلة من الصحراء » فأحرزت أكبر قدر من النجاح والاستحسان . وقد دفعه حبّه الوافر للفن الى السفر عام ١٩٥٥ للولايات المتحدة بقصد دراسة الاخراج السينمائي في هوليود ، حيث فاز بشهادة « الدبلوم » ثم بشهادة « الماجستير » . وهناك أسس شركةً للانتاج السينمائي ، وله أفلام عديدة من انتاجه واخراجه وكلها ذات مستوى فني رفيع .



السيد بكري العقاد

للاستاذ مصطفى شفيق وشقيقة أصغر منه سناً . أما الشقيق ، فهو الاستاذ زهير العقاد الذي كان بين عامي ١٩٦٧ - ١٩٦٨ وزيراً للثقافة والارشاد القومي . ثم عيّنَ سفيراً للجمهورية العربية السورية في نيقوسيا بين ١٩٦٨ - ١٩٧١ ، ثم أصبح سفيرنا في البرازيل بين ١٩٧٣ - ١٩٧٩ ، وهو اليوم مدير الادارة القنصلية في وزارة الخارجية بدمشق . ويتمتع بمزايا انسانية ووطنية عالية ، وبخلق كريم نبيل يحليه علم واسع وتواضع جمّ يشدّ اليه القلوب ، ويجعله ذا مكانة محترمة عند جميع أصدقائه وعارفيه وقاصديه .

وأمّا الشقيقة فهي الآنسة الدكتورة ليلى العقاد . درست علومها

الابتدائية والثانوية في مدارس حلب ، وتخصصت بالاعلام في مدينة لوس انجلوس حيث نالت « الدبلوم » و « الماجستير » ثم حصلت من جامعات القاهرة على « الدكتوراه » في حقل (الجامعة المفتوحة) . وهي اليوم أستاذة في جامعة حلب .

إنّ الشهباء تفاخر وتباهي بأسرة السيد بكري المقاد ، الذي أنجب لحلب وللعرب أبناء بررة أوفياء ، أثبتوا للعالم أجمع كيف تتألق العبقرية العربية اذا أتيحت لها وسائل العلم والرعاية والتشجيع .

٩ ـ **الدكتور هيسوس البرتوخوام** : وُلِدَ من أبوين حلبيين هما جوزيف خوام وريجينا عزوز في مدينة كراكس عاصمة فنزويلا ، وأتم دروسه الابتدائية والثانوية فيها . ثمّ دخل الجامعة المركزية في تلك العاصمة نفسها ، وتخرج دكتوراً في الحقوق من جامعة كرابوبو . ولم يقف عند هذا الحدّ من العلوم العالية ، بل أقبل على حقولٍ علمية رفيعة برّز فيها جميعاً ، ونال أسمى شهاداتها بتفوّقٍ مدهش يشير الى نبوغه وألمعيته . ولهذا رُقّيَ الدكتور خوام إلى منصب مدير عام للنيابة العامة في الجمهورية الفنزويلية ، وهو من أعلى المناصب التي شغلها حتى اليوم رجل من أصل عربي سوري . والمدير العام للنيابة هناك يملك صلاحيات واسعة جداً منها أنه يسهر على تطبيق الدستور



الدكتور خوام وصاحب « الضاد »

والقانون والدفاع عن حقوق الانسان والمحافظة على النظام العام في جميع أنحاء فنزويلا ، ومنها أن صلاحياته تتناول جميع المسئولين في الدولة مهما كانت وظائفهم : قضاة ، نواباً ووزراء ، حتى شخص رئيس الجمهورية . يحمل الدكتور هيسوس البرتو خوام ، أرفع الاوسمة منها : « وسام فرنسيسكو دي ميراندا » من الدرجة الاولى ، و « وسام صليب القوات المسلحة » الذي لا يُعطى عادة إلا لكبار قوّاد الجيش . والدكتور البرتو ، يفخر دائماً بأصله العربي ، ويدافع بحماسة عن قضايانا العربية العادلة . وأمام ما يديه من خدمات جُلّى في سبيل أبناء قومه العرب المغتربين ، وجّهت اليه وزارة العدل السورية الدعوة لزيارة سورية ، فلبّى الدعوة وجاء الى دمشق حيث استُقبِل بأروع مجالي الحفاوة والتكريم . وفي مساء يوم الجمعة ١٣ / ١١ / ١٩٨١ أنسنا بزيارة الدكتور خوام والاساتذة : منير سلطان وشهير ارسلان وصالح الكيالي وكانوا قبل تقاعدهم من كبار رجال القضاء السوري .

١٠ ـ **الدكتور نجيب جورج قلاوص** : حلبي المولد ، فنزويلي النشأة والدراسة، يجيد اللغة العربية إجادة تامة . فأبوه الصديق العزيز السيد جورج ، حريص على لغة الآباء والأجداد ، يتلقّنها آل قلاوص في المغترب الفنزويلي وهم في مهودهم . وقد لمستُ ذلك بنفسي عندما كنتُ في ضيافتهم الكريمة . تلقى نجيب جميع دروسه في كراكس . وبفضل ذكائه الوقّاد ، نال شهادة الدكتوراه في الالكترون والفلسفة ، وصار استاذاً في جامعة سيمون بوليفار ، والجامعة المركزية في عاصمة فنزويلا ، وعالماً من أكبر علماء « الكومبيوتر » هناك ، واختير رئيساً لأول مؤتمر دولي للأنظمة عُقِد في كراكس وافتتحه رئيس الجمهورية الفنزويلية بكلمة ثناء وتقدير وجهها الى الدكتور النجيب وعانقه عناقاً أبوياً حاراً ، وعيّنه رئيساً



رئيس جمهورية فنزويلا يصافح البحاثة الدكتور نجيب قلاوص

للجنة تبحث في حلّ المعضلات العلمية المعقدة (١) . وتعادل مكانة الدكتور قلاوص اليوم مكانة وزير ، وله دائرة خاصة يتولّى رئاستها بكلّ جدارة واهتمام . وما يقال عن الدكتور نجيب يصح أن يقال عن نبوغ أخيه طوني المسئول عن جامعات فنزويلا . ويُعتبر في طليعة المسئولين في الحزب الحاكم الفنزويلي .

١١ ـ الدكتور روفائيل مبيّض : غادر الشهباء مع والديه **إلى** فنزويلا وعمره ثلاثة أشهر . وبفضل ذكائه الفطري ، وحبّه الكبير للعلم ، استطاع أن يجلّي في مختلف دروسه ، وأنْ ينال بتفوّق شهادة الدكتوراه في الحقوق ، وأن يغدوَ في طليعة المحامين ألمعيّة وشهرة في العاصمة كراكس . وعنيَ أبوه السيد عارف مبيض وأمّه بتعليم ولدهما روفائيل اللغة العربية ، فراح يتكلمها بطلاقة مذهلة ، ويدافع بقوّة عن قضايانا القومية والوطنية ، فالتفّ حوله الشبّان العرب ،

---

(١) مجلة الضاد العدد ١١ الصفحات ٧ ـ ١٠ عام ١٩٨١ .

وانتخبوه رئيساً لمنظمة الـ « فياراب FEARAB » [١] وهي من أكبر وأشهر المنظمات العربية في المهجر الاميركي ومن أوفرها نشاطاً للدفاع عن حقوقنا المشروعة ، وعن كل حق تريد القوى الاستعمارية سلبه وهضمه .



١٢ - الدكتور زكريا سباهي :
من أكثر رجالنا ألمعية وذكاء ، وأشدهم تألقاً في سماء الوطنية الحقة . أمضى خمسة وثلاثين عاماً في السلك الديبلوماسي السوري ، وفي هيئة التفتيش الدولية المشتركة لمنظمة الأمم المتحدة والوكالات الدولية المتخصصة . أديب من الطراز الأول ، ذو أسلوب رائع خلاّب ، تسوده روح إنسانية عالية مثالية . لو انصرف منذ صباه الى الأدب ، لتقدم صفوف كبار كتّاب العرب ، ولظفرت المكتبة العربية بمؤلفات تمتاز بالروعة والابتكار والفائدة الشاملة .

---

(١) « الفياراب » منظمة تضم ستة وعشرين نادياً ومؤسسة عربية ، وهي لسان حال ٨٥ ٪ من أبناء جالياتنا في الاميركتين .

١٣ - الدكتور ميشيل مشحور :
وُلِدَ وتعلّم العربية والفرنسية في مدارس حلب . وظهرت عليه علامات النجابة والذكاء منذ نعومة اظفاره . ولما ترعرع مال الى الرياضة والأدب . وغادرَ مع أبويه وشقيقتيه حلب الى بيروت ، ومنها توجّه ميشيل الى مونتريال - كندا حيث درس الطبّ الصيني Médecine Energetique ونبغ به ، وأحرز فيه شهرة عظيمة ، جعلت عيادته في مونتريال مقصداً لأفواج المرضى الذين يئسوا من الطب التقليدي . وقد نال الالوف على يديه الشفاء من كثير من الامراض ، وخصوصاً « الروماتيزم » والربو . وقد قام طبيبنا الشاب في عام ١٩٧٩ باجراء أول عملية جراحية في الاميركتين : الشمالية والجنوبية ، مستعملاً الابر الصينية بدلاً من المخدّر « البنج » وبذلك لم تشعر المريضة التي أجريت لها العملية القيصرية بأي ألم . والدكتور مشحور هو نقيب الاطباء العاملين في حقل الطب الصيني بكندا ، وهو يفاخر دائماً بأصله العربي السوري ، ويعتز بمسقط رأسه حلب . والجدير بالذكر انّ مؤلف هذا الكتاب هو عرّاب النقيب المشار اليه ، أي (اشبينه في العماد) وكثيراً ما حمله طفلاً . وكان قد نشر له في مجلة الضاد عام ١٩٥٤ أولَ مقالة كتبها ذلك الشاب النابغ وعنوانها « واجب الشباب » .

١٤ - الفنان انطوان حجار : هو حلبي أصيل ، يمتاز بنبوغه الفطري وألمعيته العالية ، وبتألقه الرائع في جميع آفاق الفن الجميل الرفيع المدهش ، فهو رسّامٌ عبقري ، وخطّاط مبدع ، ومخرجٌ مجدّد قدير ، وموسيقي



ـفنان انطوان حجار وزوجته السيدة انطونيا يتسلمان

لوحـــة الريشة الذهبيـة

يجيد العزفَ على عددٍ من آلات الطرب ، وصناعي ماهر ، يتـولى مع بعض اخوانه ادارة « معمل حجار جانجـي اخوان » للخـزائن المعدنية الفاخرة الذي يُعَدُّ بحق ، فخر الصناعة العربية في فنزويلا . وانطوان المومأ اليه المسؤول الفني عن اخراج مجلة « الفداء » الكبرى ، وقـــد منحه الاتحاد النسائي السوري الفنزويلي في كراكس عام ١٩٨١ لوحـة « الريشة الذهبية » في حفـل رائع . ومجلة « الضاد » مـدينة لفناننـا الشاب بالرسوم البديعة التي تزين الغـلاف الأول من أعدادها. وقد تكرم فأتحفنا بالرسم الأنيق الخلاَّب الذي جعلناهُ غلافاً لكتاب « حلبيات » .

١٥ ـ رنيه رزق‌الله خوام : أبصر نور الوجود في حلـب ، وتلقى علومه في أحسن مـدارسها ، وبرعَ كثيراً في اللغـة الفرنسية حتى صار يجيدها إجادة مذهلة . ولم يطل به الأمر حتى توجه الى باريس وعمل في ميدان الأدب ، فترجم الى لغة هوغو ولامارتين قصة « ألف ليلة وليلة » وعدداً وافراً من الكتب العربية القيمة ، وقد لاقت جميعها رواجاً واسعاً . وقد أقبل عليه كبار الكتاب الفرنسيين طالبين أن يشاركهم في وضع

موسوعاتهم ، وأن يتولى تدوين كل ما يتعلق بالعالم العربي ، فقام بهذه المهمة على أشرف وجه ، وشارك في عدة موسوعات في جملتها موسوعة عنوانها « تاريخ الآداب Histoire des Littératures » لم يفته أن يذكر فيها بمجلة الضاد وصاحبها ، وعدداً من أشهر أدباء حلب. والموسوعة المذكورة تقع في ٢٠٢٤ صفحة. وقد صدرت عن دار Gallimard بباريس وهي من أعظم دور النشر في أوروبا .

١٦ ـ الاستاذ ظافر الصابوني : روائي نابغ وكاتب إذاعي وتلفزيوني واسع المعرفة ، ذائع الصيت ، وحدوي النزعة ، حارب الانفصال من إذاعة صوت العرب محاربةً لا هوادةَ فيها ولا لين ، وكان السوريون المحبون للوحدة يترقبون إذاعته باهتمام بالغ ، وكان صوته الجذّاب يدخل إلى القلوب فيمتلكها . قدِمَ الشهباء سنة ١٩٧٤ وألقى في ندوة نقابة المحامين بحلب ، قصةً من تأليفه عنوانها (المطر) ونشهد أنها أبدع وأروع ما سمعناه منَ القصص المعبّرة بصدق وعفوية عن واقعنا وحياتنا الاجتماعية في الخمسينات . والاستاذ ظافر من أسرة عريقة في الوجاهة والفضل والادب ، وقد انجبت مجاهدين ومحامين وكتاباً وشعراء منهم الشاعر المبدع الاستاذ أسامة الصابوني صديق « الضاد » ونصيرها الأعز .

١٧ ـ ضيا ونجمي السكري : هما نجلا لطفي السكري ، وكان موظفاً في مالية حلب . ولدا تحت سماء الشهباء ، وشغفا منذ طفولتهما بالعزف على الكمان ، وظهر تفوّقهما فيها منذ عام ١٩٥٠ حين كانا يدرسان علينا اللغة العربية في المعهد العلماني (اللاييك) بحلب . ومع أنّ الاول كان وقتئذٍ في الحادية عشرة من عمره ، والثاني في العاشرة ، فانهما كانا يجيدان كلّ الاجادة عزفَ أشهر المقطوعات الموسيقية وأشدّها صعوبةً وتعقيداً . ثم دخلا أكبرَ المعاهد الموسيقية في العالم حيث تجلّت عبقريتهما الفنية . وهما اليوم في مقدمة أفذاذ الموسيقيين العالميين قدرةً وشهرة ونبوغاً .



١٨ - السيد جورج سبع : حلبيُّ الروح والعادات والتقاليد ، لم تبدله نيويورك حيث يقيم منذ ثلث قرن ، بل زاده البعاد عن حلب حباً بها ، وحنيناً اليها، وعطفاً على مؤسسات البرّ والاحسان فيها ، فراح يرفدها بعشرات الالوف من الدولارات . وفي حوالي سنة وبعض السنة ، أحسن إلى جمعية الكاملة وإلى جمعية القديس منصور ، وإلى بعض المياتم ودور العجزة في حلب ، بأكثر من ربع مليون ليرة سورية . فعل كلّ ذلك وراء ستارٍ صفيق من الصمت والكتمان . وكنا نعتقد أن من يصنع هذا الخير كلّه ، لا بُدَّ ان يكون من مالكي العقارات وأصحاب الملايين . وحين زرنا نيويورك في عام ١٩٨٢ ، علمنا أن وطنينا السيد جورج سبع لا يملك عقاراً ولاسيارة . فهو يسكن بالايجار شقةً متواضعة تقع في الدور الثالث من بنايةٍ قديمة مبنية بالآجر الأحمر ، وذات درجات عالية تتعب القلب وترهق الأنفاس . وعندما ينتقل من حيٍّ الى آخر يركب « الباص » وهوايته الوحيدة أن يدخر رواتبه التقاعدية ، وما يفيض عن الحاجة من راتبي أمه وزوجته، ويقدمها الى أعمال الخير . فهو حاتم القرن العشرين بلا منازع ، وهو المحسن المعجزة أو القديس الهازىء بالمادة والحامل شعلة الايمان والاحسان معاً .

١٩ - عبود غلام : فنّانٌ عبقريٌ كبير رغم صغر سنه . قام بالحفر على الخشب وبصناعة التماثيل ، وبأعمال يدوية فنية لا يقوى على القيام



بها ، إلا نوابغ الفنانين ومشاهير النحاتين . ولد فناننا في حلب عام ١٩٥٥ ، وتوجّه منها عام ١٩٧٦ إلى مدريد حيث درس فن النحت وبرّز فيه ، وأحرز شهادته الفنية بدرجة ممتاز ، ثم سافر في مطلع سنة ١٩٨١ الى كراكس وفيها تجلّت عبقريته وتدفقت مواهبه وأبدع منحوتات في غاية الابتكار ، بينها تمثال نصفي لرئيس الجمهورية الفنزويلية الدكتور لويس هيريرا كامبينس الذي حضر معرضه في وزارة النقل والمواصلات حيث ألقى وزير المواصلات كلمةً بليغة عرّفَ بها عبود غلام ، وذكر أنه عربيٌّ ، ومن سورية الثورة بالذات ، ومن منبت الشعراء والفنانين « حلب الشهباء » .

وخلاصة ما يمكنُ قوله في هذا البحث ، هو أن الحلبيين كالنجوم لا تخلو منهم سماء ، ولا يجهلهم أفق ، فهم متفرقون في كلّ أرض ، ومختلطون بكلِّ أمّه ، وعائشون في كل بيئة . وقد ينسى الحلبيُّ النازح كثيراً من أوضاع لغته ، وقد تتضاءل أمام عينيه ، كثير من صور طفولته ومشاهد فتوّته ، ولكنه لن ينسى قطُّ وطنهُ الام ، ولا من له فيه من أهلٍ وخلان ، فهو شديدُ التعلقُ بمسقط رأسه ومسرح صباه ، وافر الشوق إلى أخدان صغره ، ورفاقه في لعبِه ولهوِه . وقد يثري ذلك المهاجر ، ويغدو من أصحاب الملايين ، وقد ينسى أو يتناسى كل ما قاساه في أول هجرته من شظف العيش ونكد الأيام ، ولكنَّ قلبهُ الخفاق يظلُّ في حنين دائم ، إلى ذلك البيت الصغير ، الذي أبصر بين جدرانه نور الوجود ، والذي استقبل من نوافذه ، تلك النسمات العليلة العابقة بأريج سحريٍّ لطيف ، هو أريج الوطن العزيز الغالي .

الصحـافة في حلب

من عام ١٨٦٧ الى عام ١٩٨٣

الصحافةُ في اعتقادنا رسالةٌ لا مهنة ، والصحافي الحرُّ النزيه ، يؤدّي رسالتَهُ بصمتٍ وإخلاصٍ واندفاع ، ويبذلُ من أجلها ذوبَ قلبه ، وعصارةَ دماغه ، ونورَ مقلتيه ، ليقينهِ بأنه يخدمُ المصلحةَ العامة ويفتح عيونَ قرّائه ، على آفاقِ الحريّة والعلم والحضارة ، ويزكي في أعماق نفوسهم نارَ الحميّةِ والمروءة والحماسة ، فلولا الصحافةُ ، لما توطدت دعائمُ الثقافة ، ولما اتسعَ نطاق التفكير ، ولما بزغت شمس الاصلاح في عصور الظلمات ، ولبقيت البشرية تتخبّطُ في دياجير الجهل والفوضى المطبقة .

ومما يدعو إلى الاعتزاز ، أنّ حلبَ كانت سبّاقةً في ميدان الصحافة العربية ، وأنّ أول جريدة عربية وهي « مرآةُ الاحوال » أصدرها في اسطنبول عام ١٨٥٥ أديب حلبي هو رزق الله حسّون ، الذي ما لبث أنْ ندّد بأعمال الحكومة العثمانية ، وانتقد بشدّة ما تبديه نحو اخوانه العرب من ظلم وعدوان . وقبل أن يُقبضَ عليه ، فرَّ إلى روسيا فحكم عليه العثمانيون بالاعدام غيابياً . ومن روسيا توجّهَ إلى لندن ، وتوفيَ فيها بالسكتة القلبية عام ١٨٨٠ . ويُعَدُّ رزق الله حسّون أبَ الصحافة العربية بلا منازع .

وكانت الصحافة العربية في سورية عامةً ، وفي حلب خاصةً ، تكافح المستعمرين والمنتدبين ، وتناهض ما يصدرونه من أنظمةٍ وقرارات . فكان الصحافي الوطني يحمل سيفاً لا قلماً ، ويقوم بدور المحارب الباسل . وما زال هذا شأنه اليوم في مكافحة الامبريالية والصهيونية والاستعمار . وإلى القرّاء جدولاً بجميع الصحف السياسية والأدبية التي صدرت في الشهباء منذ عام ١٨٦٧ الى الآن .

الصحف الحلبيـــة
وأسماء منشئيها وتاريخ صدور كلّ صحيفةٍ منها

أولاً ـ الجرائد :

١ ـ في عهد الاستعمار العثماني :

عنوان الجريدة	اســم منشئهــا	تاريخ ظهورها
غدير الفرات	رسمية أصدرها جودت باشا والي حلب	١٨٦٧
الفرات	» » » » » »	١٨٦٩
الشهباء(١)	عبد الرحمن الكواكبي وهاشم عطار	١٠ ـ ٥ ـ١٨٧٧
الاعتدال	عبدالرحمن الكواكبي	٢٥ ـ ٧ ـ ١٨٧٩
الحوادث الداخلية	نجيب كنيدر	آب ١٩٠٨
حلب الشهباء	محمد نافع طلس	١٩ ـ ٩ ـ١٩٠٨
صدى الشهباء	حكمت ناظم وكامل الغزي	١ ـ١٠ ـ١٩٠٨
التقـــدُّم	شكري كنيدر	١٥ ـ١٠ ـ١٩٠٨
التقـــدم	كنيدر اخوان	٢١ ـ ٥ ـ١٩٠٩
الخطيب	الشيخ ابراهيم المؤذن	٥ ـ ٧ ـ١٩٠٩
الشعب	ليون حمصي وفتح الله قسطون	٥ ـ ٨ ـ١٩٠٩

(١) ذكر الاستاذ اديب خضور في كتابه القيم « الصحافة السورية » أن جريدة « الشهباء » صدرت عام ١٨٧٨ . وقد اعتمدنا على التاريخ الذي ذكره صديقنا المغفور له الفيكنت فيليب دي طرازي في مؤلفه النفيس (تاريخ الصحافة العربية) ج ٤ ص ٥٤ .

عنوان الجريدة	اسم منشئها	تاريخ ظهورها
مسخرة	نوري ومانوئيل	شباط ١٩١٠
كشكول	فائح عمري	٢٨-٣-١٩١٠
الاهالي	مانوئيل وعاصم	١٢-٥-١٩١٠
لسان الاهالي	أرداشيس بوغيكيان	٢٧-٦-١٩١٠
الاعلان	فتح‌الله قسطون	٢-٧-١٩١٠
تنوير الافكار	عيسى محمد هاشم	٢-٤-١٩١١
مكتبلي	فائح عمري وأحمد سامي	٨-٤-١٩١١
المرسح	محمود دهني	١٨-٤-١٩١١
النهار	حسين حازم	٧-٥-١٩١١
الصدق	مصطفى رشدي الحمصي	٢٨-٦-١٩١١
العفريت	سامي غالي ومحمد المصري	١-٧-١٩١١
هوبيالا	مانوئيل	٥-٧-١٩١١
الغول	مصطفى رشواني	١٦-٩-١٩١١
تشبث	مانوئيل	٢٩-١١-١٩١١
المرب	أحمد سامي سراج	٢٩-١٠-١٩١٨

٢ — في العهد الفيصلي :

حلب	رسمية	٩-١٢-١٩١٨
الصاعقة	بطرس معوض	١٢-١٢-١٩١٨
حقوق البشر	عبدالحميد الجابري	٢-٢-١٩١٩
النهضة	محمد صبحي بصمه جي	٣-٢-١٩١٩
الراية	منيب الناطور	٢٩-٤-١٩١٩

عنوان الجريدة	اسم منشئها	تاريخ ظهورها
المصباح	عبدالحميد وعبدالودود الكيالي [١]	٢ – ٥ –١٩١٩
البريد السوري	فاضل شكري اسود	٣ – ٥ –١٩١٩
الفرات	ماردیروس حكيميان	٨ –١٠–١٩١٩
العدل	محمد صبحي بصمه جي	١٢– ٢ –١٩٢٠
الوطن	شاكر نعمت الشعباني	٨ –١٠–١٩٢٠

٣ – في مرحلة الاستعمار الفرنسي :

عنوان الجريدة	اسم منشئها	تاريخ ظهورها
الامة	بطرس معوّض	٣ – ٨ –١٩٢٠
الآمال	صديق صندوق	٥ – ٤ –١٩٢١
سورية الشمالية	انطون يوسفاكي شعراوي	١١– ٤ –١٩٢١
شفق	زكريا رضا	٢٠– ٤ –١٩٢١
المرسح	نجيب كنيدر	١٩٢١
الترقي السوري	بهاء الدين الكاتب	٩ –١١–١٩٢٣
الكلمة	الأب بولس قوشاقجي	٦ – ٦ –١٩٢٤
الوقت	طاهر سماقية	٢٦– ٣ –١٩٢٥
الميثاق	محمد شرف الدين الفاروقي	٢٦– ٩ –١٩٢٥
الشبان	فؤاد حسني المدرّس	٣٠– ٧ –١٩٢٦
المرسح «مرة ثانية»	نجيب كنيدر	١٣– ٨ –١٩٢٦
الاتحاد	محمود وهبي	٢٥– ٩ –١٩٢٦
يبراد ـ أرمنية [٢]	الدكتور كريكور موشيفيان	٢٥– ٤ –١٩٢٧
على كيفك	فهمي الحفار والياس قيشر	٨ – ٥ –١٩٢٧

(١) كان رئيس تحريرها الشيخ طاهر الكيالي .
(٢) أنشأها في الأصل عام ١٩١٩ الدكتور كريكور موشيفيان ، ومعنى (يبراد) الفرات . وقد صدر منها يومئذ عدد واحد .

عنوان الجريدة	اســم منشئها	تاريخ ظهورها
التـاج	أمين تاج الدين	٢٠- ٢ -١٩٢٨
السلام	جلال قدري	٦ - ٤ -١٩٢٨
الاهـالي	شاكر نعمت الشعباني	١٨- ٤ -١٩٢٨
الجهـاد	محمد فهمي الحفار	٢٧- ٨ -١٩٢٨
دوغريول ـ تركية وعربيـة	جلال قدري	١٩٣٠
وحدت تركية	نوري كنج	٢ - ٧ -١٩٣٠
الكشكول	فتحي العوف «عامل مطبعة»	١٩٣٠
الحوادث	مفيد الحسيني	٢ - ٢ -١٩٣١
الشبـاب	محمد طلس	٢٥- ٧ -١٩٣٦
النـذير	أحمد قنبر	١٥-١١-١٩٣٦
العمل القومي	أبو الهدى اليافي	٦ - ٦ -١٩٣٨
الحوادث	حسين الشعباني وحسن عبدالعال	١٩٣٩
الاصلاح	حسن توفيق عبدالعال	١٩٤٠

٣ — في عهد الاستقلال :

عنوان الجريدة	اســم منشئها	تاريخ ظهورها
التربيـة	عبدالسلام الـكاملي	١٩٤٦
الجهاد العربي	رشاد برمدا ومحمد فهمي الحفار	١٩٤٦
الجمهورية	أشرف الـكاتب	٥ - ٦ -١٩٤٧
النجم الجديد	عبدالرحمن أبو قوس	١٩٤٧
الامة العربية	أحمد طلس وصلاح الدين بصمهجي	١٣-١١-١٩٤٩
صوت التقدم	اميلي سميد	١٤-١٢-١٩٤٩
اللـواء	ادوار نون	١٩٤٩

عنوان الجريدة	اســم منشئها	تاريخ ظهورها
الدستور	حسام الدين الخطيب [١]	١٤-٧-١٩٤٩
نورسيرونت - الجيل الجديد - أرمنية	انترياس دير غازاريان	٢٠-٢-١٩٥٠
طريق الجهاد	علاء الدين الرافعي وعبدالقادر حقي الحفار	٢٠-٣-١٩٥٠
الجمهورية	فيكتور كورنلي	١٥-١-١٩٥١
الرشيد	فيكتور كالوس	١٦-٢-١٩٥١
مراحل الجهاد	الدكتور سيف الدين جلبي وعبدالقادر حقي الحفار	١٠-٩-١٩٥١
المراحل	الدكتور سيف الدين جلبي	٢٢-١٠-١٩٥١
الحرية	المحامي جوزيف اليان	١٥-١١-١٩٥١
النـداء	عبدالرحمن أبوقوس	١٩٥٢
الاصلاح	حسن عبدالعال وحسين الشعباني	١٩٥٢
العهد الجديد [٢]	محمد طلس ونقولا جانجي	١٩٥٢
العالم العربي	احمد طلس	١٣-٣-١٩٥٢
الوطن [٣]	عبدالرحمن أبوقوس وفيكتور كورنلي	٣-٧-١٩٥٢
الجهاد العربي	عبدالقادر حقي الحفار	٢-١١-١٩٥٢
الجمهور العربي	طاهر سماقية	٢٤-٣-١٩٥٣
الميزان	حسن عبدالعال وعدنان محي الدين	١٨-١٢-١٩٥٣
الجماهير	علاء الدين حمود	١٩٥٤
مراحل الجهاد	عبدالقادر حقي الحفار	١٩٥٤

(١) كانت جريدة الدستور تصدر في مطلع الثلاثينات وكان صاحبها حسام الدين الخطيب ذا نقد لاذع وكان لنا على بعض انتقاداته ردود لاذعة .

(٢) دمجت « برق الشمال » بـ « الشباب » وصدرتا باسم « العهد الجديد » .

(٣) دمجت « النداء » بـ « الجمهورية » وصدرتا باسم « الوطن » .

عنوان الجريدة	اسم منشئها	تاريخ ظهورها
الجهاد	عبد القادر حقي الحفار	١٩٥٤
الاسبوع الرياضي	كامل البني	١٩٥٥
آخر دقيقة	صلاح الدين بصمه‌جي	١٩ – ٤ – ١٩٥٦
نداء العروبة[1]	عبدالقادر حقي الحفار	٩ – ٦ – ١٩٥٦
الاتحاد	حسن عبدالعال ومحي الدين رسلان	١٩٥٦

٥ — في عهد الوحدة :

الحرية	المحامي شفيق سعيد	١١ – ٧ – ١٩٥٩

٦ — في مرحلة الانفصال :

العروبة	سلطات الانفصال	١٩٦٢
العالم العربي	أحمد رشيد البيك	١٩٦٢
الشرق « اريويلك »	هراج بابازريان	١٩٦٢
المرصاد	فاتح حبابا	١٨ – ٢ – ١٩٦٣

٧ — في عهد ثورة الثامن من آذار ١٩٦٣ :

الجماهير	تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر	١٩٦٣

---

(١) غيَّر الاستاذ الحفار اسم جريدته « مراحل الجهاد » فجعله « نداء العروبة » .

ثانياً ـ المجلات :

١ ـ في مرحلة الاستعمار العثماني :

عنوان المجلة	اسم منشئها	تاريخ ظهورها
الشذور	عبد المسيح انطاكي	١ - ١ - ١٨٩٧
فوائد	خليل كامل الجرّاح	٢٦ - ٢ - ١٩٠٩
الورقاء	الأب جرجس شلحت	١ - ١١ - ١٩١٠

٢ ـ في العهد الفيصلي :

عنوان المجلة	اسم منشئها	تاريخ ظهورها
مجلة الشركة الزراعية	الشركة الزراعية الحلبية	١٥ - ٦ - ١٩١٩
الشعلة	فتح الله قسطون	١ - ٧ - ١٩٢٠

٣ ـ في مرحلة الاستعمار الفرنسي :

عنوان المجلة	اسم منشئها	تاريخ ظهورها
النشرة الشهرية	غرفة تجارة حلب	١ - ٩ - ١٩٢١
حديقة التلميذ	المدرسة الفاروقية	١ - ٢ - ١٩٢٤
الكشّاف العربي	عبدالقادر الشوا	١ - ٤ - ١٩٢٤
الجريدة الزراعية	عبدالقادر ناصح الملاح	١ - ٩ - ١٩٢٤
مجلة المحاماة	نقابة المحامين	آذار ١٩٢٦
المجلة الحقوقية	المحامي أحمد ناجي الزاغاتي	١٩٢٦
الحديث	سامي الكيالي وادمون رباط	١ - ١ - ١٩٢٧
الرحمة	الأب الياس غالي	١ - ١ - ١٩٢٧
الفجر	عطاالله الصابوني	١ - ٣ - ١٩٢٧
القربان	الأب اغناطيوس سعد	١ - ٥ - ١٩٢٧



الضاد
الضاد
الضاد
الضاد
الضاد
الضاد

عنوان المجلة	اسم منشئها	تاريخ ظهورها
الكلمة [١]	المحامي فتح‌الله الصقال	١ - ١ - ١٩٢٩
الاعتصام	عبدالله العزّ وعون‌الله الاخلاصي	٩ - ٦ - ١٩٢٩
الجامعة الاسلامية	محمد علي الكحال	٢٧ - ٧ - ١٩٢٩
رسالة العمال	الأب ميخائيل آجيا	١٢ - ١١ - ١٩٢٩
المرأة	نديمة المنقاري الصابوني	٢٢ - ٥ - ١٩٣٠
الضاد	يوسف شلحت وعبدالله يوركي حلاق	١ - ١ - ١٩٣١
العاديات	جمعية العاديات	١ - ٥ - ١٩٣١
الراوي	ثابت تاج الدين	١٩٣٩

٤ — في عهد الاستقلال :

عنوان المجلة	اسم منشئها	تاريخ ظهورها
الطفل	عبدالله الخطيب	١٩٤٦
الرسالة الزراعية	غرفة الزراعة بحلب	١٩٤٦
رسالة الغرفة الزراعية [٢]	« « «	١ - ٨ - ١٩٤٨
الاحسان	المحامي هاشم المارتيني	١٩٤٨
المعرفة	خالد قوطرش	١٩٤٨

(١) أصدرها الأب بولس قوشاقجي في ٦ / ٦ / ١٩٢٤ جريدة تدافع عن حقوق العمال والفقراء . ولما اضطر الى مغادرة حلب سلم مقاليد مشاريع الكلمة الخيرية الى المحامي فتح‌الله الصقال ، فحوّل تلك الجريدة الى مجلة شهرية ، ما زالت والحمد لله تصدر حتى اليوم ويشرف على تحريرها مؤلف هذا الكتاب .

(٢) صدرت بدلاً من « الرسالة الزراعية » وكان يشرف على رئاسة تحريرها صديقنا المهندس الزراعي المغفور له خورشيد توما ثم تولى رشيد رستم تلك المهمة. ولنا في هذه الرسالة بعض المقالات .

عنوان المجلة	اسم منشئها	تاريخ ظهورها
الرسالة	النادي الكاثوليكي - رئيس تحريرها المحامي جورج شاشاتي ورئيس تحريرها المسؤول رولان دي صعب	١٠-٤-١٩٥٠
اليقظة [١]	جمعية اليقظة الأرثوذكسية بحلب	١٩٥٤
الرائد	محمد علي القباني	١٩٥٤
المعرفة	محمد علي بن مراد الزرقا	١٨-١-١٩٥٦
الرابطة	مؤسسة الكهرباء والنقل بحلب	٦-١١-١٩٥٧
نشرة نادي الروتاري	نادي الروتاري	١٩٥٧

٥ — في عهد الوحدة :

مجلة كلية ضباط الاحتياط	كلية ضباط الاحتياط	١-١٢-١٩٥٩

٥ — في مرحلة الانفصال :

السنابل	فيكتور كالوس	١٩٦٢

تصدر الآن في حلب (عام ١٩٨٣) جريدة « الجماهير » وثلاث مجلات شهرية هي : « الكلمة » و « الضاد » و « اليقظة » وبعض النشرات الخيرية .

---

(١) صاحب امتيازها المحامي بولس جنادري ورئيس تحريرها ميشيل سلطان .

المجلات الحلبية في المهجر الاميركي

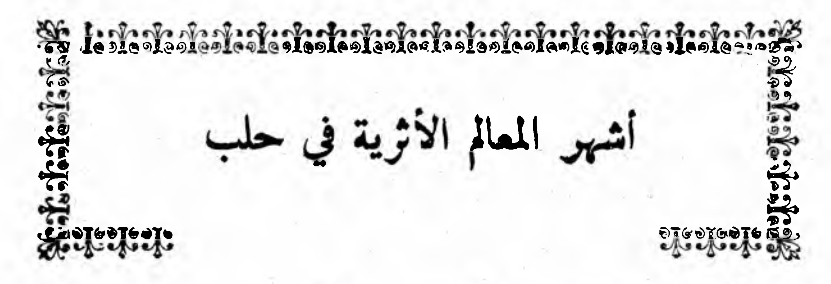
عنوان المجلة	اسم منشئها	تاريخ صدورها	البلد الذي تصدر فيه
العالم العربي	ر . رياض كنيدر	١٩٦٩	مونتريال ـ كندا
الفداء	المجلس الرعوي لكنيسة القديس جاورجيوس	١٩٧٢	كراكس ـ فنزويلا
بروغريسو BROGRESO	ألبير تليه	١٩٧٨	ميكتيا ـ فنزويلا
صوت الجالية	المجلس الرعوي في مراكاي	١٩٨٠	مراكاي ـ فنزويلا
أرڤيه ARVE	فارس قيسو حلاق ونخبة من شبابنا	١٩٨١	سويداد بوليفار ـ فنزويلا

١ - تصدر « العالم العربي » باللغات : العربية والفرنسية والانكليزية . وتصدر « البروغريسو » بالاسبانية فقط . أمّا المجلات الثلاث الباقية ، فانها تصدر بالعربية والاسبانية . وكل هذه الصحف تدافع عن قضايانا وتنشر أخبار الجالية العربية .

٢ - في أواخر الستينات أصدر الاستاذ حبيب خوام في كراكس مجلة راقية عنوانها « العروبة » .

وبعد مدة أصدر السيد عابد حجار نشرة سماها « الاسبوع » وقد توقفتا عن الصدور .





أشهر المعالم الأثرية في حلب

أجمعَ كثير من علماء الآثار ، على أنّ حلب القديمة ، إذا أحيطت بسورٍ جديد ، تعتبرُ متحفاً يضمّ أروعَ المباني المتمثلة بالمساجد والمعابد والخانات والأسواق المتلاصقة والمتناسقة والممتدة الى مسافات بعيدة ، والمخصص كلّ سوق منها لبيع بضاعة من البضائع العديدة ، التي كانت تأتينا من أربعة أطراف المعمور .

وقد سبق أن تحدثنا باقتضاب ، عن هاتيك الاسواق (١) التي مازال العديد منها باقياً على ما كان عليه ، لم تمتدّ اليه يدُ الدّمار ، ولا عبث به تجار العقارات الذين هدموا بمعاول جهلهم وجشعهم مئاتٍ ومئات من البيوت الاثرية الجميلة المزدانة بالزخارف الفنية الدقيقة ، وقطع القيشاني النفيس ، وأحواض الزهور الفواحة ، وبرك الماء المتدفق من « نافورات » تسرّ العيون وتشرح الصدور ، وتدلّ على ما كان يمتاز به أجدادنا وآباؤنا من ذوقٍ رفيع ، وتعلّقٍ شديد بالفنون العمرانية واليدوية البديعة ، ومحبّة وافرة للتراث العربي الأصيل .

ومما لا شكّ فيه ، أنّ أحسنَ الدور الأثرية الباقية إلى يومنا هذا ، هي دار جان بولاد الكائنة في حي البندرة ، والواقعة على مقربة من باب النصر .

---

(١) انظر الصفحة ٧٠ من هذا الكتاب.

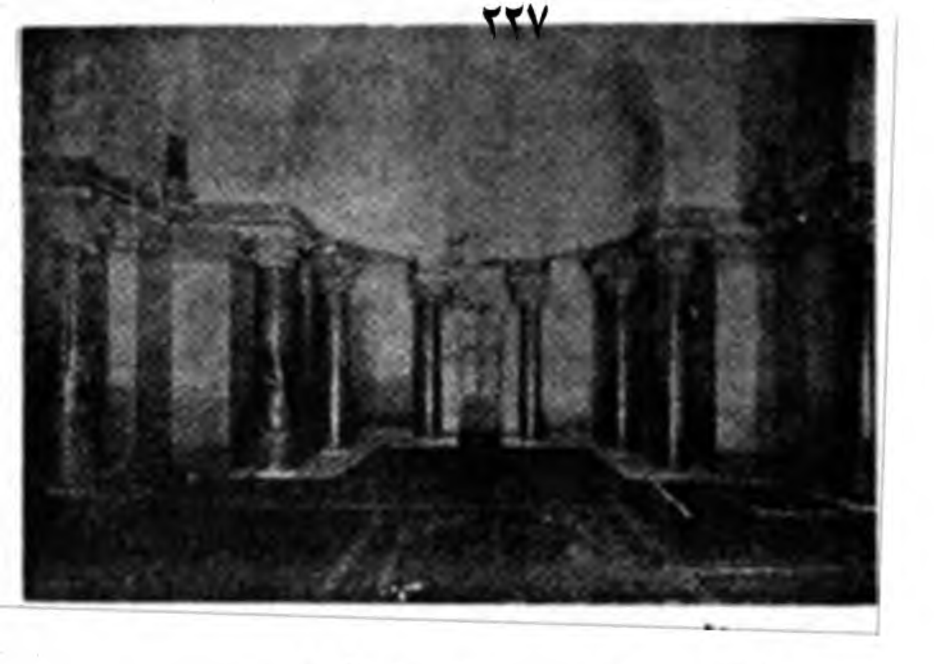
وهناك من يحرف اسم هذه الدار فيقول « قصر جنبلاط » وذلك لاتساعها وكبرِ ايوانها المزدان بنقوش جميلة نافـرة ، وبقطع من القيشاني الثمين الذي كان يصنع بدقة فائقة في مدينة حلب . وكان يملك الدار المذكورة آل ابراهيم باشا ؛ وقد استأجـر الحـزب الوطني قسماً منها ، وأقام فيها حفلتين تأبينيتين : الأولى للمجاهد سعدالله الجـــابري ، والثانية للمناضل الدكتور حسن فؤاد ابراهيم باشا . وقد ألقى مؤلف هذا الكتاب قصيدة شعرية في كلٍّ من هاتين الحفلتين الكبريين (١) .

وفي الأحياء القديمة من حلب ، كحي الصليبة دور أثرية أشرنا الى بعضها ، ولم نشر إلى بعضها الآخر كـدار بليط ودار الصائغ ودار باسيل ودار كبه ، وكلها ذات قيمة فنية لا تُقدَّر بمال ، لما تحويه تلك الدور ، من رحبات وأحواض وزخارف من نوع « الروكـوكـو » ومن طوانات خشبية تحلّيها صور ملوّنة ، ونقوشٍ في غاية الجمـال ، وتنتشر تحتها آيات كريمة ، وأبيات شعرية كلها حكم بليغة ، تأنق أشهر الخطاطين الحلبيين في القرون الثلاثة الماضية ، بكتابتها بماء الذهب الخـــالص ، وبتنميقها بالخيوط العربية Arabesque ، وبالأشكال الهندسية المبتكرة التي تخلب الألباب ، وتثير أجزلَ الاعجاب .

والحقُّ أنَّ حلب ، كانت تحوي العديد من الدور الجميلة ، والمعالم الأثرية المدهشة . وها نحن نذكر أهمَّ تلك المعالم التي ما زالت والحمدُ لله ، ماثلةً للعيان ، ومثبتةً أن الحلبيين ، مشهورون بذوقهم السليم ، وحبِّهم الوافر للفن العربي الرفيـع .

---

(١) أقيمت الحفلة الأولى في مساء يوم الأحد ٣ تموز ١٩٥٣ ، والحفلة الثانية مساء الخميس ٢٧ ايلول ١٩٥٦ .



الأعمدة الرخامية البديعة في المدرسة الحلوية حالياً

المدرسة الحلوية : وكانت تُعرَف بالكنيسة الهيلانية ، لأنها بُنيت في القرن الرابع للميلاد [١] على اسم القديسة هيلانة والدة الامبراطور قسطنطين ، وعلى طراز بيزنطي يشبه طراز آجيا صوفيا في القسطنطينية . وفي القرن الثاني عشر ، وبعد جلاء الغزاة الصليبيين عن ربوعنا ، حوّلت الى مدرسة وجامع . وقد حافظ الاسلام على إبقاء أعمدتها الرخامية الصفراء المزدانة بتيجان محلاة بأوراق الكنكر . وبلغ من دقة وجودة نقش تلك الأوراق ، أنها تبدو وكأنها تميل اذا حركتها أيدي الهواء . وقد صنع لها نور الدين زنكي محراباً من الخشب الملوّن والمرصّع بالعاج وعليه كتابات جميلة وبارزة . وكان المحراب المشار اليه كثير الشبه بالمنبر

(١) ذكر الاستاذ صبحي صواف أنها بنيت في القرن الخامس الميلادي . ولعل ما ذكرناه هو الأصح .

الحلبي البديع المنتصب في المسجد الأقصى بالقدس. ومدرسة الحلوية واقعة على مقربة من الجامع الأموي الكبير ، ويقصدها كثير من السياح ومحبو الآثار التاريخية القديمة .

قلعة سمعان : تقع على بعد حوالي ٤٠ كيلو متراً إلى الشمال الغربي من حلب ، وتنسَب إلى سمعان العمودي الأكبر الذي وُلِدَ في سيسان نحو سنة ٣٨٩ م والذي تَرَهَّبَ وتنسَّكَ في جبل سمعان وعاش ٣٧ سنة على عمود من الحجر . وقد بنيت حولَ العمود كنيسة كبرى يحيط بها دير واسع . ويُعَدُّ الدير والكنيسة من روائع الهندسة المسيحية السورية. توفيَ مار سمعان العمودي حوالي سنة ٤٥٩ م .

البيمارستان الأرغوني : البيمارستان أو المارستان ، كلمة فارسية معناها مكان المرضى وهو المعروف عندنا اليوم بالمشفى أو المستشفى . وكان الوليد بن عبدالملك الأموي ، أولَ من أنشأ المستشفيات ، فانه أسس مارستاناً بدمشق سنة ٨٨ هـ ٧٠٦ م وجعل له أطباء وأمر بحبس المجذومين ، وأجرى لهم الأرزاق . أما البيمارستان الأرغوني ، فقد شيَّده داخل باب قنسرين بحلب سنة ٧٥٥ هـ الامير سيف الدين ارغون الكاملي، ولذلك نُسِبَ اليه وعرف باسمه وكان بيمارستاناً عظيماً لا نظير له في ديارنا من جهة سمته ، واتقان عمارته وزخرفته ، وقد أعدَّ له بانيه الاطباء المهرة والخدم المخلصين ، وأحسن الأدوات الطبية التي كانت معروفةً في ذلك العهد . وبقيَ هذا البيمارستان مزدهراً الى أواخر القرن العاشر الهجري ، ثمَّ اهمل وغدا مكاناً للمجانين . ولهذا أطلِقَ المارستان على المكان الذي يُحبس فيه المصابون بالأمراض العقلية (١) .

---

(١) في الصفحات ١٥٧ ـ ١٦٠ من مجلة الضاد ١٩٧٢ مقال بديع عن البيارستان المذكور بقلم الطيب الذكر عبدالرزاق الميري .

مدرسة الفردوس : تقع في المحلة المعروفة باسم « الفردوس » والكائنة خارج باب المقام في جنوب محلة المعادي ، وتضمُّ مدرسةً وجامعاً هما من أروع الآثار الاسلامية في الشهباء ، شيدتها الملكة ضيفة خاتون بنت الملك العادل أبي بكر محمد، وزوجة الملك الظاهر غازي ملك حلب ابن السلطان صلاح الدين الايوبي ووالدة الملك العزيز ، ومن أجمل ما في جامع الفردوس المحراب ، فانه رائع الصنعة والنقوش والاتقان . وقد قال فيه ابن العديم : « وهو من أعاجيب الدنيا يرى الناظر اليه وجهَهُ من صفاء معدنـهِ » . وقال محمد بن علي بن ابراهيم بن شدّاد الحلبي عن هذه المدرسة : « بناؤها عظيم بالحجارة الهرقلية ، وهي كثيرة الاماكن ، وفيها أعمدة من الرخام الاصفر ، وفيها بركة تشبه بركة الظاهرية يأتي اليها الماء من بستانها من دولاب » . بنيت مدرسة الفردوس سنة ٦٣٣ هـ ١٢٣٦ م . ومن أحسن ما قيل في هذا المكان شعراً هذان البيتان :

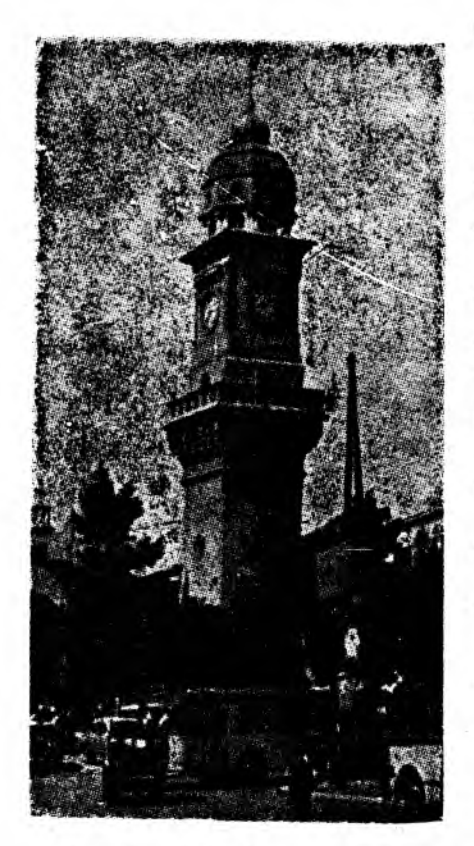
في بابِ فردوس حلَبْ سِفْرٌ منَ الخطِّ عجَبْ
فيه صِحافٌ مِنْ ذَهبْ هُنَّ صِحاف منْ ذَهَبْ[1]

والمعنى واضح بين (ذهَب) أي « التبر » المعدِنُ الغالي الثمن . وبين (ذَهَبَ) أي : سار أو مضى .

الجميلية : أنشئت محلة الجميلية سنة ١٣٠٠ هـ ١٨٨٢ م. وعُرفت بهذا الاسم نسبةً إلى منشئها جميل باشا . أما اسمها في السجلات الرسمية بحلب فهو (سليمية) نسبةً إلى سليم ابن السلطان عبدالحميد الثاني . وأولُ بناء اقيم في هذه المحلة عام ١٨٨٢ هو « المكتب السلطاني » وكان يُعرف بـ « المكتب الاعدادي » وهو اليوم « ثانوية المأمون » وقد انتهى بناؤه سنة ١٣١٦ هـ ١٨٩٨ م .

---

(١) مجلة الضاد العدد ١ و ٢ عام ١٩٧٣ ص ٧٣ ـ ٨٠



ساعة باب الفرج : بناها والي حلب رائف باشا على انقاض قسطل السلطان . وقد احتُفل بوضع حجر أساس برج الساعة سنة ١٨٩٨ . وبلغت نفقات بنائه يومئذ نحو / ١٥٠٠ / ليرة عثمانية ذهباً جُمِع نصفها من أهل الثروة ودُفِع نصفها الآخر من صندوق البلدية وكان رئيسها بشير الاوبري ومهندس الولاية السيد شارتيه . وقد أرّخ نصبَ الساعة الشاعر عبدالفتاح الطرابيشي (١٨٦٠ - ١٩١٢) بهذين البيتين :

لقد شيدَ في الشهبا منارةُ ساعةٍ بعصر حميدٍ عنْ علاهُ غدَت تَرْوي

وجاءَتْ كما يهواهُ رائف أرّخوا تُنبيهُ للأوقاتِ من كان في لهـو

واكتمل بناء برج ساعة باب الفرج ، وبناء الاحواض التي تحيط بها من ثلاث جهات سنة ١٣١٧ هـ ١٨٩٩ م . وفي عهد رائف باشا ، فتحت جادة الخندق الممتدة بين العوينة وبين باب الحديد . وفي أيام ولايته خططت أول خارطه لمدينة حلب ، وقامت فيها أعمال عمرانية عديدة منها: متنزّه السبيل ، والشارع الممتد من مزار السهروردي قرب بناية البريد

القديمة إلى محطة الشام ، والجسر الذي كان فوق نهر قويق في ساحة سعدالله الجابري أمام الفندق السياحي اليوم (١) .

متنزه السبيل : بدأت بلدية حلب ببنائه سنة ١٣١٤ هـ ١٨٩٦ م. وكان اسمه « سبيل الدراويش » . وقد تبرّع السيد جرجي بن سمعان خياط الموصلي الأصل الحلبي المولد والنشأة ، بالقسم الأكبر من أرضه . وبعد سنتين ، أي في عام ١٨٩٨ ، بُنِيَ على مقربةٍ منَ السبيل ، مخفر شرطة لحراسته من اللصوص وقطاع الطرق الذين كانوا قبل ذلك يتعرضون للمارة ويسلبونهم أموالهم . وقد تبرعت بأثاث المخفر المذكور ، السيدة اكليليا خوري قرينة السيد جرجي خياط المشار اليه ، فمنحتها الحكومة وسامَ الشفقة .

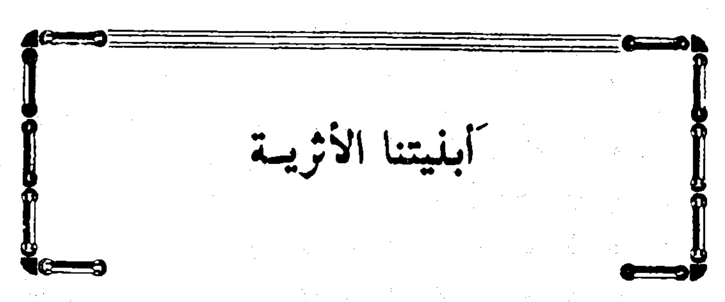
زقاق الأربعين : أنشئت محلة زقاق الاربعين في عهد السلطان سليم العثماني - في منتصف القرن السادس عشر - فبعد استيلائه على حلب ، أحضر إليها أربعين أسرة من المسيحين ليقوي بهم تجارة الشهباء (٢) .

المنشية القديمة : أنشئت في محلة العزيزية سنة ١٣١٨ هـ ١٩٠٠ م. بسعي جرجي بن سمعان خياط ، فقد قام بجمع المال من وجوه تلك المحلة وتبرّع بثلثمائة ليرة عثمانية ذهباً من ماله ، وكانت المنشية القديمة الكائنة في بناء مخفر العزيزية حالياً ، تشتمل على أزهار بديعة ، وأشجار جبلية متنوعة في جملتها الصنوبر الحلبي، وتزدان بحوضٍ صُنِعَ على هيئة مضيق الدردنيل في اسطنبول . وكان بجانب الحوض شبهُ جبل صغير يتدفق منه الماء فيخيِّل للناظرين اليه ، أنّه ينبع من عين طبيعية .

---

(١) انظر مقالاً بديعاً كتبه عن ساعة باب الفرج الطيب الذكر عبدالرزاق الميري ونشره في مجلة الضاد - العددان ١ و ٢ عام ١٩٧١ ص ٨٠ - ٨٤ .

(٢) « نهر الذهب في تاريخ حلب » للشيخ كامل الغزي ج ٢ ص ٤٢٧ .



أبنيتنا الأثرية

تتعرض المدن السورية عامةً ، ومدينة حلب على الأخص ، لجائحة خطرة يقوم بها تجار الأبنية والأراضي ، فيعمدون إلى هدم البيوت المشيّدة على الطراز العربي الأنيق المستحب ، ليقيموا على أنقاضها أبنيةً كعلب العطارين ، بعضها فوق بعضها الآخر ، وكلُّ همهم الربح الوافر ، والثراء العاجل .

وكثيراً ما هُدِمَتْ أبنية كانت على جانب كبير من الحسن والمتانة ودقّة النقش والزخرفة . أبنية كانت تمثّل بوضوح الذوقَ العربيَّ السليم . ففي حيٍّ العزيزية وحده ، عبث الطامعون بعشرات من أفخم البنايات واستبدلوها بمساكن لا تمتاز إلا بما تدرّه على أصحابها من ربح كبير .

وكانت جمعيةُ العاديات في حلب ، قد رفعت الى المسؤولين ورجالات الفكر والاعلام ، وأصحاب الوعي والغيرة على مخلفات الآباء والاجداد ، مذكرةً مسهبة ، أوضحت فيها تلك الجائحة الشديدة الوطأة ، التي تقضي قضاءً مبرماً على دور تمتاز بنقوش بديعة ، ومقرنصات وأعمدة وحنايا رائعة ، يتجلى فيها الفنُّ السوري بأجلى مظاهره وأجمل مقوّماته .

ومما جاء في تلك المذكرة : « لقد أحصيَ مجموع مساحات الأبنية التي هُدمت في المدينة القديمة فيما هو داخل السور ، فكانت نسبته ٨٠٪

من مساحة تلك المدينة دون جدال ، وبصورة متصل بهذه النسبة إلى ٩٠ ٪ ولن تمثل النسبة المتبقية وهي ١٠ ٪ إلا مساحة الجوامع القديمة ، التي سوف تعصى على معاول الهدم » .

لقد شاركت جمعيةُ العاديات في كثيرٍ من المؤتمرات العلمية والندوات التاريخية ، وخاضت مناقشات حامية ترمي إلى صيانة كل أثر نفيس ، والمحافظة على كل دارٍ فيها من فنّ العمارة طابع أصيل وجميل . ذلك أن هذه الجمعية ، تعتقد بحقّ ، أنّ في حماية آثارنا القديمة ، حمايةً لتاريخنا وتراثنا وفنوننا الرفيعة .

ويؤكد كثير من علماء الآثار الغربيين ، أنّ مدينة حلب ، تُعَدُّ واحدةً من المدن الأربع الأكثر جمالاً في العالم كلّه . ويقرّر السيد كونيام مدير معهد اللوفر بباريس ، أنّ حلب إحدى ثلاثِ مدن بقيت تفوق بلاد المعمورة بمظهر المدينة التاريخية .

هذه المدينة العريقةُ العزيزة ، تطالب كلّ الشرفاء والمخلصين من أبنائها ، وكلّ الغيارى الطيّبين من أبناء وطننا ، أن يحافظوا على التراث الهندسي في الشهباء ، وألاّ يفرّطوا بأي أثرٍ من آثارها ، لأن ما يُفرّط به لا يعوَّض ، ولأن حلب القديمة « متحف متكامل ضمّ أطرزةً من البناء ، مختلفة ، رائعة ، نادرة المثال » .

« إن العالم بأسره ، بات يفتش عن تراث البناءِ القديم والوحدات السكنية القديمة المتكاملة . والحكومة السورية أقرّت في مؤتمر الآثار العربي السابع ، توصية اليونسكو بالحفاظ على وحدة الحي السكني . فالحيُّ السكني في مدينة حلب ، تتراصف في شوارعه الشرفاتُ الخشبية تراصفاً رشيقاً ، وتتنوّع فيه الزخارف الحجرية التي ابتدعها الفنّان الحلبي ،

هذه الزخارف لا يجوز لنا أن نقضي عليها ، وهاتيك المنازل ذات الطابع الحلبي الهندسي الفريد ، يجب أن تبقى شاهداً على عبقرية أسلافنا الكرام ، وعلى ما كانوا عليه من سمو الذوق ، وصفاء الفكر ، ووفرة الحب للفن والجمال .

كان أجدادنا يبالغون في تجميل دورهم ، وزخرفة قاعاتها بقطع القيشاني الزاهية والخشب المخرّم والملوّن ، وبالآيات الكريمة وبالأبيات الشعرية البليغة المكتوبة بأبدع الخطوط ، والموّهة بماء الذهب وذوب الفضة . وكانوا يجعلون لكل دار إيواناً يسمّونه « الايوان » وبركةً من المرمر الأبيض ، أو من الحجر الأصفر المصقول في وسطها فسقيةٌ تعلوها نافورةٌ تتصاعد منها خيوط الماء ، فتجلو النواظر وتشرح الصدور .

وقد التفت الحلبيون الى تركيز مياه الامطار في صهاريج وأقبية تحت الأرض ، كانوا يشربون منها ، وهي عذبة باردة . وما زال بعضهم يفضل ماءَ الصهريج على ماء الفرات .

وليس هذا فحسب ، فقد كانت الاشجار والازهار من مستلزمات البيت الحلبي . ففي كل دار تقريباً كانت تقوم أشجار الكبّاد والبرتقال والنارنج والليمون وتنتشر عرائش العنب والياسمين ، وأصص « شقوف » الفل والورد والقرنفل والريحان .

وقد سبق أنْ قلنا ، أن بيوتات العزّ والجاه عندنا ، كانت تهتمّ بشئون الطرب ، وتشيّد في قاعاتها ورحبات دورها أمكنةً مرتفعة خاصة ، تجلس فيها جوقات المطربين وتنبسط أمامها فسحات تستوعب الراقصات والراقصين .

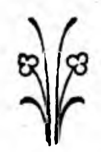


المهندس الاستاذ
محمد ناجي العطري

ومما يؤسف له أشدّ الأسف ، أن عدداً لا يُستهان به من تلك الدور الرحبة قد هُدِم ، ولم يبقَ سوى دور أثرية معدودة ، بعضها في الصليبة كدار آل اجقباش ، وبعضها في حارة السيسي كدار آل دلاّل ودار آل وكيل ، وبعضها الآخر في الفرافرة والبندرة كدار آل بولاد ، فضلاً عن عدد الدور الموزعة في بعض الاحياء القديمة .

ولولا يقظةُ مصلحة الآثار ، وغيرةُ جمعية العاديات ، لقُضيَ على البقية الباقية من دورنا القديمة الجميلة .

إننا نناشد مصلحة الآثار وبلدية حلب ، وعلى رأسها المهندس القدير الغيور السيد محمد ناجي العطري رئيس مجلس مدينتنا الطيبة ، أن تقفا في وجه كلِّ طامع يحاول أن يهدم بيتاً أثرياً ليقيمَ مكانه بناءً تجارياً ، أو وحدةً سكنية . ففي السهول الممتدّة في أربعة أطراف الشهباء ، مجال واسع جداً للعمران ، فليتجه تجار البناء الى تلك السهول ، وليرفعوا فيها ما يشاءون من « عمارات » . أما دورنا الأثرية ، فليتركوها في حرَمِ التاريخ ، لأنها ملكٌ له وللعلم والفنّ والانسانية جمعاء .



من ذكريات الفتوة

تحملني أجنحة الذكريات إلى أيام الفتوّة وعهد الصبّا، وتُعيد عليَّ صوراً جميلة، أرى فيها ملاعب الطفولة حيناً، ومسارح الشباب أحياناً، فأشعر بنشوةٍ تغمر روحي، وترنح أعطافي زهواً ومرحاً، وأتمنى من صميم القلب، لو عاد بي الزمن الى الوراء، ولو عقدين أو ثلاثة عقود، لأغتنم ما فاتني من فـرص اللهو البريء، والحبّ العذري، والمُتَع النفسية التي لم نعد نعرف لها طعماً في عصر التلفزيون الذي غيَّرَ مجرى حياتنا، وبدّل سهراتنا العائلية الحافلة بالسمر الحلو، والنغم المذّب، والألعاب المسلية، والأحاديث الفكهة والمفيدة، بالصخب المرهق للاعصاب، وبالأخبار التي تشم منها رائحة البارود، وتلمس فيها جور القوي، وطغيان الصهيونية والامبريالية ومن لفّ لفها من الغزاة الآثمين.

ولكن هل من الممكن أن يعودَ الشباب، أو أنْ يدومَ لانسان وقد قيل في معرض الحِكَم: شباب دائم، وقمر دائم، وربيع دائم، مستحيلات ثلاثة، تضاف إلى خرافاتٍ ثلاث وهي: الغولُ والعنقاء والخِلُّ الوفي.

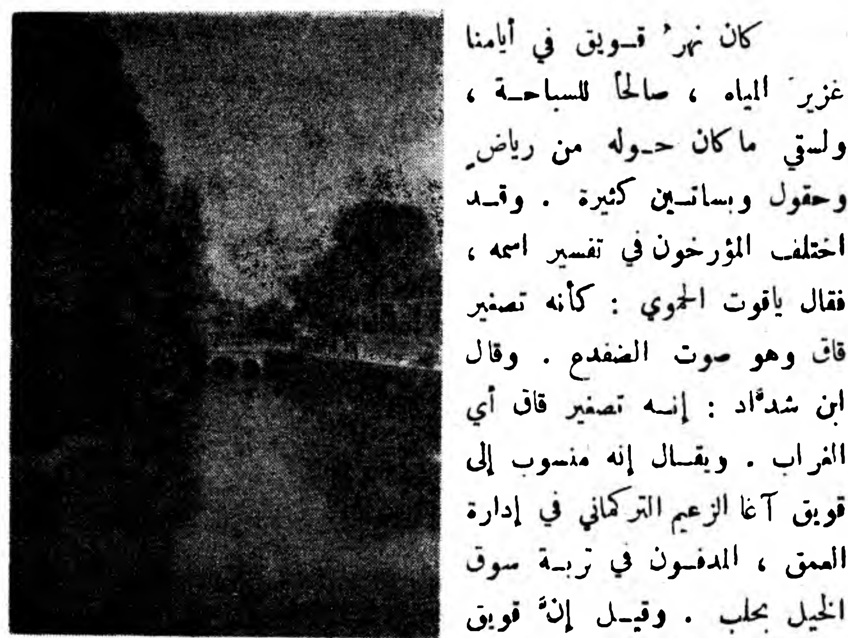
والواقع أنّ عهدَ الفتوّة الذي مضى إلى غير رجعة، كان شديدَ الوطأةِ عليَّ وعلى أبناء جيلي. ومع ذلك أتوق اليه، وأحنُّ إلى ما كان يسوده من بساطةٍ في العيش، وهدوء في الحياة، وقناعة تتمثّل فيها السعادة بأجلى معانيها.

كنت وحيداً بين خمس بنات، وكنت أحظى بنوعٍ من العناية

والرعاية والدلال . وبالرغم من ذلك ، كانت عليَّ واجبات ينبغي لي أن أقوم بها ، بعد انصرافي من المدرسة ، وفي أيام العطلة المدرسية . كان عليَّ مثلاً ، أن اذهب مع أبي إلى السوق ، وأحمل أكثر مما أستطيع من الفواكه والخضار ، أو أن اذهبَ إلى الفرن لأحضر دفةَ الخبز ، أو صينية الكبة أو طبقَ اللحم بالعجين . وكان ممنوعاً عليَّ وعلى من هم في مثل سني ، أن نتأخر عن دخول البيت . فاذا أزفت ساعةُ الغروب احتوانا المنزل ، وجلسنا في الشتاء حول المدفأة التي كانت تسمَّى « المنقل »[1] نراجع دروسنا ثم نتناول طعام العشاء ، من على صينية نحاسية ، ونذهب الى فراشنا باكراً ، ونستيقظ مع إطلالة الشمس .

أما اذا جاء من يسهر عندنا ، فيتحتَّم علينا أن نرحِّبَ به ، ونخلي غرفة الضيوف للكبار ، ومن غير اللائق أن نستمعَ الى حديثهم ، ونخاطبهم إذا كانوا من الاصدقاء والخلاَّن . أمّا الأهل ، فكانت تجمعنا بهم المواسم والاعياد ، وكان على الصغير أن يقبِّل يدَ الكبير . ثمَّ يرفعها الى جبينه علامة الإجلال والاحترام . وكم كنا نفرح ونبتهج عندما كان يمدُّ الكبير يمينَهُ الى كيس نقوده – وكان يسمى كيس الخرجية – ويقدِّم الينا « العيدية » وهي قطعة معدنية أو فضية ، لا نكاد نتسلمها حتى نسرع إما إلى صندوق العجائب والغرائب ، لنرى من خلال العدسات المكبرة صورَ عنترة بن شدَّاد ، وسالم الزير ، وقطوم المغربية ، وإمَّا إلى بائع « المعلِّل » لنشتري غزلَ البنات الملوَّن بلون الأصيل ، والمسبَّل كشعر الغانيات والغيد الحسان .

(١) كان يصنع « المنقل » من النحاس الأصفر ، أو من النحاس الأحمر ويملأ بالجمر ، ويوضع في منتصف صالة الاستقبال ، أو في غرفة الجلوس . والفقراء كانوا يصطلون علي قصعة كبيرة من الفخار تسمى « الفضارة » وقد جاء في « المنجد » : الفضارة : القصعة الكبيرة . والغضار : خزف أخضر ° الطين الحر .



كان نهرُ قويق في أيامنا غزيرَ المياه ، صالحاً للسباحة ، ولسقي ما كان حوله من رياضٍ وحقول وبساتين كثيرة . وقد اختلف المؤرخون في تفسير اسمه ، فقال ياقوت الحموي : كأنه تصغير قاق وهو صوت الضفدع . وقال ابن شدّاد : إنه تصغير قاق أي الغراب . ويقال إنه منسوب إلى قويق آغا الزعيم التركماني في إدارة العمق ، المدفون في تربة سوق الخيل بحلب . وقيل إنّ قويق محرّفة عن (قَوَق) وهو اسم الحور بالتركية ، لأنّ أشجار الحور كانت منتشرة على شاطئيه فقيل بالتركية : « قوَق نهري » أي نهر الحور . وفي عينتاب اسم (قوقلق) أي مغرسة الحور . واسمه القديم شالوس أو (خالس) .

نهر قويق وأحد الجسور الممتدة عليه

ولم تكن مياه نهرنا نقيةً ولا عذْبة ، فكنا نشرب من مياه عين التل التي كانت تسيل من حنفيات منتشرة في بعض شوارعنا . وكان علينا إما أن نسعى الى تلك الحنفيات ونملأ منها جرارنا ، وإما أن نشتري الماءَ من باعة يحملونها الينا . وكان أكثر أولئك الباعة من النساء الموشيات المتعممات بعمائم كبيرة وملونة . واذكر ان ثمن تنكة الماء كان برغوداً صغيراً (١) وربما بيعت بأقل من ذلك .

---

(١) عملة عثمانية فضية .

وكنا في بعض الأحيان نشرب من مياه الآبار . أمّا الاغنياء فكانوا يشربون من المياه الباردة والحلوة المتجمعة في الصهاريج الخاصة المحفورة في دورهم ، وبعضهم كانوا يجلبون من قرية بيلان الكائنة بين حلب والاسكندرونة الماءَ المشهور بعذوبته وخفته وملاءمته للصحة ، ومنهم من كان يأتي به من بلدة كلّس القريبة من اعزاز والتابعة لولاية حلب .

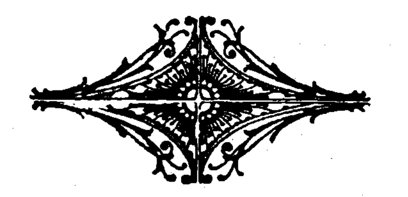
وما زلت أذكر حتى اليوم ، أنه كان عليّ وأنا الولد الوحيد المدلّل أن أنزح الماءَ من أعماق بئر بيتنا . وعندما كانوا يغسلون باحةَ دارنا في أصيل كل يومٍ من أيام الصيف ، كنتُ أجبر على أن أسحب الدلوَ المملوء بالماء من أعماق أربعين أو خمسين باعاً ، بواسطة حبلٍ غليظ رُكبَ على بكرةٍ من الحديد . وكان غسل الباحة يحتاج إلى نحو ثلاثين دلواً ، وكان الحبل يمزّق جلدَ راحتيَّ ، ويترك فيهما بعض القروح والدمامل .

وبالرغم من الرخص الذي كان سائداً في ذلك الزمن ، لم يكن يُسمح لنا أن ننتعلَ الحذاءَ الجديد ، إلاّ في أيام الآحاد والأعياد . أما في بقية الاوقات ، فكنا نلبس القبقاب أو الحذاء العتيق ، لأنَّ شوارعنا كانت مملوءةً بالوحول ، وحافلة بالحُفرِ والاخاديد ، التي كثيراً ما كنا نقع فيها فتتلوث ثيابنا بالطين .

كانت بيوتنا مبنيةً على الطراز العربيّ القديم ، ومعظم أسطحة تلك البيوت يتصل بعضُها ببعضها الآخر . وكان سكان الحيِّ الواحد ، كأعضاء العائلة الواحدة ، يتسامرون في الليل على تلك الاسطحة . ويتعاونون في النهار تعاوناً وثيقاً . ولا سيما في فصل الربيع عندما يموّنون الجبن ، وفي أواخر فصل الصيف عندما يسلقون الحنطة وينقون البرغل

ويطحنونه ويعملون على تقوير الباذنجان والكوسى والقرع لتكون مونةً للشتاء . وكان الجيران يشارك بعضهم بعضاً في السراء والضراء ، لانهم كانوا يمتازون بطيبِ القلب ، ووفرة الحميَّة والنخوة ، والاخلاص المتسم بالغيرة على أهل الحيّ كلهم .

لقد كان الجميع في هاتيكَ الايام ، يتحلَّون بمناقبَ عربية سامية ، ويتوخّون الصدقَ والصراحة في معاملاتهم ، ويهرعون لنجدة المنكوبين ورقيقي الحال من إخوانهم وجيرانهم . أمّا اليوم فقد تغيّرت الحال بين المواطنين ، وأصبح كثير من السكان ، لا يعرفون جيرانهم ، حتى في البناية الواحدة ، ولا يحترمون إلاّ المادة ، فالمال عندهم فوق كلّ اعتبار ، وعليه المعوّل في كلّ أمر .



التلُّ فشار

في مطلع العشرينات ، كانت مساحاتٌ كبيرةٌ جداً من اراضي حلب ، مغطاةً بمئات ومئات ، من البساتين والرياض والكروم . فقد كان نهرُ قويق غزير المياه ، لا يقوى على السباحة فيه ، إلاّ السبّاحون البارعون ذوو العضلات المتينة ، والسواعد المفتولة ، والالمام الواسع بمخاطر هذا النهر ، وبما كان فيه من أمكنةٍ ذات تيارات مائية قوية تدور على نفسها بسرعةٍ هائلة ، وتُسمّى « الدوّار » وتشدُّ اليها السابح المبتدىء ، وتلتفُّ عليه كالأخطبوط ، وتبتلعه في لحظات ليخرجَ بعد قليل ، جثةً هامدةً تطفو على سطح الماء .

ولقد شاهدتُ بأمّ عيني في الموضع المعروف بالصيرفي ، فتىً في اول شبابه ، تبتلعه لجةُ ذلك النهر ، ثم يحمله التيّار إلى مكانٍ بعيد ، جسداً لا حراكَ فيه .

إنّ هذا النهر الذي كان الموبةَ الشعراء والمشنّعين وأصحاب النكتة ، كان يفيض في أواخر الشتاء واوائل الربيع ، فيغمر بمياهه كلّ ما يجاوره من بساتين وحقول . وقد تتسرّب المياه إلى الدور القريبة منه .

وأذكرُ جيّداً أنّ قويق كان في مطلع فتوّتي كثيرَ الماء ، دائمَ الجريان ، تنتشر على جانبيه البساتين والجنان . ومن أشهر بساتين حلب كان بستان الجانكية وبستان الباشا وبستان الساعاتي الكبير والساعاتي

الصغير وبستان أجق انا . وكان بستان « الفرخة » القريب من حيلان ، يُعتبر بحقٍّ أجملَ بساتيننا وأكثرها خيراً وأطيبها ثمراً . وكان المحامي الأديب جرجي خياط رحمه الله ، يملك ذلك البستان ولا يسمح بدخوله إلاّ بأذنٍ خاص يوقّعه بامضائه .

وفي مطلع الثلاثينات استدعاني الاستاذ خياط ، وكان منزله أمام التكيّة المولوية ، وعلى بعد خمسين متراً فقط من ساعة باب الفرج ، استدعاني ليبديَ ارتياحه لما كنتُ أنشره في مجلتي « الكلمة » و « الضاد » وفي جريدة « التقدّم » من مقالات وأبيات وقصص قصيرة ، وقد شجّعني بعباراتٍ زادتني همةً ونشاطاً وثقةً بنفسي .

وعندما توثّقت بيننا عُرى الصداقة ، منحني جرجي افندي ـ وكان يُعرَف بهذا اللقب ـ اذناً يخوّلني دخول بستانه مع من أريد من أهلي وصحبي . وأشهد أنّهُ اروع بستان وقعت عليه عيني حتى الآن . وبعد وفاة صاحبه ، لعبت به يدُ الاهمال ، فنضبت سواقيه وذوت أزهارُه ويبست أشجارُه ، كما يبست ملايين الاشجار والهوالي التي كانت تزيّن حلب ، وتُمدُّ ثروةً زراعيةً كبيرة كانت تحمل الينا ، أطيب الفواكه ، واحسن الثمار والخضار .

ومثلما تمتاز دمشق بغوطتها ، هكذا كانت حلب تمتاز بغوطتين : الأولى في الشمال وتشغل مساحةً شاسعة تمتدُّ من « باب الله » إلى المسلمية . والثانية في الجنوب ، وتمتدُّ من الفيض إلى قرية « الوضيحي » الواقعة على بعد ١٥ كيلو متراً تقريباً من الشهباء . أمّا كروم الفستق ، فقد كانت وما زال العديد منها منتشراً في « النيرب » شرقي حلب . وقد تغنّى بالفستق الحلبي أشهر شعرائنا ، وتفننوا تفنناً عجيباً في وصفه ، ولاسيّما عندما تحمرُّ وجناته وتتشقق حبّاته في الليالي المقمرة ، ويُسمعُ لتشققه

صوت تخاله زقزقةَ عصافير صغيرة تهمُّ بمغادرة أعشاشها .

وكان معظم أحيائنا الجديدة ، كمنطقة الميدان والصيرفي والسليمانية وشارع بغداد والشيخ طه وجسر المزة تحليها الجنان والرياض والبساتين والمتنزهات الجميلة ، وكانت « جنينة التاقي » أو التقي ، مشهورةً بمائها وزهرها وأشجارها الباسقة . وكان من المستحيل أن يدخلها أحد إلاّ بمعرفة أصحابها .

وكان آباؤنا إذا انصرفوا من أعمالهم ، يتجهون في أصائل أيام الربيع والصيف واوائل الخريف إلى هاتيك البساتين والمتنزهات ، فيجلسون على شاطىء النهر ، أو بجوار ساقية رقراقة ، أو بقرب عين ماء ، يتجاذبون أطرافَ الحديث ، وينثرون النكات والنوادر والفكاهات .

وكانت تدور على ألسنة الحلبيين في ذلك العهد ، كلمتان هما « التلْ بشار » . والصحيح أن يُقال « التل فشار » ـ بالفاء لا بالباء ـ . وقد جاء في كتاب « محيط المحيط » للمعلم بطرس البستاني ـ مادة فشَرَ ـ ما نصُّه : « الفُشار : الهذيان . وليس من كلام العرب . والعامة تبني منه فعلاً فتقول ، فَشَر وفشَّرَ » .

فالفُشار إذن معناهُ الهذيان ، وقد حُرِّف الى « بشار » بابدال الفاء باءً ، لانّ « البشار » ألطفُ وقعاً على الأسماع وأحسن معنى من الفشار . وكان يُقال لمن عُرِف بالكذب وتلفيق الكلام « فشروي » أو « فشّار » وعامتنا تقول حتى اليوم للكذاب : « فشرْتَ » .

أما كلمة « التل » ففي اعتقادنا ، أنَّ آباءَنا بعد انصرافهم من أعمالهم كان يقصد كلُّ جماعةٍ منهم ، تلاًّ أخضر تحفُّ به الاشجار والمياه ، ثمَّ رأوا بعد ذلك ، أن يجتمعوا في الحقول والرياض والبساتين ، وأن يجلسوا

حيث يكثر الماء ، ويطيب الهواء ، وتتفتح الزهور ، فذلك أيسر من صعود التلّ ، ومنظر الزهر والشجر من حولهم ، أحبُّ إلى القلب والبصر .

وكان أبي ورهط من أصدقائه أذكر منهم يوسف سابا وعبود توما وجرجي فرقوعة وميخائيل والياس بسيليس - رحمهم الله جميعاً - من روّاد « التل بشار » وكانوا يقصدون بستاناً بُنيت على أرضه في عهد الوحدة بين سورية ومصر ، محكمةُ الأمن القومي . وهناك كانوا يتبادلون الأحاديث ، ويروون الأخبار ، ويشربون القهوة العربية ، ويستنشقون النسيم العليل ، وعند الغروب يعودون إلى منازلهم مزودين بالمرح والنشاط .

ولن أبالغَ او انحيَّزَ إذا قلت ، إن والدي كان أكثر رفاقه ثقافهً عامة ، واطلاعاً على ما يجري في العالم من تطوّرات اجتماعية ، وما يحدث فيه من اختراعات عصرية ، وابتكارات علمية ، فقد كان منذ صغرهِ مولعاً بالقراءة وشراء الكتب والصحف . وعندما صار شاباً اشترك في العديد من المجلات الراقية كالمقتطف والضياء والهلال والنفائس المصرية واللطائف المصورة ، واقتنى جميع مؤلفات ابي العلاء المعرّي ، ومعظم كتب جرجي زيدان ، ودائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي .

وكان معجباً أشدَّ الاعجاب بفلسفة المعري ، وبمؤلفات زيدان الأدبية والتاريخية ، وبنظريات صاحبي « المقتطف » يعقوب صروف وفارس نمر . ولعله من الانصاف ، أن اعترف هنا ، أني مدين لوالدي ، بحبّ الادب ، فقد زرع في قلبي مذ كنت طفلاً ، بذورَ المعرفة ، وجعلني اعشق الكتاب ، وا كبُّ على المطالعة أناء الليل وأطراف النهار ، ووضع بين يديَّ كتباً كثيرة قيمّة ، كانت نواةَ مكتبتي الخاصة ، التي اعتزُّ بها اعتزاز أغنى الاغنياء بأنفس وأندر ما يملك من تحفٍ وجواهر .

وفي لقاءات « التل بشار » كان يتصدّى أبي لكلّ خرافة فيدحضها بالعلم الصحيح والمنطق السليم ، ويبين لعشرائه أنّ العقلَ سيخترع جهازاً يحمل الينا من أقاصي المعمورة ، أصوات الخطباء والمغنين وألحان الموسيقى ، ثمّ يتطوّر هذا الجهاز فيحمل الى الناس الصوت والصورةَ معاً . وكثيراً ما كان يؤكد انّ الانسان سيحطّ قدميه على سطح القمر ، وسيصل بعد ذلك الى المريخ ، ثمّ يجتازهما الى بعض الكواكب الأخرى ، وما زال عدد ممن سمعوا منه هذا الكلام أحياء يُرزقون .

كان روّاد « التل بشار » إذنْ من عامة الناس ، وقد أتيح لي في صغري ، أنْ أشهدَ بعضَ جلساتهم الحية ، وأن أسمعَ ما كانوا يتبادلون من أحاديث اكثرها من نسج الخيال . وما زالت في ذهني روايةٌ حملها أحد اولئك الروّاد ، حينما نشبت الثورةُ السورية الكبرى عام ١٩٢٥ ضدّ الانتداب الفرنسي ، فقد قال الرجل ـ وكان أمياً وبسيطاً طيّب القلب ـ : أسمعتم يا شباب ، لقد وصل الأسطول الفرنسي أمس إلى سهول حمص ، وأخشى أن يُصاب أبطالنا بأذى .

وهنا نظر بعضهم إلى القائل باستغراب ، وضحك بعضهم الآخر ، وأوضحوا لجليسهم أنّ الخبر لا أساس له من الصحة ، لأن الأسطول مجموعةٌ من السفن والبوارج البحرية لا البرية ، وأنه لا خوفَ على رجال يذودون عن وطنهم ببسالة وايمان .

و « التل بشار » كان حافلاً بامثال هذا الخبر الغريب . فقد كان « التل بشاريون » أناساً بسطاء يتحلّون بصفاء النفس ، وكرم الطبع ، ولطف العشرة ، وقد غابوا عن مسرح الوجود ، وغاب ذلك التلّ المستحبّ ، وامحت من الشهباء غوطتان رائعتان ، كانتا شامتينِ جميلتين في خد هذا البلد العربي الأصيل .

من مؤرخي حلب المشهورين

قال الشيخ كامل الغزي في الجزء الأول من كتابه « نهر الذهب في تاريخ حلب » : « إنَّ أوَّلَ من صنَّف تاريخاً خاصاً بحلب هو ابن أبي طي (يحيى بن أبي حميدة) الحلبي ، وسمَّاهُ (معادن الذهب) وهو تاريخ كبير وله ذيل عليه كما حكاه بعض المؤرخين » . وإننا ننشر في ما يلي نبذةً صغيرة عن عدد من مشاهير مؤرخي حلب :

١ ـ ابن العديم : هو المولى الصاحب كمال الدين أبو القاسم عمر ابن أحمد بن هبة الله بن العديم وُلِدَ في حلب عام ٥٨٨ هـ ـ ٥ كانون الأول ١١٩٢ م وتوفي بالقاهرة في ٢٠ جمادى الاولى ٦٦٠ هـ ـ ٢١ نيسان ١٢٦٢ م ، له « زُبدةُ الحَلَب من تاريخ حلب ». وكانت حلب في النصف الاول من القرن السابع الهجري عامرة بالمؤرخين ، حافلة بالعلماء والمدرسين ومحجة للقاصدين والوافدين اليها من كل الاقطار . اجتمع ابن العديم الى ياقوت الحموي في حلب [١] ، وعرفه ابن خلكان وسمع من القفطي وابن شداد . قال ابن شاكر الكتبي : « كان ـ اي ابن العديم ـ محدثاً فاضلاً ، ومؤرخاً صادقاً ، وفقيهاً مفتياً ، ومنشئاً بليغاً ، وكاتباً محموداً . ودرَّس وأفتى وصنَّف ، وترسل عن الملوك ، وكان رأساً في الخط لاسيَّما النسخ والحواشي » .

٢ ـ ابن شدَّاد : عز الدين أبو عبدالله محمد بن علي بن ابراهيم ابن شدَّاد الانصاري الحلبي . ولد بحلب في السادس من ذي الحجة سنة ٦١٣ هـ ـ آذار ١٢١٧ م ونشأ فيها ونُسِبُ إلى بني شدَّاد وألَّف

(١) عاش ياقوت في حلب أواخر أيامه الى سنة ٦٢٦ هـ حيث توفي ، كما عاش ابن خلكان في حلب من سنة ٦٢٦ ـ ٦٣٥ هـ .

كتباً كثيرةً وتوفيَ بمصر في ١٧ صفر سنة ٦٨٤ هـ - نيسان ١٢٨٥ م .
وكثيراً ما اختلط اسمه بأبي المحاسن يوسف بن رافع بن تميم قاضي حلب ،
الملقّب ببهاء الدين الفقيه الشافعي المولود بالموصل سنة ٥٣٩ والمتوفى بحلب
سنة ٦٣٢ هـ ولم يكـن له وارث . ولعـزّ الدين أبي عبدالله بن شدّاد
الحلبي كتاب « الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجـزيرة » عُنيَ
بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه الدكتور سامي الدهان وطبعه عام ١٣٧٥ -
١٩٥٦ . وقال ابن الفرات : « كان الوزير المشير عزّ الدين المـذكور ،
فاضلاً ديّناً ، مؤرخاً ، رئيساً معظماً عند الامراء الاكابر محبوباً اليهم » .

٣ - ابن الشحنة : هو أبو الفضل محمـد بن الشحنة المتـوفى عام
٨٩٠ هـ ١٤٨٥ م قاضٍ حنفي نشأ في حلب ثمّ سافر إلى القاهرة وعمل
في كتابة سرّ السلطنة . يُنسَب اليـه كتاب « الدرّ المنتخب في تاريـخ
مملكة حلب » قال الغزي في مقدمة كتابه « نهر الذهب في تاريـخ حلب »
ص ٩ « المشهور بين الناس عندنا أن تاريخ حلب هو لابن الشحنة ، مع
أننا لم نقف على تاريخ خاص بحلب مؤلَّف من قبل أحد بني الشحنة »
الى أن يقول : « ويوجد متداولاً بين أيدي الناس كتاب مشهـور عندهم
بتاريخ ابن الشحنة معظمه خاص في الـكلام على حلب وباقـيه على بعض
البلدان القريبة منها والداخلة في أعمالها وفيه أغلاط كثيرة » .

٤ - الشيخ كامل الغزي : هو كامل بن حسين بن مصطفى بالي
المشهور بالغزي . وُلِد بحلب عام ١٨٥٢ وعمل في حقول العلم والأدب
والتاريخ ، وانتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق . كان أحـــد
مؤسسي جمعية العاديات في حلب وأول رئيس لهذه الجمعية . ألّف كتاب
« نهر الذهب في تاريخ حلب » في ثلاثة أجـزاء كبيرة جمع فيها القديم
والحديث من تاريخ وطنه ، وقد تمّ طبعها في المطبعة المارونية بحلب في

١٩ صفر ١٢٤٥ هـ الموافق ٢٨ آب ١٩٢٦ م . تولّى الشيخ كامل الغزي عدّة وظائف مهمة منها رئاسة محكمة التجارة ورئاسة غرفة التجارة، ورئاسة مجلس بنك الزراعة وعضوية المجلس البلدي . وللغزي مؤلفات اخرى ، منها كتاب في الشرع دعاه « جلاء الظلمة في حقوق أهل الذمة». وله مقالات عديدة وقصائد حسنة منها قصيدته لابنه حسين وقد نشرتها « مجلة الضاد » بعنوان « وصية الغزّي لابنه » ومطلعها :

مولاي أنتَ المنعمُ المتفضّلُ　　　إياكَ كلُّ الكائناتِ تبجّلُ

توفاه الله يوم الاربعاء ١١ كانون الثاني ١٩٣٣ عن ثمانين عاماً ونيّف قضاها في خدمة العلم والحقّ والفضل وخصوصاً في خدمة مسقط رأسه حلب .

٥ - محمد راغب الطبّاخ : هو محمد راغب بن محمود بن هاشم الطباخ الحلبي . وُلِد في حلب عام ١٨٧٧ وتوفيَ فيها سنة ١٩٥١ كان رجلاً تقياً فاضلاً ، وأديباً محقّقاً مدققاً متمكناً من الأدب واللغة محباً للبحث والتنقيب عن كلّ ما يتصل بمدينته وتقاليد أهلها وعاداتهم ، عُيّن مديراً للمدرسة الخسروية التي أوصى ببنائها خسرو باشا . وقد عمل الاستاذ الطباخ في حقل التاريخ ، فألّفَ كتابه الشهير « اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء » الواقع في سبعة أجزاء ضخمة . طُبع الجزء الأول في المطبعة العلمية بحلب عام ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٣ م والجزء السابع والأخير طبع في المطبعة نفسها عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م . ويُعَدُّ هذا الكتاب أوسع ما كتبه مؤرخ عن حلب ، لأنه أحاط إحاطة كاملة بكلّ ما يجبُ أن يعرفه الباحثون والمؤرخون عن حلب ومؤرخيها وملحقاتها وتراجم علمائها وفضلائها واعيانها وكبار أسرها . مجموع صفحات الاجزاء السبعة ٤٠٣٥ صفحة من القطع الكبير ، ومجموع التراجم في الاجزاء الاربعة

الاخيرة ١٣٩٨ ترجمة ، وليس هذا بالشيء القليل .

٦ - خير الدين الأسدي : لم يعرفه أحدٌ كما عرفناه ، فقد بقيَ زميلنا سبعة عشر عاماً في تدريس اللغة العربية في المعهد العلماني (اللاييك) وكان يتردّد كل يومٍ تقريباً على مطبعة الضاد التي كنا نملكها ، وفيها طبع معظمَ مؤلفاته مثل : « أغاني القبة » - نفحات صوفية و « حلب » و « يا ليل » . ولد الأسدي في حيّ الجلوم بحلب عام ١٩٠٠ وتوفي في مبرّة حلب بتاريخ ٢٩ كانون الاول ١٩٧١ ودُفِنَ في حفرة مجهولة . بمقبرة الصالحين ، بدون أن يعرف أحد من أصدقائه ومحبيه بوفاته ، وأوصى بمكتبته لبلدية حلب . كان عالماً ومحققاً وأديباً رائع الاسلوب . ترك آثاراً مخطوطة منها « موسوعة حلب » يتولىٰ معهد التراث العلمي العربي طبعها بمنتهى الاتقان، وقد صدر الجزء الاول منها باشراف الاستاذ : محمد كمال . أكثر مقالاته منشورة في مجلة الضاد . وقد كرّمه الرئيس حافظ الاسد فمنحه ومنح ثلاثة علماء آخرين وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الاولى.

٧ - صبحي الصوّاف : وُلدَ في حلب عام ١٩٠٩ ولما أنهى دراسته الثانوية توظّف في مصلحة الآثار، ثم عُيِّن مفتشاً في متحف حلب. وفي عامي ١٩٣٨ و ١٩٣٩ درس علمَ الآثار في باريس ونال اجازته بتفوق، ولما تأسست جمعية العاديات عام ١٩٣١ كان أحد أعضائها ثم غدا مستشارها الفني . شارك في التنقيب عن آثارنا مع عددٍ من البعثات الأجنبية ، وألّفَ طائفةً من الكتب باللغات العربية والفرنسية والانكليزية عن تاريخ حلب وآثارها وعن المدنِ الميتة القريبة منها . نال ثلاثة أوسمة من إيطاليا والفاتيكان وفرنسا تقديراً لخدماته في مجال الآثار . توفاه الله في ٧ / ١٢ / ١٩٧٧ وأقيم له حفل تأبين مهيب في ٢٠ / ١ / ١٩٧٨ وأصدرت له مجلة « الضاد » في شهر ايلول ١٩٧٩ عدداً خاصاً أودعته كلَّ ما يجبُ الباحث المدقق أن يعرفه عن هذا العالم الأثري الكبير .

حلب

لنا في حلب قصائد عديدة ، وأبيات من الشعر كثيرة ، نقتصر هنا ، على نشر طائفةٍ منها ، راجين لمدينتنا العزيزة ، مزيداً من التقدّم والازدهار :

ع .

جثَمَ الجلالُ على رُباهــا ... والتبرُ لألأ في ثَراهــا
والحسنُ صافحَ أهلهـا ... وبثوبِهِ الزّاهي كساهـا
تستنشقُ الأرجَ الزكيَّ ... إذا نشقت شذا هواهـا
قد شمشمتْ فيها الفنونُ ... وموكبُ العلمِ اصطفاها
واختارها الأدبُ الرفيـعُ ... فزادها شرفاً وجاها
حلبُ مقرُّ النابغين ... يشعُّ في الدنيا سناها
فيها الكرامةُ رغمَ لؤْمِ ... الدهرِ لم تَفصَمْ عُراها
فيها الجنانُ الزاهراتُ ... تمُدُّ للعاني جناهـا
والفستقُ الغيرانُ يحكي ... في جوانيهـا الشِّفاها
يختالُ فوقَ غصونهِ ... كعرائس لبستْ حُلاها
لمّا أطلَّ البدرُ شقّتْ ... كلُّ فستقةٍ رداهـا
ورنَتْ إلى بدرِ الدُّجى ... فأعارهـا البدرُ انتباهـا
وتبادلا الحبَّ البريءَ ... ولستُ أدري ما مَراهـا
وتعانقـا ، فكأنّما ... أمُّ يُعانقهـا فتاهـا

★ ★ ★

حلبُ تمتُّ الى العُلا — نسباً كما متَّتْ ذُراها
رقَّتْ شمائلُ أهلها — فسرَتْ نسيماً في رُباها
هذي يمينُ العزِّ ما — زالتْ تُشيرُ الى حماها
ما غِبْتُ عنها ساعةً — إلاَّ حننتُ إلى لقاها

★ ★ ★

أبناؤها ملأوا البلادَ — كأنجمٍ ملأت سماها
أبناؤهـا في كلِّ قطرٍ — يحرصونَ على عُلاها
فكأنهم لا يرتضونَ — منَ الحياةِ سوى رضاها

★ ★ ★

شاخَ الزمانُ وقلعةٌ — الشهباءِ ظلَّتْ في صباها
ربضتْ على التلِّ الأشمِّ — فرَوَّعتْ أقوى عِداها
كم قائدٍ قد عاد عنها — خائباً لمَّا بَلاها
وتراجعت عنها النسورُ — كأنها تخشى أذاها
والدَّهرُ نازلها فما — ذلتْ ولا وَهنَتْ قُواها
إنَّ الملوكَ الصِّيدَ تحت — بروجها خفضوا الجباها
مُثِلَ الخلودُ بمن تبا — هي ؟ قالَ بالشهبا وتاها

فتاة الشهباء (١)

أطلّتْ بوجهٍ بالحيـــاءِ تحجّبا ... فهبّ لها قلبي المشوقُ مرحّبا
ومالتْ كغصنِ البانِ ليناً ورقّةً ... وردّت سلاماً من شذا الفلّ أطيبا
فتاةٌ تفانتْ في سبيل بلادهـــا ... وما عرفتْ غيرَ العروبةِ مذهبا
ومدّتْ ليَ الزّندَ الوضيءَ تقولُ لي ... توكّأ على زندي إذا كنتَ متعبا
وهذي رُبى الشهباءِ خضرٌ بواسمٌ ... تطوّقُ ســهلاً بالاباءةِ مخصبا
هنانو ، هنانو ، كانَ ليثَ عرينها ... وسعدٌ به باهى الخلودُ وأطنبا
وفي شعبنا السوري عزٌّ وجرأةٌ ... فما خافَ أهوالاً ولا خابَ مطلبا
يثورُ ومنْ طبعِ الأبيّ وحقّه ... إذا سيمَ ظلماً أنْ يثورَ ويغضبا

★ ★ ★

أحبُّ ثرَى الشهباءِ ، أهوى رياحها ... ولو صوّحتْ روضي، وأهوى بها الصبا
وفستقها فوقَ الرّبى الخضْر إنهُ ... عناقيدُ مرجانٍ تتيهُ على الرّبى
وللفستقِ الولهانِ سرٌّ محجّبٌ ... وإني لأخشى أن يكونَ تسرّبا
يزقزقُ كالعصفورِ والبدرُ باسمٌ ... ويسكتُ إنْ ألفى جبيناً مقطبا
ويرنو اليه البدرُ يكشفُ صدرَهُ ... فتبْصرُ قلباً كان قبْلُ محجّبا
ولي لغةٌ أعلى الكتابُ مقامهـــا ... فسارتْ مسيرَ النور شرْقاً ومغربا
بها نزّلَ القرآنُ هدياً ورحمةً ... فردّ غليظَ الأصغرين (٢) مهذّبا
وإنّ كلامَ اللهِ آياتُ حكمةٍ ... فرحى لأميٍّ وعاهُ ليكتبا

---

(١) من قصيدة بعنوان « ابو فراس في أسره » ألقيت فيمهرجان الشعر الدوري الرابع ، الذي أقيم في مدرج جامعة حلب ، ابتداء من ١ ـ ٥ تشرين الثاني ١٩٦٣ .

(٢) الاصغران : القلب واللسان .

منبت الأبطال

- من قصيدة قالها المؤلف يوم استقبلت حلب ابنها البار الاسقف المناضل ايلاريون كبوجي بتاريخ ٩ شباط ١٩٧٩ :

شهباء يا منبتَ الابطال ، يا بلدي — فداء عينيك منا المالُ والنسمُ
التبرُ من ارضكِ المعطاء منبعهُ — والحسنُ في جوكِ البسام والنعمُ
وقلعةٌ يعرفُ التاريخُ منعتها — فيها الـتراب على أعدائها حرَمُ
منْ قالَ طول المدى يخفي محاسنها — روائعُ الفنِ بيدي حسنها القدمُ
تلفتت ترقب الاحقاب ، كم حقب — مرت بها ، وانطوت في لجها أممُ
وناضلت في سبيل المجد ، ما تعبت — من النضال ، ولم يلحق بها سأمُ
وعفّرتْ برغام الذلّ من طمعوا — بها ، وصاحت بهم ، كي تسلموا انهزموا
لجرّروا القهر والخذلان وانكفأوا — خوف الحمام ، وكان العار ما غنموا

★ ★ ★

ماذا على أسدٍ شطّ المزارُ بهِ — إن عاد للغابِ واعتزت به الأجمُ
وجادنا الغيثُ لما لاح موكبه — لم يمنعِ الناسَ عنه العارضُ الرذمُ
فصحتُ بشراً،وصاحَ الناسُ في طربٍ — جاء المناضلُ ، زيدي الخيرَ يا ديمُ
عاد ابنكَ الحرُّ من منفاهُ ياوطني — يظلـله الخالدان : المجـدُ والعلمُ
عاد الذي لم يغبْ عنا ولا غربت — عن المسامع من آياتـه الحكمُ
فهاك ناي العلى يشدو لمقدمـه — وهاك عقد المنى بالرغـدِ ينتظمُ
أما رأيتَ رعاك الله طلعتـه — كأنها الوردُ في البستانِ يبتسمُ
بأي زهرٍ زكي الفوح نرشقـه — وقـد تعطر من أخلاقه الشممُ
لم يبقَ زهرٌ على الاغصانِ ننثره — علـيه ، فلتنثر الأقمـارُ والنجـمُ

وثبـــة قلب

القيت هذه القصيدة في الحفل الكبير الذي أقامته الجالية الحلبية في النادي اللبناني بكـــراكس - فنزويلا مساء يوم الخميس ١ / ١١ / ١٩٧٩ تكريماً لصاحب مجلة الضاد :

حمدتُ ربي وعانقتُ السهى طربا   كيفَ التفتُّ أرى في وجهكمْ حلبا
فتحتُ عيـني على شهباءَ ثانيـةٍ   الجودُ والحسنُ في آفاقها اصطحبا
سخا زماني ، وكانَ البخلُ ديدنهُ   يا ربِّ شكراً فقد بلّغتني الأربا
أفـــلاذ أكبادنا أشواقنا لهبٌ   فهل لـكم عودةٌ نُطفي بها اللهبا ؟
قد جئتـــكم حاملاً قلبي على قلمي   حمـلتُ عاطفةً لم أحمـــلِ الذهبا
لقد قطفتُ زهـورَ الحبِّ عاطرةً   ولو قدرتُ قطفتُ الانجمَ الشهُبا
حملتُ حبّاً كثيراً من أحبتكم   وشوقَ أمٍّ حنـونٍ قلبُها اغتربا
تصبو الـيه وتهـوى أنْ يُكاتبها   وقد تجنُّ أسى إنْ أخّرَ الكتُبا
أراكمُ فأرى أهـــلي واسمكمْ   فتنتشي « الضادُ » من ترحيبكمْ طربا
جاهـدتُ خمسينَ عاماً في محبتها   لم يكبُ عزمي ، ولا سيفُ الجهادِ نبا
سرْ للنضـالِ ولا تبخـلْ بغاليةٍ   إنَّ المناضـلَ محبوبٌ وإنْ غُلِبا

أحببتـكم ، إنَّ ذكر البعدِ يؤلمني   يا ليتَ ركبي عن الاحباب ما غربا
جميلـكمْ في دمي يبقى وفي خلدي   لا لم يغبْ محسنٌ عني وإن حُجبا
إنْ مرَّ طيفٌ على أهداب قافيتي   اسكنتهُ القلبَ لا أرضى لهُ الهدُبا
من شرقنا انبثقَ الايمانُ فانتشرت   راياتُهُ تملأ الآفـــاقَ والحقبا
في غيدِ يعرُبَ حسنٌ حارَ واصفهُ   لقد تناهـى فأعطى الفنَّ ما طلبا
دَعِ التغزلَ واذكر سحرَ أعينها   من عين عبلةَ فاضَ السحرُ وانسكبا
أبناءَ قومي هوى الأوطانِ يجمعنا   وقـد رأيتُ هـنا أبناءَنا النُّجُبا
هذي الوجوهُ عذارى الضادِ تعرفها   ويعـرفُ المجـدُ فيها الجدَّ والدأبا

تعبتمُ فاقطفوا أثمارَ ما غرست أيمانكمْ فالمنى تمنو لمنْ تعبا
ما غيَّر البعدُ شيئاً من مناقبكم لقد بقيتمْ كما تبغي العُلى عربا

★ ★ ★

أسقطتُ حقّي على الايام يا قلمي لم أبقِ في جعبتي لوماً ولا عتبا
ماذا أقولُ وهذا اللطفُ يخجلني ؟ قلتُ الكثيرَ وما وفّيتُ ما وجبا
كبا بياني وخانتني روائعهُ وربَّ مُهرٍ كريمِ النبعتين كبا
كرّمتمُ « الضاد » فاعتزَّت بكم وشدت فألف شكر ، لقد كرَّمتمُ الادبا
لما أتيت إليكم كي أعانقكم أحسستُ قلبي على أعناقكمْ وثبا

حنين

روحي فداء عُروبتي وفداءُ وحدة أمتي
وفداء رايتنا العزيزة في سماءِ العزَّةِ
أنا صادق الايمان أؤمنُ بانتصار قضيتي

★ ★ ★

إني حننتُ إلى رُبى الشهباءِ مهدِ طفولتي
وإليكِ يا أمي الحنونُ اليك حنَّتْ مهجتي
فغداً نُطلُّ على دمشقَ على جنان الغوطةِ
وبطلعةِ الشهباءِ يا أمي أكحِّلُ مقلتي
وأعب من ينبوع أشواقي وانقعُ غُلَّتي

التبرُ ارخصُ من ترابك يا عرينَ عروبتي
كم مرّةٍ قبلتُهُ بتشوقٍ وبلهفةٍ
ونشقتهُ وسكبتُ فيه مشاعري ومحبّتي

أكبادنا في حلب

من قصيدة ألقيت في حفل الاستقبال الكبير ، الذي اقامته أسرة مجلة الضاد مساء يوم الاربعاء ١٩٨١/٦/٢٤ لجمهرة من مغتربينا العرب ، الذين قدموا من فنزويلا لزيارة وطنهم الأول حلب :

شهباء قد ركبَ الفضاءَ وعادا ... رهطٌ الى الوطنِ العزيزِ تنادى
راضَ الرِّياح وطارَ في مضمارها ... طيرٌ عجيبٌ قرّب الأبعادا
تغلي المراجلُ في حنايا صدره ... وتبثُّ ناراً لا تبثُّ رماداً
هذا بساطُ الريح جدَّدَ ثوبه ... وطوى السماءَ وحطّ حيث أرادا

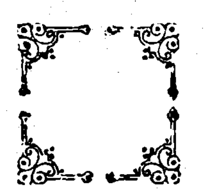
★ ★ ★

حنَّ المشوق الى أحبَّةِ قلبهِ ... والرّيحُ صارتْ للمشوقِ جوادا
وأتى يكحّل بالجمالِ عيونه ... في موطنٍ طردَ الدخيلَ وسادا
ذوبُ اللجينِ يسيل بين خمائلٍ ... نضرٍ فيسقي الورد والورّادا
هذي الرّوابي الخضرُ مثل زمرّد ... يلبسنَ من أزهارنا أبرادا
وبناتُ يعرب كالبدورِ تألّقتْ ... في أفقِ حسنٍ كمْ أضاعَ رشادا
عيناكِ يا سمراء في لون الدّجى ... أأخذت من حلكِ الظلام سوادا ؟
إني أذوبُ إذا نظرتُ اليهما ... ولقد تذيبُ المقلتان جمادا
قد كانَ لي عهدٌ كثغركِ باسمٌ ... عبثتْ به أيدي الزمانِ فبادا
ضيّعتُ قلبي يوم شيّعتُ الصّبا ... ما نفعُ عمري إنْ أضعتُ فؤادا
« الضادُ » حسنائي شغفت بحبّها ... وسلوتُ زين الغانياتِ سعادا
وملأتُ كأسي من سُلافةِ حسنها ... وقطفتُ من جنّاتها الاورادا

ووقفتُ في محرابها متخشّعاً ... حتى عشقتُ الزّهد والزّهادا
في «الضّاد» وجداني وذوب مشاعري ... تتلو حياتيَ إنْ تلوتَ «الضّادا»

★ ★ ★

أعرفتِ يا شهباء من جاءوا الى ... بلدٍ زها سهلاً وطابَ نجادا ؟
أكبادنا (١) عادوا اليكِ فرحّبي ... بهمِ وضمّي هذه الاكبادا
رادوا مجاهلَ لم يَردها قبلهم ... أحدٌ ، فكان رجالنا الروّادا
لم ننسَهم رغمَ البعادِ فجمعهم ، ... نصبَ العيونِ ، ولو أطالَ بُعادا
حلبٌ هي الامُّ الرؤوم وذكرها ... يشجي البنينَ ويطربُ الاحفادا
حلبٌ يتيه الشّعرُ إنْ ذكر اسمها ... يا شعرُ زدنا باسمها انشادا
ردّد معَ القانونِ الحانَ المُنى ... فلقد نسينا العودَ والعوّادا
يا شادِ أبدعْ في الغناء فلم يزلْ ... غصنُ الهوى في روضتي ميّادا



(١) أكبادنا هنا ، بمعنى أبنائنا .

عيد الفداء

من قصيدة قيلت بمناسبة الذكرى العاشرة لتأسيس مجلة « الفداء » الزاهرة التي تصدر في مدينة كراكس بفنزويلا :

ذكرتُ عهدَ الصِّبا الريّانِ فانفجرتْ ... منّي المآقي وراحَ الدمعُ ينهمِلُ
لي ذكرياتٌ كمطرِ الفُلِّ نفحتُها ... إذا استُعيدتْ تهادى الوجدُ والغزَلُ
كنّا فَراشاً على أزهارِ صبوتِنا ... يا ليتها رجعتْ أيامُنـــا الأُوَلُ
كرومُنا لم تزلْ تزهـو بنُضرتِها ... على هضابٍ حباها الحُسنُ ما تسل
وفستُقٌ تشبِهُ المُرجانَ حبّتُهُ ... يُغازلُ البدرَ حينَ البدرُ يكتمل
مزقزقٌ مثلَ عصفورٍ يرنّحــهُ ... موّالُ شادٍ وحفلٌ سادهُ الجذل
وقلعـةٌ شمختْ في أوجِ عزّتها ... كأنها جبـــلٌ من فوقهِ جبـل
كم جاءَها فاتحٌ فارتدَّ منكسراً ... وكم غُزاةٍ على أســوارها قُتلوا
وعادَ عنها عُقابُ الجوِّ منهزمــاً ... لمّا رآها وأدمى قلبَهُ الفشـــلُ
شاخَ الزمانُ على أعتابِ محتدِها ... ولم نزلْ بصِباها الغضِّ نحتفـلُ
شهباؤنا رغمَ بخلِ الدهرِ ما فتئتْ ... مثوى الكرامِ فلا عزٌّ لمَن بخلوا

★ ★ ★

مسارحُ الأنس قد أودى الزمانُ بها ... وظلَّ في حلبٍ من بعضِها طلَلُ
بَساطةٌ غيّر التجـديدُ روعتَها ... وكلُّ حيٍّ بدا من وجهِهِ بَدَلُ
حتى « الصليبةُ » لم تحفظْ مهابتها ... لا تسألنْ إذنْ هلْ بُدِّلَ التـلَل
أينَ الرياضُ الـتي كانتْ تزيّنُها ... وألفُ سهْلٍ وسهل كلّها سبَل

وأينَ نهرٌ وأشجارٌ تظلِّلهُ ... النهرُ غاضَ وقلَّ السَّمنُ والعسلُ
لولا الفراتُ ومَن أجراهُ في حلبٍ ... جفَّ النباتُ وجاعَ الناسُ أو رحلوا

★ ★ ★

تغيَّرتْ حلبُ إلاَّ كرامتَها ... فإنها بالنجومِ الزُّهرِ تتصلُ
كرامتي تعدلُ المعمورَ أجمعَهُ ... إذا أُهينَتْ فأهلاً أيها الأجل
لي ألفُ شكوى على الدنيا فكم قتلت ... من مصلحينَ وكم هشَّتْ لمَنْ قتَلوا
وما انتفاعي بدنيا كلّها خِدعٌ ... سئمتُ دنيا اختفى من وجهها الخجل
وهامتي رغمَ ضعفي ما انحنَتْ أبداً ... ولا هُرِعَتْ لغيرِ اللهِ أبتهِل
وزَّعتُ همِّي على أبياتِ قافيتي ... لمَّا خذلْتُ وسامحتُ الألى خذلوا
إني لأعلمُ أنَّ الدهرَ ذو غِيَرٍ ... وأنَّ أيامَنا في سيرِها دُوَلُ
ليتَ الجهالةَ توليني أعنتَها ... فأسعدُ الناسِ فوقَ الأرضِ من جهلوا
مهما قسا الدَّهرُ واشتدَّتْ نوائبهُ ... يظلُّ في فسحةِ الآمالِ لي أملُ
ولي هنا إخوةٌ باهى الفخارُ بهم ... والنجدةُ افتخرتْ واعتزَّتِ الخصَلُ
رادوا المجاهلِ ما كلَّتْ عزائمُهم ... لو مُدَّ دربٌ لقرصِ الشمسِ لانتقلوا

حلب في ٨ / ٣ / ١٩٨٢



حنين الى الشهباء

في ساعةِ وحدةٍ وملل في مدينة مونتريال بكندا ،
فاض بصاحبِ « الضاد » الشوقُ والحنين الى وطنه
حلب الشهباء ، فكانت هذه القصيدة :

إني حننتُ إلى الشهباءِ يا كندا ... متى أراها ؟ فمني الصبرُ قدْ نفَدا
ما كنتُ أحسبُ أنّ البعدَ عن وطني ... وعنْ صحابي يُذيبُ الروحَ والجسدا
أبيتُ في المهجرِ النّائي على أملٍ ... أني سأشربُ من ماءِ الفراتِ غدا
أرى بناءً ولكـنْ لا أرى وَرَعاً ... في عالمٍ عن هُدى الايمان قد بَعُدا
حضارةٌ شوّهَ الالحادُ روعتَهـا ... ومارِدٌ تحتَ أقـدامِ الزّنى سجدا
رفاقُنا خلفَ آفاقِ النوى احتجبوا ... فنهمُ لا نرى في حيِّنا أحـــدا
هذي البلاد التي رادوا مجاهلَها ... لـكمْ نثرْنا على آفاقِهـا كـبدا
حسْب العروبةِ فضلاً انها تركتْ ... على دروبِ الفدى الروّاد والشُهدا
ضاعت أوائلنا في ألفِ مغتربٍ ... وقـد أضعنا هنـــا أبناءَنا الجُدُدا

★ ★ ★

أتيتُ من بـلدٍ كالمسكِ تربتُـهُ ... يا ربِّ يا ربِّ باركْ ذلكَ البـلدا
واجعلْ غيوثَ الرضى تسقي مرابعهُ ... واحفظْ بنيهِ فهم عونٌ لمن قصدا
الضادُ فاتنـتي من أجـلِ نهضتِها ... بذلتُ عمـريَ لم أبخلْ بهِ أبـدا
جاهدتُ حتى بلغتُ القصدَ من هدفي ... الحمدُ للهِ ما ضاعَ الجهـادُ سُدى
في عثرةِ الضادِ كانَ اللهُ يعضـدني ... وكان كلُّ كـريمِ النفسِ لي سندا
يطيبُ قلبي اذا ازدادَ الغنيُّ غنىً ... خُلِقتُ عفَّ المنى لا أعرفُ الحسدا
عروبتي لم تزلْ تزهو بنضرتهـــا ... وحُرُّنا يُنجزُ الميعادَ إنْ وعـدا
وقال من يعرفُ الاخلاصَ في أدبي ... تعادلُ الضـادُ من أولاده ولَدا
ولي هنـا ولَدٌ يجترُّ وحدتَهُ ... كأنهُ الظبيُ عن أترابهِ شرَدا
ودِدتُ لو حرَستْ عيناي مضجعَهُ ... لتحتويهِ حنايا الصدرِ إنْ بَرَدا

ذكرى حلب

في حفلٍ غنائي أقيم لمؤلف هذا الكتاب في مدينة نيويورك عام ١٩٨٢، أبدع المطرب الاستاذ جوزيف كساب في إنشاده القدود الحلبية والموشحات الجميلة، فارتجل المؤلف هذه القصيدة الصغيرة:

لما شدوتَ لنا مالَ الهوى طربا	يا حلوُ زدنا غنا ذكّرتنا حلبا
أبلبلٌ صدحتْ في الروضِ نغمتُه	أم أغلٌ فوقَ أوتار النهّى لعبا
أدرْ كئوساً بخمر الفنْ مترعةً	تُرِحْ بفنّك قلبَ الصبِ إنْ تعبا
سلبتَ منا الحجى شدواً ومن عجبٍ	ان يشكرَ الوالهُ المسلوبُ من سلبا
ونادِ يا ليلُ ، إن الليلَ منسجمٌ	مع الغناء وتاجِ الأنجمَ الشُهبا
إسقِ العطاش فاذْنُ الفنّ ظامئةٌ	إلى الصداحِ وروّ الحبَّ والأدبا
رقصُ السماحِ تهادى في خمائلنا	فاختالَ غصنُ النقا من فننا عجبا

مطايا الشوق

ـ من قصيدة قيلت في وادي المرائش بزحلة ـ

حننتُ الى ربى حلبٍ	حنينَ الطير للوكرِ
فسيري يا مطايا الشوق	سيري بي معَ الفجرِ
وروّي مقلتي الظمأى	الى ينبوعيَ الثرّ
فلولا الأمُّ في حلبٍ	قضيتُ بزحلة عمري

شهباء يا ذاتَ الدلال

من قصيدةٍ ألقيت مساء يوم الأربعاء ٢٥ أيار ١٩٨٣ ، في دار الكتب الوطنية بحلب ، تكريماً لرهطٍ منَ المعمَّرينَ المبدعين ، الذين خدموا هذا الوطن العزيز في مجالات العلم والأدب والفن والصحافة . وكان المؤلف بين أولئك الذين احتفتَ الدولة بتكريمهم [1] :

شهبـــــــاء يا ذاتَ الدلال اليعـــربيِّ تدلـــلي
أو لستِ عاصمةَ الشــــــمالِ ومُتْعةَ المتأمِّلِ
أولستِ قلعةَ يعربٍ ومنى الإباءِ الأكمـــلِ
فانظرْ أشمَّةَ فجرهـــا في وجهـــها المتهلـــلِ
واشرحْ فؤادكَ بالجمالِ وباللـــقاءِ الأجمـــلِ
أبناؤهـــا رمزُ السخاءِ الحـــاتميِّ الأمثلِ
هم للعروبةِ مـــوئلٌ أنعِمْ بهمْ من مـــوئلِ
يأبونَ حمْلَ الضيمِ إنَّ الضيمَ صعبُ المحملِ
ويجاهـــدونَ وسعيُهمْ نحو السبيـلِ الأفضلِ
يا أيُّها العـــربيُّ قمْ اليومُ يومُكَ فاعملِ
واشحذ سلاحك واحملنْ على الســواد [2] المقبـــلِ
النصرُ يـؤخذُ بالبسالةِ في الوغــى فاستبسـلِ
لو كنتُ في ألقِ الشبابِ لما قبعْتُ بمـــنزلي
ولكنتُ أوَّلَ منْ تقدَّمَ تحتَ ظـلِّ القسطلِ
سيَّانِ عندي في النضـــــالِ قُتِلتُ أو لم أقتَلِ

---

(١) مجلة الضاد ـ العدد ٦ / ١٩٨٣ ص ٧ .

(٢) السواد : العدد الكثير . والقسطل : الغبار الساطع في الحرب .

أهمّ مراجع الكتاب

١ ـ نهر الذهب في تاريخ حلب	الشيخ كامل الغزي
٢ ـ تاريخ الصحافة العربية	الفيكنت فيليب دي طرازي ج٤
٣ ـ الصحافة السورية	أديب خضور
٤ ـ أعلام الادب والفن	أدهم الجندي
٥ ـ السماع عند العرب	مجدي العقيلي
٦ ـ مجموعة الفنون	مخطوط بقلم فتح‌الله الصقال الجد
٧ ـ معجم رقص السماح	عدنان بن ذريل
٨ ـ المنجد في الاعلام	دار المشرق
٩ ـ قلعة حلب	شوقي شعث ومحمود حريتاني
١٠ ـ من أعلام العرب في القومية والادب	عبدالله يوركي حلاق
١١ ـ قطاف الخمسين	عبدالله يوركي حلاق
١٢ ـ حصاد الذكريات ـ شعر	عبدالله يوركي حلاق
١٣ ـ مجلة العمران	عدد خاص عن مدينة حلب
١٤ ـ مجلة الكلمة	مجموعة عدة سنوات
١٥ ـ مجلة الضاد	مجموعة عدة سنوات
١٦ ـ دليل جامعة حلب	للعام الجامعي ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩

وقد تكرّم صديقنا العلاّمة الأديب الاعز الاستاذ فؤاد العينتابي ، فزوّدنا بمعلومات أدبية وتاريخية في غاية الاهمية ، فنحن نشكر له ، ولمن ذكرنا اسماءهم الكريمة في حواشي هذا الكتاب ، من أمثال البحّاثة المحقق القدير الاستاذ فريد جحا ، الذي وضع عن حلب دراسات قيّمة لو جُمعت وطُبعت ، لكانت تاريخاً نفيساً يُضاف الى اروع ما كُتِبَ عن مدينتنا المناضلة الغالية .

الفهرس

كلمة شكر

١ — ساهم المخرج العالمي الشهير الاستاذ مصطفى العقاد في نفقات طبع هذا الكتاب .

٢ — صمم غلافه الخارجي الفنان المبدع الاستاذ انطوان حجار المقيم في مدينة كراكس – فنزويلا .

٣ — كتب العنوان المنشور في الصفحة الأولى الباحث والمؤرخ المدقق الاستاذ محمد كامل فارس .

٤ — كتب الصفحة الخارجية الاخيرة الخطاط المعروف السيد جان بالي .

٥ — طبع الغلاف الخارجي السيد حبيب جقي صاحب مطبعة اوفست النيل ونجل المربي الكبير الاستاذ ادوار جقي .

٦ — نضَّدَ حروف الكتاب السيدان محمد قند و عدنان دواليبي وطبع ملازمه السيد رسلان بزاعي .

٧ — تولت مطبعة النجمة لصاحبها السيد عبد الله شرابانى اخراج هذا المؤلف بكثير من الدقة والعناية .

٨ — وقف على الطبع وسهر على مراجعة « البروفات » ولدنا المحبوب رياض حلاق .

فإلى جميع هؤلاء نقدم خالص الشكر وعاطر الامتنان ونسأل الله لهم الصحة والهناء .

عبدالله

مطبعة النجمة ـ حلب

الثمن : ٣٠ ل.س



المؤلف في سطور

- صاحب مجلة « الضاد » ومدير تحرير مجلة « الكلمة »
- درّس اللغة العربية والأدب والتاريخ في أكبر معاهد حلب
- شارك منذ صغره في مكافحة الانتداب الفرنسي، وانتخب عضواً قيادياً في مجلس إدارة الحزب الوطني بحلب
- انتُخب في عهد الوحدة عضواً في مجلس الأمة الاتحادي بالقاهرة، وعضواً في لجنة الدستور، وعضواً في لجنة الشعر التابعة للمجلس الأعلى بدمشق.
- عضو في اتحاد الصحفيين، وفي اتحاد الكتاب العرب. وفي اتحاد الجمعيات الخيريَّة في محافظة حلب، وفي عدد من الجمعيات الانسانيّة والأدبيّة.
- في خلال حرب ١٩٧٣ انتخب مقرراً للجنة التعبئة الشعبية في محافظة حلب.
- لُحّنت كثير من قصائده وأُنشدت من كبريات الإذاعات العربيّة والأوروبيّة والأميركية
- نوّهت بأدبه موسوعات عربية وأجنبية عديدة. وترجمت بعض آثاره إلى بعض اللغات الحية
- زار كثيراً من الأقطار العربية وتركيا وسويسرا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وهولندا وكندا والأميركتين.
- اشترك في مؤتمرات دوليّة ومهرجانات شعريَّة كثيرة.
- أُقيمت له حفلات تكريم في القاهرة وبيروت وبغداد والكويت وحلب وفي العديد من مدن فنزويلا.
- يحمل وسام « القدس » وبراءة تقدير رسمية ودبلوماً في الصّحافة
- قابل عدداً من رؤساء الجمهوريّة، وصادق نخبة من أقطاب الفكر والأدب.

من إنتاجه : ١- « خيوط الغمام » شعر ٢- « حصاد الذكريات » شعر ٣- "الزفرات" ٤- « في حمى الحرم » ٥- « وضوح الإملاء » ٦- « من أعلام العرب في القومية والأدب » ٧- « قطاف الخمسين » ٨- « حلبيات » وعنده ديوانات ونحو /٣٠/ مؤلفاً تنتظر الطبع.

مطبعة داوفسيت النيل – حلب هاتف ٢١٠١٦٣